الشوقيات

(الصحيحة)

للمرحوم

أحمد شوقي

الجزء الثالث

المراثي

الشوقيات

(الصحيحة)

الجزء الثالث

المراثي

أحمد شوقي

طبع بعد وفاته

سليمان باشا أباظه*

مَن ظن بعدَكَ أن يقول رثاء … فليَرْثِ مِن هذا الورى مَن شاء
فَجع المكارمَ فاجعٌ في رَبِّها … والمجدَ في بانيــــهِ والعلياء
ونعَى النعاةُ إلى المروءة كنزَها … وإلى الفضائلِ نجمَها الوضّاء
أأبا محمدٍ اتَّئد في ذا النوى … وارفقْ بآلك وارحمِ الأبناء
واستبق عِزهم (بطهراء) التي … كانوا النجومَ بها وكنتَ سماء[1]
أدجى بها ليلُ الخطوب وطالما … مُلئت منازلُها سَنًى وَسَناء[2]
وإذا سليمان استقل محلة … كانت بساطاً للندى ورجاء[3]
فانظر من الأعواد حولك هل ترى … مِن بعـــد طِبِّك للعُفاة دواء[4]
سارتْ جنازةُ كل فضل في الورى … لما ركبتَ الآلة الحـــدباء[5]

(*) سليمان باشا أباظه أحد سراة مصر الكبار ، وكان في حياته كبير الأسرة الأباظية الشهيرة ، وقد أسندت إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفي سنة ١٩٠١

(١) علم على بلدة القنيد ، وهي من أعمال اقليم الشرقية بمصر

(٢) تدجى وأدجى الليل كلاهما بمعنى أظلم . والسنى بالقصر : الضوء ، والسناء بالمد : الرفعة

(٣) المحلة في الأصل هي الناحية التي ينزل بها القوم ، ولا تقل عن مائة بيت والمراد هنا بقوله : استقل محلة أي أنه كان سيدها المتفرد بزعامتها وبالعمل لرفعتها

(٤) الأعواد : جمع عود يطلق على المنبر ، وعلى السرير للحي أو الميت ، وكان رجل من العرب يلقب : « ذو الأعواد » لأنه كان يحمل دائماً في سرير ، والشعراء العظام يستعملون الأعواد للموتى وقلما يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريماً للميت . قال الشريف الرضي : أرأيت من حملوا على الأعواد . . . الخ . العفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب لفضل أو رزق

(٥) بكسر الجيم وفتحها ، وقيل بالكسر هي الميت ، وبالفتح هي النعش ، وقيل =

وتيتَّمَ الأيتـــامُ أول مرة ... ورمى الزمانُ بِصَرْفه الفقراء[1]
ولقد عَهِدتُكَ لا تُضيّع راجياً ... واليوم ضاع الـكُلُّ فيك رجاء
وعلمتُ أنك مَن يَوَدُّ ومَن يَفِى ... فقفِ الغداةَ لو استطعتَ وفاء
وذكرتُ سعيَك لى مريضاً فانياً ... فجعلتُ سَعْيَ بالرثاء جزاء
والمرء يُذكر بالجمائل بعده ... فارْفَع لذكرِكَ بالجميل بناء[2]
واعلم بأنك سوف تُذكر مَرةً ... فيقالُ أحسنَ . أو يقالُ أساء
أَبَنِيه كونوا للعِدَى من بَعدِه ... كيداً وكونوا للولى عزاء
وتجلّدُوا لِلْخطب مثلَ ثباتِه ... أيامَ كان يُدافع الأرزاء
والله ما مات الوزير وكنتمو ... فوق التراب أعزة أحياء

= بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع مألوف عصرنا هو إطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . الآلة الحدباء : كناية عن النعش وشكله أحدب كما هو معروف

(١) صرف الزمان : نوائبه وحدثانه

(٢) جمائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة أو بمأثرته الجميلة ، لحذف الموصوف ثم جمع الصفة واستعملها ، أقول وهــذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى البيت

مصطفى باشا فهمى (*)

يا أيها الناعى أبا الوزراء ... هذا أوانُ جلائلِ الأنباء
حُثَّ البريد مشارقاً ومغارباً ... واركبْ جناحَ البَرقِ فى الأرجاء (١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعاً أو دما ... فاليومُ يومُ مدامعٍ ودماء
لم تَنعَ للأحياءِ غيرَ ذخيرةٍ ... ولَّت وغيرَ بقيَّةِ الكبراء
رزء البرية فى الوزير زيادةٌ ... فيما ألمَّ بها منَ الأرزاء
ذَهبت على أثرِ المشيع دولةٌ ... برجالها وكرائم الأشياء
ندمان (اسماعيلَ) فى آثاره ... ذهبوا : وتلك صُبابةُ الندماء (٢)
وُلِدوا على راحِ العلا وترعرعوا ... فى نعمةِ الأملاكِ والأمراء
أودى الرَّدى بمهذَّب لا تنتهى ... إلاَّ إليه شمائلُ الرؤساء

(*) مصطفى باشا فهمى ، كان الماماً موفقاً لأمير الشعراء حين كناه بأبى الوزراء فهو والد الزعيمة العظيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول وكان ياوراً للخديو اسماعيل ووزيراً فى عهد توفيق فرئيساً للوزراء . ثم استقال ثم عاد للرئاسة ولم يتركها إلا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى أول سنة ١٩١٤

(١) البريد : كلمة فارسية معناها القطع ، كانوا يقطعون أذناب وأعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم علامة لها حتى لا يعوقها أحد فى الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله حث البريد واركب جناح البرق ، هو الأمر للناعى باذاعة النعى فى الدنيا بأسرع وسائل الاذاعة ، وطبعاً أن الغرض من ذلك هو إظهار ما للنعى من قيمة وخطر وعلو شأن

(٢) الندمان بفتح النون الأولى جمع نديم : وهو الظريف الكيس أو المجالس على الشراب ، واسماعيل هو سمو الخديو اسماعيل

صافى الأديم أغرّ أبلج لم يَزِدْ ... فى الشيبِ غيرَ جلالةٍ ورُواء(١)
مُتجنب الخُيـلاء إلا عزةً ... فى العز حُسْنٌ ليس فى الخيلاء
عَفٌّ السرائرِ والملاحظِ والخُطى ... نَزِهِ الخلائق طاهر الأهواء(٢)
مُتدرِّع صَبْرَ الكرامِ على الأذى ... إن الكرامَ مشاغلُ السفهاء
نَقموا عليه رأيَهُ وصنيعَه ... والحُكم للتاريخ فى الآراء
والرأى إن أخلصتَ فيه سريرةً ... مثل العقيدةِ فوق كلِّ مِراء(٣)
وإذا الرجالُ على الأمور تعاقَبوا ... كشفَ الزمانُ مواقفَ النظراء
يا أيُّها الشيخُ الكريمُ تحيةً ... أندى لِقبركَ من زُلالِ الماء
هذا المصيرُ: أكان طول سلامةٍ ... أمْ لم يكنْ إلاَّ قليل بقاء
ماذا انتِفاعُك بالليالى بعدما ... مرت بك السبعون مرَّ عشاء(٤)
أوْ بالحياةِ: وقد مشى فى صفوها ... عادِى السنين: وعاثَ عادِى الداء
من لم يطبِّبْه الشَّبابُ: فَدَاؤُه ... حتى يغيِّبَه بغيرِ دَواء
قَسَماتُ وجهِك فى التُّرابِ ذخائرٌ ... من عفةٍ. وتكرُّم. وحياء(٥)

---

(١) الرواء فى المرء: هو مظهر السيادة والعظمة الوديعة

(٢) جمع ملحظ وهو اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ، يقول إنه عفيف القلب وعفيف الأعين فلا يقع لحظه على الريب

(٣) الجدل

(٤) يقصد سبعين عاماً، ولكنه فى استعمال لفظ السبعين يجرى مجرى العرب الفصحى فى استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه، وفى هذا الباب جاء القرآن الكريم بقوله: إن تستغفر لهم سبعين مرة. فليس المقصود عدد الاستغفار ولكن يراد الدلالة على كثرته

(٥) القسمات: ملامح وتقاسيم الوجه

ولكم أغارَ على مُحَيّا ماجدٍ ... وَطَوى مَحاسنَ مَسمحٍ معطاءِ[١]
كم موقفٍ صَعبٍ على من قامه ... ذلّلتــــه ونهضتَ بالأعباء
كِبْرُ الغَضَنْفَرِ يومَ ذلك زادَه ... من نَخوة وحَميّـــةٍ وإباءِ[٢]
من يَكذبِ التاريخَ يَكذب ربّه ... ويُسيءْ للأمواتِ والأحياء
السلم لَوْ لم تودِ أمْسِ بجُرْحِها ... أوْدَتْ بهذى الطَّعنةِ النَّجلاءِ[٣]
لو أُخِّرَتْ فى العيشِ بعدكَ ساعة ... لَبَكتْ عليك بِدَمعِ الخنساءِ[٤]
أنفضْ غُبَارَكَ عنك وانظر هل ترى ... إلا غبـــــارَ كتيبةٍ ولواء
يا ويحَ وجهِ الأرضِ أصبحَ مأتما ... بعدَ الفوارس من بنى حواء
مِن ذائدٍ عن حوضه أو زائدٍ ... فى مُلكِه من صَولةٍ وَثَراء
أوْ مانعٍ جاراً يُناضِلُ دونَه ... أو حافظٍ لِعهودِه مِيفـــاءِ[٥]
يتقاذفُون بذاتِ هولٍ لم تهَبْ ... حَرم المسيح ولا حِمَى العَذراءِ[٦]
مِن مُحْدَثاتِ العلم إلا إنّها ... إثمٌ عَواقبُها على العامـــاء

***

(١) مسمح بفتح الميم : الواسع السماحة ، وفى القاموس المحيط يقال إن فيــه لمسمحا كمسكن أى متسعاً ، والمعطاء هو كثير العطاء (٢) اسم من أسماء الأسد

(٣) يشير إلى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية ، كأنه يقول : إن اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن إلا لأن المتوفى كان سلماً لقومه يشبه السلم العام للناس ، فهو والسلم توأمان (٤) يقول فى هذا البيت : إن السلم لو عاشت بعد الفقيد ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء ، وهى شاعرة عاشت فى صدر الاسلام اشتهرت بمراثيها فى أخيها صخر وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله (٥) هو كثير الوفاء (٦) أى مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف

لَهفِي على رُكْنِ الشيوخ مُهدَّما   والحاملاتِ الثكل واليُتماء[1]
وعلى الشباب بكل أرضٍ مَصرعٌ   لهمو وهُلكٌ تحتَ كلِّ سماء
خرجوا إلى الأوطان من أرواحِهم   كرم يليقُ بهم ومَحْضُ سخاء[2]
من كلِّ بانٍ بالمنيَّةِ فى الصِّبا   لم يَتَّخِذْ عِرْساً سِوى الهيجاء[3]
المُرْضِعاتُ سَكبْن فى وِجْدانهِ   حُبَّ الدِّيار وبِغضةَ الأعداء
وقَرَنَّ فى أُذُنَيْهِ يومَ فِطَامِهِ   أنَّ الدماء مُهورةُ العلياء

* * *

أأبَا البناتِ رُزِقتهنَّ كَرائماً   ورُزِقت فى أصْهارِكَ الكرماء
لا تَذْهَبَنَّ على الذكورِ بحَسْرةٍ   الذكرُ نعمَ سُلَالة العظماء
وأرى بُناةَ المجد يثلم مجدهم   ما خلفوا من طالح وغثاء[4]
إنَّ البنات ذخائرٌ من رَحمةٍ   وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووفاء
والسَّاهراتُ لِعلَّةٍ أو كَبرةٍ   والصابرات لشِدةٍ وبلاء
والباكياتُك حينَ ينقطعُ البكىٰ   والزَّائِراتُكَ فى العَراء النائى[5]
والذَّاكِراتُكَ ما حَيِينَ تَحدُّثاً   بِسَوالِفِ الحُرُماتِ والآلاء
بالأمسِ عزَّاهنَّ فيكَ عقائلٌ   واليومَ جاملهُنَّ فيك رثائى

---

(١) الثكل هو فقد الأبناء واليتماء من اليتم ، وهو فى الناس فقد الأب ، ويكون فى غير الناس بفقد الأم   (٢) المحض : هو الخالص فى كل شيء   (٣) يقال بنى على فلانة : اتخذها زوجة ، والعرس بكسر العين الزوجة يصف هذا الشباب السخي بروحه للأوطان بأنه يألف الحروب ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة

(٤) الغثاء بضم الغين : الفاسد   (٥) الخلاء البعيد ، ويعنى به هنا : القبور

وأبيكَ ما الدنيا سِوى مَعْروفِها ... والبرّ : كلُّ صنيعـــةٍ بجزاء

أَجزِعن أن يجرى عليهنّ الذى ... من قبلهنّ جرى على « الزهراء »[1]

عُذراً لهن إذا ذهَبْنَ مع الأسى ... وطلبْن عند الدمع بَعْضَ عزاء

ما كلُّ ذِى ولدٍ يسمَّى والدا ... كم من أبٍ كالصخرةِ الصَّماء

هَبْهُنَّ فى عقل الرجال وحلمِهم ... أقلوبُهنَّ سوى قلوبِ نِساء

---

(١) هى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلوات الله عليه ، والذى جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق

أبو هيف بك *

اجعلْ رِثاءك للرجال جَزاء وابعثْه للوطن الحزين عزَاء
إن الديار تُريقُ ماء شئونها كالأمهات وتنـدُبُ الأبناء(١)
تُـكلُ الرجالِ من البنينَ وإنما ثُـكلُ الممالكِ فقدُها العلمـاء
يجزَعنَ للعَلَمِ الـكبيرِ إذا هَوى جَزَعَ الـكتائبِ قد فقَدْنَ لِواء(٢)
عَلَمُ الشريعةِ أدركتْهُ شريعةٌ للموتِ يَنظِمُ حُكمُها الأحياء(٣)
عانَى قضاء الأرضِ عِلْمَ مُحصِّلٍ واليومَ عالجَ للسماء قَضاء
ومضى وفيه من الشبابِ بقية للنَّفْعِ أرْجَى ما تكونُ بقاء
إن الشبابَ يُحبُّ جَمًّا حافلاً وتحبُّ أيامُ الشـبابِ مِلاء(٤)
بالأمسِ كانت لابن هَيْفٍ غَضْـبَةٌ للحق نَذْكرُها يداً بَيضـاء(٥)

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق ومنصب القيم على دار الـكتب المصرية ، وقد وقف فى معارضة مشروع ملنر موقفاً قانونياً لامعاً ، فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الـكبار فى قضية البلاد ، وقد توفى سنة ١٩٢٦

(١) ماء الشئون : الدموع (٢) جمع كتيبة : وهى الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء أى رئيس تلتف وحدتها حوله (٣) القانون (٤) الملاء الأغنياء المتمولون : الواحد منهم ملئ ، ومن معانى الملاء أيضاً الحسنو القضاء . يقول : إن الشـباب يحب كثيراً على أى حال ؛ ولـكن أيام الشباب يحببن أكثر ومن فى غنى من المـال الـكثير ومن تولى المناصب كالحال فى شباب الفقيد (٥) هى غضبته على مشروع ملنر وموقفه فى طليعة معارضيه

مَشَتِ البلادُ إلى رسالة (مِلنَرٍ)   وتحفزتْ أرضاً لها وسماء[١]
فلمحتُ أعرجَ فى زَوايا الحقّ لم   أعلَمْ عليه ذِمَّةً عرجاء[٢]
ارتدَّتِ العاهاتُ عن أخلاقه   لسموِّهِنَّ وحلَّتِ الأعضاء
عَطَفَتْهُ عَطْفَ القوسِ يوم رِمايةٍ   وثَنَتْهُ كالماضى فزادَ مَضاء[٣]
لما رأى (التقريرَ) يَنفُثُ سُمَّهُ   سَبَقَ الحُواةَ فأخرجَ الرَّقْطاء[٤]
هَتَكَ الحمايةَ والرجالُ وراءها   يتلمسون لها السُّتورَ رِياء
ما قبَّحوا بالصبح من أشباحها   رَاحوا إليك فحسَّنوه مساء
يا قيِّمَ الدارِ التى قد أُخرِجَتْ   للمُدْلِجين منارةً زَهراء[٥]
وتَرى لديْها الوارِدين فلا ترى   إلا ظِماءً ينزلون رُواء[٦]
وتُجالِسُ العلماءَ فى حُجُراتها   وتُسامِرُ الحكماءَ والشعراء
تكفيكَ شيطانَ الفراغِ وتَعتنى   بالجاهلين تردهم عقلاء

---

(١) اللورد ملنر هو أحد وزراء انجلترا ، ورسالته التى مشت البلاد وتحفزت لها ، هى تقريره المشهور ، بعث به من لندن مع أربعة من رجالات مصر الساسة وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع لولا الفقيد ومعه نفر قليل جداً قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيد بحوثاً قانونية فى تفنيد المشروع كانت من أهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد

(٢) كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ساق صناعية

(٣) فى هذا البيت وصف لمشية الأعرج ، بلغ من جماله أنه قد يحبب المشية العرجاء للناس فتأمل . والماضى هو السيف

(٤) قوله سبق الحواة فأخرج الرقطاء لا يمكن أن يكون هناك أبلغ فى الايجاز وأدق فى الايجاز من هذا الكلام ، فقوله سبق الحواة : صورة كاملة تريك كيف وثب الفقيد فوقف أمام المشروع كما يثب الحاوى فيقف أمام جحر الحية ، وقوله فأخرج الرقطاء : أعظم ما يمكن فى تصوير ذلك المشروع فقد نبه على السم الكامن فيه بالرغم من جماله الظاهرى ونعومته الشبيهة بنعومة الحية

(٥) هى دار الكتب الملكية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها

(٦) الرواء : الماء الكثير

دارُ الذخائرِ كنتَ أكملَ كُتْبِها ... مجموعةً وأتمَّهــــا أجزاء
لما خلت من كنزِ عليك أصبحت ... من كل أعلاقِ الكنوزِ خَلاء[١]
هزَّ الشبابُ إلى رثائك خاطرى ... فوَجَدتَ فِيَّ وفى الشبابِ وفاء
(عبد الحميد) ألا أُبشِّرُكَ حادثاً ... يَكسُو عظامَك فى البِلَى السراء؟[٢]
قم من صفوف الحقِّ تلقَ كتيبةً ... ملمومةً وتَرَ الصفوفَ سواء
وترَ الكِنانةَ شيبَها وشبابَها ... دون (القضيةِ) عُرْضةً وفِداء
جمعَ السلامُ الصُّحْفَ من غاراتها ... وتألفَ الأحزابَ والزعماء
فى كلِّ وِجدانٍ وكلِّ سريرةٍ ... خَلَفَ الوِدادُ الحِقْدَ والبغضاء
وغدا إلى دينِ العشيرةِ يَنتهى ... مَنْ خالفَ الأعمامَ والآباء
لا يحجبون على تجنِّيهم ولا ... يَجِدون إلا الصَّفحَ والإغضاء
والأهلُ لا أهلاً بِخَبْلٍ وَلائِهم ... حتى تراهم بينهم رُحَماء
كَذَبَ المُرِيبُ يقولُ بعدَ غدٍ لنا ... خُلْفٌ يُعيدُ ويُبْدِئُ الشَّحناء
قلبى يُحَدِّثُنى وليس بخائنى ... أن العقولَ ستقهَرُ الأهواء

* * *

يا (سعدُ) قد جَرَت الأمورُ لغاية ... اللهُ هيَّــــأها لنا ما شاء[٣]
سبحانَه جمعَ القلوبَ من الهوَى ... شتّى وقوّى حولَهُ الضُّعفاء

(١) أعلاق الكنوز: نفائسها (٢) هو حادث ائتلاف الأحزاب المصرية فى وقت نظم هذه القصيدة التى تعد من مفاخر المراثى فى الشعر العربى
(٣) هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان فى عهد ذلك الائتلاف

الفُلكُ بعد العُسْرِ يُسِّرَ أمرُها | واستقبلت رِيحَ الأمور رُخاء
وتأهّبت بك تستعدُّ لزاخرٍ | تَطأُ العواصفَ فيه والأنواء
رجعت براكبها إلى رُبّانِها | تُلقِي الرّجاء عليه والأعباء
فاشدُدْ بأرباب النُّهَى سُكّانَها | واجعلْ مِلاكَ شِراعها الأكفاء[1]
من ذا الذي يختارُ أهلَ الفضل أو | يَزِنُ الرجالَ إذا اختيارُكَ ساء
أخرج لأبناء الحضارةِ مجلسًا | يُبقِي على اسمك في العصور ثناء

---

(١) السكان : مؤخر السفينة . ملاك الشيء : قوامه وقواته

مولانا محمد علي (*)

بيتٌ على أرض الهُدى وسمائِه ... ألحق حائطُه وأُسُّ بنـائه
الفتحُ من أعلامه والطهرُ من ... أوصافه والقُـدس من أسمائه
تحنو مناكبُه على شعب الهدى ... وتُطِل سُدّتُه على سينائه (١)
مَن ذا ينازعنا مقالدَ بابه ... وجَـلالَ سدته وطُهرَ فنائه ؟
ومحمـدٌ صلّى على جنبـاته ... واستقبل السَّمحاتِ فى أرجائه
واليوم ضَمَّ الناس مأتمُ أرضه ... وحوى الملائك مِهرجانُ سمائه
يا (قُدسُ) هيِّئْ من رياضك ربوةً ... لنزيل تُربك واحتفـل بلقائه (٢)
هو من سيوف الله جل جلالُه ... أو من سيوف الهند عند قضائه
فَتح النبيُّ له مناخَ بُراقِه ... ومعارِجَ التشريفِ من إسرائه
بطلٌ حقوقُ الشرقِ من أحماله ... وقضيةُ الإِسلام من أعبائه
لم تُنسه الهنـدُ العزيزة رقةً ... للشرق أو سهراً على أشـيائه
وقباؤه نسج الهنود فهل تُرى ... دفنوا الزعيم مكفَّناً بقَبائه ؟ (٣)
(النيل) يذكرنى الحوادث صوته ... والترك لا ينسون صدقَ بلائه

***

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين توفى سـنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهداً فى خدمة الاسلام فى شتى أقطاره ، وقد أقيمت له فى القاهرة حفلة تأبين كبيرة ألقيت فيها هذه القصيدة.

(١) السدة : باب الدار . (٢) لأنه دفن بالقدس . (٣) القباء بفتح القاف نوع من الثياب

قل للزعيم محمد نزل الأسى   (بالنيل) واستولى على بطحائه[١]
فمشى إليك بجفنه وبدمعه   وإلى أخيك بقلبه وعزائه[٢]
اجتزتَه فحواك فى أطرافه   ولو انتظرت حواك فى أحشائه
ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه   مرّ الغمام بظله وبمائه
نم فى جوار الله ما بك غربةٌ   فى ظل بيت أنت من أبنائه
الفتح وهو قضيةٌ قُدسيةٌ   يا طالما ناضلتَ دون لوائه
أفتى بدفنك عند سيدة القُرى   مُفتٍ أراد اللهَ فى افتائه[٣]
بلد بَنُوه الأكرمون قصورُهم   وقبورُهم وقف على نزلائه[٤]
قد عشت تنصرُه وتمنحُ أهله   عوناً فكيف تكون من غربائه

---

(١) هو المرثى

(٢) هو مولانا شوكت على ، وقد آلت إليه زعامة المسلمين فى الهند بعد أخيه

(٣) سيدة القرى المقصودة هى القدس الشريف ، ولا بد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الاسلام هناك ، ولا يصرح بذلك إلا لمن ثبت نفعه للاسلام وللعرب

(٤) يقصد بالبلد فلسطين وسوريا جميعاً ، وكثيراً ما هتف أمير الشعراء بآل هذه البلاد إعجاباً بأخلاقهم .

سيد درويش (*)

كلَّ يوم مهرجانٌ كللّوا ... فيه ميتاً برياحين الثناء [1]
لم يعلِّم قومه حرفاً ولم ... يُضِئ الأرضَ بنور الكهرباء
جُومِلَ الأحياء فيه وقضى ... شهوات أهلُه والأصدقاء
ما أضلّ الناسَ. حتى الموتُ لم ... يخلُ من زُورٍ لهم أو من رياء [2]

* * *

إنما يُبكى شُعاعٌ نابغٌ ... كلما مرّ به الدهرُ أضاء
ملأ الأفواه والأسماع في ... ضجّة المحيا وفي صمت الفناء
حائطُ الفنّ وباني ركنِهِ ... (معبدُ) الألحان (اسحقُ) الغناء [3]
من أُناسٍ كالدّرارى جُدُدٍ ... في سمواتِ الليالى قُدَماء
غَرَسَ الناسُ قديماً وبَنَوا ... لم يدُم غرسٌ ولم يخلُدْ بناء
غيرُ غرسٍ نابغٍ أو حجَرٍ ... عبقريٍّ فيهما سرُّ البقاء
من يدٍ موهوبةٍ ملهَمَةٍ ... تغرِسُ الإحسانَ أو تبنى العلاء

* * *

(*) الشيخ سيد درويش ، كان رحمه الله يعد في طليعة المجددين في الموسيقى العربية ، وقد ألقيت هذه القصيدة في حفلة أقيمت لذكراه في سنة ١٩٣١

(١) المهرجان كلمة معربة معناها : الاحتفال (٢) الكذب

(٣) معبد وإسحق : علمان على رجلين من أشهر رجال الغناء والموسيقى

بلبلٌ اسكندرىٌ أيكهُ ليس فى الأرض ولكن فى السماء(١)
هبط الشاطئَ من رابيةٍ ذاتِ ظلٍّ ورياحينَ وماء
يحمل الفنَّ نميراً صافياً غَدَقَ النبع إلى جيل ظِماء(٢)
حلَّ فى وادٍ على فُسحتِه عزَّتِ الطيْرُ بهِ إلا الحِداء
يملأُ الأسحار تغريداً إذا صرف الطيْرَ إلى الأيكِ العِشاء
ربما استلهم ظلماء الدجى وأتى الكوكبَ فاستوحى الضياء
ورمى أُذنيه فى ناحيةٍ يخلِسُ الأصواتَ خلسَ الببغاء
فتلقّى فيهما ما راعهُ من خفىِّ الهمسِ أو جهرِ النداء

* * *

أيّها الدرويش قمْ بُثّ الجوى واشرحِ الحبَّ وناجِ الشهداء
اضرِبِ العُودَ تفِهْ أوتارُهُ بالذى تهوى وتنطقْ ما تشاء
حرِّكِ النايَ ونُحْ فى غابه وتنفس فى الثقوبِ الصُّعَداء(٣)
واُسكُبِ العَبرةَ فى آماقه من تباريحَ ؛ وشجوٍ ؛ وعزاء
واسمُ بالأرواحِ وارفعها إلى عالمِ اللُّطف وأقطارِ الصفاء(٤)

* * *

(١) كان رحمه الله من نشء الاسكندرية . والأيك : فى الأصل هو الشجر الملتف الكثير ، والمعنى الاجمالى لهذا البيت يقول : إنه إذا كان لكل بلبل من أيك يتخذه عشاً ، فهذا البلبل الاسكندرى أيكه ليس محله الأرض ، ولكن السماء هى محله اللائق به (٢) الغدق بتح الغين والدال : الكثير (٣) الصعداء بضم الصاد وفتح العين : تنفس ممدود
(٤) عالم اللطف : هو عالم المعانى والأرواح ، ولا تسمو إليه الأنفس إلا فى أوقات الصفاء والانشراح .

لا تُرِقْ دمعاً عَلَى الفنِّ فلن ... يَعْـدمَ الفنُّ الرُّعاةَ الأُمناء
هو طيرُ اللهِ فى ربوتِهِ ... يبعثُ المـاءَ إليه والغِذاء
روّحَ اللهِ على الدنيـا به ... فَهى مثلُ الدار ، والفنُّ الفِناء
تكتسى منه ومن آذاره ... نَفحةَ الطِّيبِ وإشراقَ البَهاء(١)
وإذا ماحُرِمت رقتَـه ... فَشَتِ القسوةُ فيهـا والجَفاء
وإذا ما سئِمت أو سقِمت ... طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفنُّ عَلَى المُلْكِ مشى ... ظَهر الحسنُ عليـه والرُّواء
قد كسا الكَرْنكُ مصراما كسا ... من سنَى أبلى اللّيـالِى وسنـاء
يُرْسلُ اللهُ به الرسْلَ على ... فتراتٍ من ظُهورٍ وخفاء
كلمـا أدّى رسولٌ ومضى ... جاء مَن يُوفى الرِّسالاتِ الأَداء

* * *

سـيدَ الفن استرح من عالمٍ ... آخرُ العهـدِ بنُعْماه البـلاء
ربمـا ضِقتَ فلم تنعَمْ به ... وسَرى الوحْىُ فنسَّاكَ الشـقاء
لقـد استخلفت فنًّا نابغا ... دفَع الفنُّ إليـه باللّواء
إن فى ملك فؤادٍ بلبلاً ... لم يُتَحْ أمثالُه للخُلفاء(٢)
ناحلٌ كالكُرَة الصُّغرى سَرى ... صوتُهُ فى كُرةِ الأرض الفضاء
يستحى أنْ يهتفَ الفنُّ به ... وجمـالُ العبقَرِياتِ الحيـاء

(١) آذار ، اسم أعجمى على شهر من فصل الربيع
(٢) البلبل : المقصود هنا هو الموسيقار النابغة الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش

عمر المختار (*)

رَكزوا رُفاتَك فى الرمالِ لِوَاءَ ⁂ يَستنهض الوادى صباحَ مَساءَ (١)
يا وَيْحهم . نصبوا مَناراً من دمٍ ⁂ تُوحى إلى جيلِ الغدِ البغضاءَ (٢)
ما ضرَّ لو جعلوا العلاقة فى غدٍ ⁂ بين الشعوبِ مودةً وإخاءَ ؟
جُرحٌ يصيحُ على المَدَى وضحيةٌ ⁂ تتلمسُ الحريةَ الحمراءَ (٣)
يا أيها السيفُ المجرَّدُ بالفَلَا ⁂ يكسو السيوفَ على الزمانِ مضاءَ
تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مُهنَّدٍ ⁂ أبلَى فأحسن فى العدوِ بَلاءَ
وقبورُ موتَى من شبابِ أُميةٍ ⁂ وكهولِهم لم يَبرحوا أحياءَ
لَوْ لاذَ بالجوزاءِ منهم معقِلٌ ⁂ دَخلُوا على أبراجها الجوزاءَ (٤)
فتحوا الشَّمالَ سُهولَه وجبالَه ⁂ وتوغلوا فاستعمروا الخضراءَ

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحانى العظيم فى كثير من أقطار الاسلام ، ظل يقاتل الطليان فى سبيل الذود عن وطنه وقومه حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً سنة ١٩٣١ ، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا فى إعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين.

(١) ركز اللواء : غرزه فى الأرض ، وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهى قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب فى الجاهلية يحفرون لها فى الأرض ويسمونها الدفائن فقوله : ركزوا رفاتك استعمال أريد به الاشارة إلى أن هذه الرفات من النفائس والذخائر التى يضن بها ويحرص عليها

(٢) المنارة : موضع النور وجعلها منارة من دم ، هو لون من التبشيع العجيب كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والازعاج

(٣) الحرية الحمراء هى المكتسبة بالدم ، إشارة إلى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت إلا بالدماء

(٤) الجوزاء : نجم معروف فى السماء

وبنوا حضارتهم فطاول ركنُها (دار السلام) و (جلَّق) الشمّاء[1]

* * *

خُيِّرْتَ فاخترت المبيت على الطَّوي لم تبْن جاهاً أو تلُمّ ثراء[2]
إن البطولةَ أن تموت من الظما ليس البطولةُ أن تعُبّ الماء
إفريقيا مهد الأُسودِ ولحدُها ضجت عليكَ أراجلاً ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارِهم لا يملِكون مع المصاب عزاء
والجاهليةُ من وراء قبورهم يبكون زَيْدَ الخيل والفلحاء[3]

* * *

فى ذمة الله الكريم وحفظه جسدٌ (ببرقةَ) وُسِّدَ الصحراء[4]
لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائع أعظُماً تبلى ولم تُبقِ الرماحُ دماء
كَرُفات نَسْرٍ أو بقية ضَيْغَمٍ باتا وراء السافيات هباء[5]
بطل البداوة لم يكن يغزو على «تَنْكٍ» ولم يك يركبُ الأجواء[6]
لكن أخو خيل حمَى صَهواتِها وأدار من أعرافها الهيجاء

* * *

لَبَّى قضاء الأرض أمس بمُهجةٍ لم تَخْش إلا للسماء قضاء

---

(١) دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق . (٢) الم : الجمع
(٣) الفلحاء : لقب عنترة العبسى ، أما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم
(٤) اقليم من طرابلس الغرب حاضرته برقه ، اشتهرت بوقائعها الحربيـة المتعددة التى حدثت بين العرب والطليان (٥) السافيات : الرياح
(٦) تنك : هى الدبابة المستعملة فى الحروب

وافاهُ مرفوعَ الجبين كأنه ... سُقراطُ جرَّ إلى القُضاة رداء
شيخ تمالك سنَّه لم ينفجرْ ... كالطفل من خوف العقاب بكاء
وأخو أمورٍ عاش في سَرَّائها ... فتغيرت فتوقَّعَ الضراء
الأسْدُ تزْأرُ في الحديد ولن ترى ... في السجن ضرغاماً بكى استخذاء
وأتى الأسير يجرُّ ثِقلَ حديده ... أسدٌ يُجرِّرُ حيةً رقطاء
عَضّت بساقيه القيودُ فلم ينؤ ... ومشت بهيكله السنون فَناء
تسعون لو ركبت مناكبَ شاهق ... لترجلت هضباتُهُ إعياء[1]
خفيت عن القاضي وفات نصيبُها ... من رِفق جند قادةٍ نُبلاء
والسنُّ تعطف كل قلبِ مهذبٍ ... عرف الجدودَ وأدرك الآباء

* * *

دفعوا إلى الجلّادِ أغلبَ ماجداً ... يأسو الجِراح ويُطلق الأُسَراء
ويُشاطرُ الأقران ذُخْرَ سلاحِهِ ... ويَصُفُّ حول خِوانه الأعداء[2]
وتخيروا الحبل المَهين مَنيةً ... لِلّيث يلفِظ حوله الحَوباء[3]
حرَموا المماتَ على الصّوارم والقَنا ... من كان يُعطي الطعنةَ النجلاء
إني رأيتُ يد الحضارة أُولعت ... بالحق هَدْماً تارةً وبِناء

---

(١) الشاهق : هو الجبل ، والتسعون : هي التسعون عاماً التي يحدد بها عمر المرثي حين قبضوا عليه ليعدموه

(٢) الخوان : مائدة الطعام

(٣) الحوباء : هي النفس

شرَعتْ حقوقَ الناس في أوطانهم ... إلا أُباةَ الضيم والضعفاء

***

يا أيها الشعب القريب أسامعٌ ... فأصوغَ في عُمرَ الشهيدِ رثاء

أم ألجمت فاكَ الخطوبُ وحرّمت ... أذنيك حين تُخاطَبُ الإصغاء

ذهب الزعيمُ وأنت باقٍ خالدٌ ... فانقد رجالك واختر الزعماء

وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... واحمل على فتيانك الأعباء

عبد الحليم العلايلى بك (*)

لقـد لبّى زعيمُـكمو النّداء عزاءً أهل دمياطٍ عزاء
وإن كان المُعزّى والمُعزَّى وكلُّ الناسِ فى البلْوَى سواء
فُجِعْنا كُلُّنا بعلايلىّ كركنِ النَّجْم أو أسنى علاء
أرَقُّ شبـاب دمياطٍ عليها وأنشطهم لِحاجتِها قضاء
وخيرُ بيوتِها كرماً وتقوى وأصْلا فى السّيادة وانْتماء
فَتًى كالرُّمحِ عاليـةً وعُوداً وكالصّمصام إفْرِنْدا وماء(١)
وأعطى المالَ والهِمَمَ العوالى ولم يُعط الكرامة والإباء
شـبابٌ ضارَع الرّيحانَ طيباً ونازعه البشاشة والبهاء
وجندِىٌّ القضـية منذ قامت تعلّمَ تحتَ رايتِها اللّقاء
ورُوِّع شيخُها العالى بيومٍ فـكان بمنكبيْهِ له وقاء(٢)
سـعى لضميره ولوجه مصرٍ ولم يتنولّ ينتظِرُ الجزاء

***

(*) عبد الحليم بك العلايلى كان عالية دمياط توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترك له فى القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة ، فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب لمنصب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين فكان فى رجالات ذلك الحزب ممن يشار إليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق

(١) عاليـة الرمح : نصفه الأعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف ، وإفرنده وماؤه كلاهما تمييز لجوهره.

(٢) يقصد بشيخها العالى المغفور له سعد باشا زغلول

وَنَعْشٍ كالغَمامِ يَرِفُّ ظِلاً ... إذا ذهب الزِّحامُ به وجاء
ولم تقع العيونُ عليه إلا ... آثار الحُزنَ أو بعثَ البكاء
عَجِبْنا كيف لم يَخضَر عُوداً ... وقد حمل المُرُوءةَ والوفاء
مشت دِمياط فالتفَّتْ عليه ... تُنازعهُ الذّخيرة والرجاء

* * *

بَني دمياطَ ما شيء بباقٍ ... سوى الفردِ الذى احتكر البقاء
تعالى اللهُ لا يبقى سواه ... إذا وردت بَرِيَّتُه الفناء
وأنتم أهلُ إيمانٍ وتقوى ... فهل تلقوْن بالعتبِ القضاء
مَلأْتم من بيوتِ الله أرضاً ... ومن داعى البُكور لها سماء
ولا تستقبلون الفجر إلا ... على قدمِ الصلاة إذا أضاء
وترتقبون مطلَعه صِغاراً ... وتستبقُون غُرَّته نساء
وكم من موقفٍ ماضٍ وقفتُمْ ... فكُنتم فيه لِلْوَطن الفِداء
دفعتُمْ غارةً شَعْواء عنه ... وذُدتُمْ عن حواضره البَلاء

* * *

أخى عبد الحليم ولست أدرى ... أأدعو الصِّهر أم أدعو الإخاء
وكم صنعَ الودادُ فكان صِهراً ... وكان كأقرَبِ القُربى صفاء
حَبيتَ تركك الدنيا سقيماً ... وكنتَ النحلَ علاّتها شفاء(١)

(١) يريد تشبيه الشاعر الكثيرة القليلة التى كان يقوم بها المرثى بعسل النحل

وكنا حين يعضل كل داء نجيء إليك نجعلك الدواء
مضت بك آلة حدباء كانت على الزمن المطيّة والوطاء(١)
وسارت خلفك الأحزاب صفاً وسرت فكنت في الصف اللواء
تؤلف بينهم ميتاً وتبني كعهدك في الحياة لهم ولاء

---

(١) الآلة الحدباء : النعش

حافظ ابراهيم *

قد كنتُ أُوثر أن تقولَ رِثائى | يا منصِفَ الموتى من الأحياءِ
لكنْ سبقْتَ، وكلُّ طول سلامةٍ | قَدرٌ وكلُّ منيّةٍ بِقَضاء
الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزل | بالحقِّ تحفِلُ عند كلّ نداء
وأتيتَ صحراء الإمام تذوب من | طول الحنين لساكن الصحراء(١)
فلقيتَ فى الدار الإمامَ محمداً | فى زُمرة الأبْرار والحنفاء(٢)
أثرُ النعيم على كريم جبينه | ومراشدُ التفسير والافتاء
فشكوْتما الشوق القديم وذقتُما | طيب التدانى بعدَ طول تناء
إن كانت الأولى منازِلَ فُرْقَةٍ | فالسمْحة الأخرى دِيارُ لِقاء(٣)
وَوَدِدتُ لَوْ أنى فِداك من الرَّدى | والكاذبون المُرجفونَ فِدائى
الناطقونَ عن الضغينة والهوى | الموغرو الموتى على الأحياء
من كلّ هَدّام ويَبنى مجدَه | بكرائم الأنقاض والأشلاء

(*) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك شاعر سباق معدود فى الطليعة وكان يلقب بشاعر النيل توفى سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة التى ينبىء مطلعها على مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له.

(١) صحراء الامام : المقبرة التى دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعى لوقوع ضريحه رضى الله عنه فى نطاقها

(٢) الامام المقصود هو الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه

(٣) الأولى : الحياة الدنيا

ما حطموك وإنما بك حُطموا ... من ذا يُحطِّم رَفرف الجوْزاء ؟[١]
أُنظرْ فأنت كأمسِ شأنك بَاذخٌ ... في الشرقِ ، واسمُك أرفعُ الأسماء
بالأمسِ قد حلّيتَنِي بقصيدةٍ ... غرّاء تُحفَظُ كاليد البيضاء[٢]
غيظَ الحسودُ لها وَقمتُ بشُكرها ... وكما علمتَ مودّتى ووفائى
فى محفلٍ بشّرتُ آمالى به ... لمّا رَفعتَ إلى السّماء لِوَائى
يا مانِحَ السُّودان شرْخَ شبابِهِ ... ووليَّهُ فى السِّلم والهيجاء
لما نزلت على خمائله ثَوى ... نبعُ البيانِ وراءَ نبع الماء
قَلدتَهُ السيفَ الحسامَ وزِدْتَهُ ... قلماً كصدر الصَّعْدةِ السمراء[٣]
قلم جرى الحِقبَ الطِّوال فما جرى ... يَوْماً بفاحشةٍ ولا بهِجاء[٤]
يكسو بمِدحتِه الكِرامَ جلالَةً ... ويُشيِّعُ الموْتى بحُسْنِ ثناء

* * *

اسكندريّةُ يا عروسَ الماء ... وخميلَةَ الحكماء والشعراء[٥]
نَشأَت بشاطِئِك الفنونُ جميلَةً ... وترعرعت بسمائكِ الزهراء

---

(١) الرفرف : هو ما يجعل عليه طرائف البيت ، والجوزاء نجم معروف فى السماء ، فالتعبير برفرف الجوزاء كناية عن أسنى مواضع الشرف والسمو (٢) هذه القصيدة أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها فى المهرجان العظيم الذى أقيم فى القاهرة ، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكريماً لمبايعة أمير الشعراء شوقى بأمارة الشعر فى الشرق العربى عامة ، وهى التى يقول فيها :

أمير القوافى قد أتيت مبايعاً ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

(٣) الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستوياً (٤) الحقب : جمع حقبة بكسر الحاء وهى المدة من الزمن أو السنة (٥) نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الاسكندرية ، فكان لا بد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ

جاءتك كالطير الكريم غرائبا ... بجمعتها كالروضة الغناء
قد جملوك فصرت زنبقة الثرى ... للوافدين وذروة الدأماء
غرسوا رباك على خمائل بابل ... وبنوا قصورك فى سنا الحمراء[1]
واستحدثوا طرقا منورة الهدى ... كسبيل عيسى فى فجاج الماء[2]
فخذى كأمس من الثقافة زينة ... وتجملى بشبابك النجباء
وتقلدى لغة الكتاب فإنها ... حجر البناء وعدة الإنشاء
بنت الحضارة مرتين ومهدت ... للملك فى بغداد والفيحاء
وسمت بقرطبة ومصر فحلتا ... بين الممالك ذروة العلياء[3]
ماذا حشدت من الدموع «لحافظ» ... وذخرت من حزن له وبكاء ؟
ووجدت من وقع البلاء بفقده ... إن البلاء مصارع العظماء
الله يشهد قد وفيت سخية ... بالدمع غير بخيلة الخطباء
وأخذت قسطا من مناحة ماجد ... جم المآثر طيب الأنباء
هتف الرواة الحاضرون بشعره ... وحدا به البادون فى البيداء[4]
لبنان يبكيه وتبكى الضاد من ... حلب إلى الفيحا إلى صنعاء
عرب الوفاء وفوا بذمة شاعر ... بانى الصفوف مؤلف الأجزاء

(١) بابل موضع مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر . والحمراء قصر مشهور فى الأندلس (٢) الفجاج بكسر الفاء جمع فج بفتحها هو الطريق الواسع بين الجبلين

(٣) إحدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت فى المغرب مثل بغداد فى المشرق كلتاهما منبع للعلوم والفنون فى أزهر عصور الاسلام (٤) البادون : السائرون فى البادية

يا حافظ الفُصحى وحارسَ مجدها   وإمامَ من نَجَلَت من البُلغاء[١]
ما زلتَ تهتفُ بالقديم وفضلِه   حتى حَميت أمانةَ القُدماء
جددتَ أُسلوبَ (الوليد) ولفظه   وأتيت للدنيا بسحر (الطائى)[٢]
وجريتَ فى طلب الجديد إلى المدى   حتى اقترنتَ بصاحب البُؤساء[٣]
ماذا وراء الموت من سَلْوى ومن   دَعةٍ ومن كرمٍ ومن إغْضاء ؟
اشرَحْ حقائق ما رأيت ولم تزل   أهلاً لِشَرْح حقائق الأشياء
رُتَبُ الشجاعةِ فى الرجال جلائلٌ   وأجلّهن شجاعةُ الآراء
كم ضِقْتَ ذرعاً بالحياة وكيدها   وهتفتَ بالشكوى من الضرَّاء
فَهَلُمّ فارقْ يأسَ نفسِك ساعة   واطلُعْ على الوادى شُعاع رجاء
وأشِرْ إلى الدنيا بوجهٍ ضاحكٍ   خُلِقَت أسِرّته من السَّراء
يا طالما ملأَ النَّدِىَّ بشاشة   وهدى إليك حوائجَ الفقراء
اليوم هادَنت الحوادثَ فاطَّرِح   عِبءَ السنين وألقِ عبءَ الداء
خلَّفت فى الدنيا بياناً خالداً   وتركت أجيالاً من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ولم يزل   للدهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاء

---

(١) نجلت : أى ولدت   (٢) هو أبو عبادة البحترى الشاعر العباسى المشهور ؛ والطائى هو حبيب الطائى المشهور بأبى تمام   (٣) البؤساء : كتاب لفكتور هيجو عربه الفقيد

محمد تيمور *

ضربوا القِباب على اليباب   وثوَوْا إلى يوم الحساب[١]
همَـــدوا وكلٌّ محركٍ   يوماً سيسكن فى التراب
نزلوا على ذئب البِــلى   فتضـــيفوا شرّ الذئاب
وكأنهم صرعى كرى   بالقاع أو صرعى شراب
فاذا صحـــوْا وتنبهوا   فالله أعـــلم بالمآب

* * *

من كل منفضّ الوفو   د هناك مهجورِ الجناب
موروث كل مَضـــنَّةٍ   إلا الذخيرة من ثواب[٢]

* * *

يا نائحـــاتِ محمـــد   تحتنّـــه غضّ الإهاب
فى مأتم لم تخل فيـــه المكرماتُ من انتحاب
تبكى الكريمَ على العشيـ   رة والحبيبَ إلى الصحاب
حسْب الحِمامِ دموعكنّ   ن المستهِلّةُ من عتاب[٣]

(*) محمد تيمور أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه فى سنة ١٩٢١

(١) القباب جمع قبة ، والمقصود بضرب القباب هنا هو الكناية عن المقبرة

(٢) المضنة : هى الشيء النفيس يكون موضعاً للضن به   (٣) الحمام بكسر الحاء : الموت

فارجعْن فيه لحكمة ··· أو جئْن فيه إلى احتساب
فى العالم الفانى مصيـ ··· ـر العالمين إلى ذَهاب
من سار لم يَثْنِ العنا ··· ن ومن أقام الى اقتراب

***

يا وارث الحسب الصميـ ··· ـم وكاسبَ الأدب اللباب
وابنَ الذى عِلم الرجا ··· لُ حياءه من كل عاب(١)
وكأنه فى كتبـه ··· عثمانُ فى ظل الكتاب(٢)
ماذا نقمت من الشبا ··· ب وأنت فى نِعم الشباب
مُتحلِّيا هبةَ النبو ··· غ مطوّق المنح الرِّغاب
ولم الترحلُ عن حيا ··· ة أنت منها فى ركاب
لم تعـد شاطئها ولم ··· تبلغ إلى ثبج العُباب(٣)

***

رفقـاً على محزونة الـ ··· أبياتِ موحشة الحِجاب(٤)
فقدتك فى العمر الطريـ ··· ـر وفى زها الدنيا الكعاب(٥)

---

(١) هو ابن المرحوم أحمد باشا تيمور كان عالماً بحاثاً اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أثمن الكتب (٢) يشبه والد الفقيد فى اقباله على الكتب فى شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذى مات والكتاب العزيز فى يده (٣) العباب : البحر، وثبجه هو وسطه

(٤) موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة . يقول : إن خدرها اقفر من الأنس حتى صار يبعث الوحشة والهلع فى قلب صاحبته

(٥) العمر الطرير : هو سن الشباب ، ويقصد بقوله الدنيا الكعاب أنه كان يعيش فى دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها

تبكى وتنـــدُب إلفها ... بين الأفانين الرطاب
وانظـــر أباك وثُـكله ... ورزوجه تحت المصيـــاب
لو كان يملك سرّ يوشع ... ردّ شمسَك من غياب[(١)]

* * *

أعلمتَ غيرك من حلا التمـــثيل فى جُدد الثياب
وكسبا غرائب جيـــده ... حُللا من الجزل العُجاب
متميزاً حيـن التميـ ... ـز ليس من أرب الشباب
أفق العلا كنتَ الشها ... بَ عليه لا ذَنبَ الشهاب
يا رُبّ يوم ضــاق ذر ... عك فيه بالحسد الغضاب
سَـفهم فأنتَ جمعتَهم ... الشهـــدُ مائدةُ الذباب
خُذ منهم نقـــد العفا ... ف ودَع لهم نقد السِّباب
دون النبـــوغ وأوجـه ... مالا تَعُـد من الصعاب
فإذا بلغت الأوج كنـــت الشمس تهزأ بالضباب[(٢)]

* * *

لا تبعدنّ فهــــذه ... آمال قومك فى اقتراب
اشرُف بروحك فوقهم ... ملَكا يرفرف فى السحاب

---

(١) يوشع كما فى التوراة هو يشوع بن نون اصطفاه الله وأرسله لبنى إسرائيل بعد موسى ، وأمره بمحاربة الجبارين ، ففى بعض وقائعه ابتهل إلى الله أن تقف الشمس حتى ينتقم من أعدائه ، فوقفت ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك (٢) الأوج : العلو

وانظر بعين نُزِّهت ... عن زُخرف الدنيا الكذاب
تَرَ من لِداتك أمةً ... كست الديار جلال غاب(١)
أُسْد تجول بغير ظُفـ ... ـر أو تَصول بغير ناب(٢)
جعلوا الثباتَ سلاحهم ... نعم السلاحُ مع الصواب
أمّا الأمور فإنها ... بلغت إلى فصل الخطاب
فإذا ملكت توجُّهًا ... لله في قُدس الرحاب
سل فاتحَ الأبواب يفـ ... ـتح للكنانة خيرَ باب

---

(١) لدات الإنسان هم المقاربون له في السن . والغاب جمع غابة وهي مأوى الآساد
(٢) يصف شباب الأمة المصرية في ثورة سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠

يعقوب صروف *

سماؤك يا دنيا خِداعُ سَرابِ ... وأرضك عمران وشيك خرابِ (١)

وما أنت إلا جيفة طال حولَها ... قيام ضِباع أو قعودُ ذئاب

وكم ألجأ الجوعُ الأسودَ فأقبلت ... عليك بظُفر لم يعف وناب

قعدت من الأظعان في مقطع الثرى ... ومرُّوا ركاباً في غبار ركاب

وجُدت عليهم في الوداع بساخر ... من اللّحظِ عن ميت الأحبة نابي (٢)

أقاموا فلم يؤنسك حاضرُ صحبةٍ ... ومالوا فلم تستوحشي لغياب

تسوقين للموت البنين كقائد ... يرى الجيش خلقاً هيِّناً كذباب

رأى الحرب سلطاناً له وسلامةً ... وإن آذنت أجناده بتباب (٣)

ولولا غرور في لُبانك لم يجد ... بَنوك مذاق الضرّ شهدَ رُضاب (٤)

ولا كنتِ للأعمى مَشاهدَ فتنةٍ ... وللمُقْعد العانى مجال وثاب (٥)

ولاضل رأى الناشئ الغِرّ في الصبا ... ولا كرّ بعد الفرصةِ المتصابي

(*) هو الدكتور يعقوب صروف أحد صاحبي مجلة المقتطف وجريدة المقطم . كان متبتلا للعلم معدوداً فى طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان ، توفى سنة ١٩٢٨

(١) السراب : هو ما يرى فى وسط النهار كأنه الماء . وشيك : سريع

(٢) ناب : كليل (٣) يقال آذنته بكذا أى أنذرته ، والتباب : الهلاك

(٤) اللبان بتشديد اللام مضمومة : جمع لبانة ، وهى الحاجة يطلبها الانسان من غير احتياج إليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . والرضاب : هو ريق الانسان مادام فى فمه

(٥) العانى : المقيد ، ومن هنا سمى الأسير بالعانى لأن من شأنه أن يقيد

ولا حسبَ الحفّارُ للموتِ بعدَ ما ... بنَى بيديْه القبرَ ألفَ حساب
يقولون يَرثى كلّ خِلٍ وصاحب ... أجلْ إنما أقضى حقوقَ صِحابى
جزيتُهمو دمعى فلما جَرى المَدى ... جعلتُ عيونَ الشعرِ حسنَ ثوابى
كفى بذُرى الأعوادِ منبرَ واعظ ... وبالمستقلّيها لسانَ صَواب[1]
دعوتُك يا يعقوب من مَنزِلِ البِلى ... ولولا المنايا ما تركتَ جوابى
أذَكَّرَكَ الدنيا وكيفَ ولم يزل ... لها أثرا شهدٍ بفيكَ وصاب[2]
حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً ... وسُقنا كتابَ الحمدِ يتلو كتاب[3]
وما انفكّت الدنيا وإن قل لبثُها ... لسانَ ثوابٍ أو لسانَ عِقاب
ألا فى سبيلِ العلمِ خمسونَ حِجةً ... مضت بين تعليمٍ وبين طِلاب
قطعتَ طِوالَ ليلِها ونهارِها ... بآمال نفسٍ فى الكمال رغاب
رأى اللهُ أن تُلقى إليك صحيفةٌ ... فنزهتَها عن هَوشةٍ وكِذاب[4]
ولم تتّخذها آلةَ الحقدِ والهوى ... ولا مُنتدَى لغوٍ وسُوقَ سِباب
مشينا بنورىْ علمِها وبيانها ... فلم نَسْرِ إلا فى شُعاعِ شِهابِ
وعشنا بها جيلين قمتَ عليهما ... معلّمَ نشءٍ أو إمامَ شَباب
رسائل من عَفوِ الكلام كأنّها ... حواشى عُيونٍ فى الطُّروسِ عِذاب[5]

(١) بالمستقليها : أى براكبيها (٢) الشهد : عسل النحل ، والصاب : هو المر
(٣) إشارة إلى الاحتفال بالفقيد فى اليوبيل الفضى لمجلته المقتطف . والغار ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل للظافرين (٤) هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق أمجد صحيفة علمية أدبية فى الشرق العربى كله وكان الفقيد مختصاً بتحريرها (٥) قوله كأنها حواشى عيون الخ . العيون : هى عيون الماء ويقصد بحواشيها النباتات والزهور التى تنبت حواليها

هى المحضُ لا يَشقى به ابنُ تميمة   غذاءٍ ولا يشقى به ابن خِضاب[1]
سهولٌ من الفُصحى وقفتَ بها الهوى   على ما لديهـــا من رُبى وهِضاب
وماضِعتَ بين الشرقِ والغرب مِشيةً   كما قيل فى الأمثال حجلُ غراب
فلم أرَ أنقى منك سُمعـةَ ناقلٍ   إذا وسَم النقـلُ الرجالَ بِعاب
وكم أخذ القولَ السرىَّ مُعرّبٌ   فـا ردَّه لاسمٍ ولا لِنصاب
وفَدْتَ على الفُصحَى بخيرات غيرها   فواللهِ ماضاقت مناكبَ باب
وقدْماً دنَت يونان منها (وفارسٌ)   (وروما) فحلّوا فى فسيح رحاب
تبتّلْتَ للعـلم الشريفِ كأنه   حقيقةُ توحيـدٍ وأنت صَحابى
وجشّمتَ ميدان السياسة (فارساً)   وكلُّ جوادٍ فى السياسة كابى[2]
وكنا ونمرٌ فى شغاب فلم يزَل   بنا الدهر حتى فضَّ كلَّ شغاب
رأى الثورة الكبرى فسلَّ يراعَه   لتحطيم أغلال وفكِّ رقاب[3]
وما الشرق إلا أسرةٌ أو عشيرة   تلمُّ بنيهـا عنـــد كل مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخ الشيوخ ورحمةٌ   تحدَّرُ من أعطاف كلِّ سحاب

---

(١) المحض : هو الخالص من كل شىء ، وابن تميمة وابن خضاب يقصد بالأول اليفع الناشئ ، والثانى هو الشايب الذى يخضب شعره (٢) المقصود بفارس فى هذا البيت هو الدكتور فارس نمر الشريك الثانى للفقيد فى مجلتى المقتطف والمقطم ، ولكنه هو الشريك المختص بالسياسة كما كان الفقيد مختصاً بالعلم ، وقوله وكل جواد فى السياسة كابى ، إشارة رقيقة إلى المثل القائل لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوه (٣) يريد أن الدكتور نمر لم يشاغب حباً فى المشاغبة ، ولكنه كان متأثراً بفكرة عامة

ورفّافُ ريْحان يروحُ ويغتدى   على طيّباتٍ فى الخِلال رِطاب
وذكرى وإن لم ننسَ عهدكَ ساعةً   وشوقٌ وإن لم نفتكر بإياب
وَوَيْحَ السّوافى هل عرضن على البِلَى   جبينَك أم ستَرنَهُ بحجاب (١)
وهل صُنَّ ماءً كان فيه كأنه   حياءُ بتولٍ فى الصّلاة كَعابِ (٢)
ويَا لحياةٍ لم تدَع غير سائلٍ   أكانت حياةً أم خليةَ داب (٣)
وأين يدٌ كانت وكان بنانُها   يراعةَ وشيٍ أو يراعةَ غاب
ولهفى على الأخلاق فى رُكن هيكل   ببطن الثرى رثّ المعالم خابى

* * *

نَعيش ونَمضى فى عذابٍ كلذّة   من العيش أو فى لذة كَعَذاب
ذهبنا من الأحلام فى كل مذهب   فلما انتهينا فُسِّرتْ بذَهاب
وكل أخى عيشٍ وإن طال عيشُهُ   تُرابٌ لعَمرُ الموتِ وابنُ تراب

---

(١) السوافى : الرياح   (٢) البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا إلى الله تعالى
(٣) الداب بمعنى الدأب

حسين شيرين بك (*)

أرأيتَ زينَ العابدين مُجهَّزاً　　نقلوه نقلَ الوردِ من محرابه (١)
من دار توْأمِه وصِنو حياته　　والأول المألوف من أترابه (٢)
ساروا به من باطل الدنيا إلى　　بَحبوحة الحقِّ المبينِ وغابه (٣)
ومضَوْا به لسبيل آدمَ قبلَه　　ومصايرِ الأقوام من أعقابه
تَحنو السماءُ على زكىٍّ سريره　　ويَمَسُّ جيدَ الأرض طيبُ ركابه
وتَطيب هامُ الحاملين وراحهُم　　من طيب مَحملِه وطيبِ ثيابه
وكأن مصرَ بجانبيه ربوةٌ　　آذارُ آذنها بوشْك ذَهابه
ويكاد من طربٍ لعادته الندَى　　ينسلُّ للفقراء من أثوابه (٤)
الطيبُ بن الطيبين وربما　　نضح الفتى فأبان عن أحسابه
والمؤمنُ المعصوم فى أخلاقه　　من كل شائنة وفى آدابه

(*) حسين بك شيرين كان مثالا عالياً من أمثلة مكارم الأخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى وقد توفى فى سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه اسماعيل بك شيرين

(١) أراد تشبيهه بعلى زين العابدين ابن سيدنا الحسين رضى الله عنهما ، وفى زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال لا قط إلا فى تشهده　　لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وتجهيز الميت : تهيئته للقبر　(٢) الصنو : الأخ الشقيق ، والتوأم : المولود مع غيره فى بطن ، وهذه حال الفقيد مع أخيه ، والأتراب لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا فى سن متقاربة معه　(٣) بحبوحة المكان : وسطه　(٤) الندى : الكرم

أبداً يراه الله فى غلَس الدُّجى   فى صَحن مسجِده وحولَ كتابه
ويَرى اليتامى لائذين بظله   ويرى الأراملَ يَعتصِمن ببابه
ويراه قد أدّى الحقوق جميعَها   لم يَنس منها غير حق شبابه
أدّى من المعروف حِصَّة أهله   وقضى من الأحساب حق صِحابه(١)

* * *

(مهويش) أين أبوكِ هل ذهبوا به   لِمَ لم يَعُد أيّانَ يومُ إيابه؟(٢)
قد وكَّل اللهَ الكريمَ وعينَه   بك فاحسبيه على كريم رحابه
ودعِى البُكا يَكفيه ما حمَّلتِه   من دَمعك الشاكى ومن تسكابه
ولقد شرِبتِ بحادث ياطالما   شربتْ بناتُ العالمين بصابه
كل امرئٍ غادٍ على عُوّاده   وسؤالِهم ما حالُه ماذا به؟
والمرء فى طلب الحياة طويلة   وخُطى المنيـة من وراء طِلابه
فى بِرّ (عَمك ِ) ما يقوم مكانَه   فى عطفه وحنـانه ودعابه

* * *

(اسكندرية) كيف صبرُكِ عن فتًى   الصبر لم يُخلق لمثـل مُصابه(٣)
عطِلت سماؤكِ من بريق سحابها   وخَبا فضاؤكِ من شُعاع شهابه
زينُ الشباب قَضى ولم تتزوّدى   منـه ولم تتمتعى بقرابه

(١) المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين
(٢) اسم تركى وهو علم على ابنة الفقيد   (٣) كان الفقيد من الاسكندرية منشأ، وعضو بمجلس بلديتها

قد ناب عنك فكان أصدقَ نائبٍ … والشعبُ يهوى الصدقَ فى نُوّابه

أعلمتِــــه اتّخذ الأمانة مرةً … سبباً يبلّغـــــه إلى آرابه

لو عاش كان مؤمَّلا لمواقفٍ … يرجو لها الوادى كِرامَ شبابه

يجلو على الألباب هِمّةَ فكرِه … ويُناوِل الأسماعَ سِحرَ خطابه

ويفى كديدنه بحق بلاده … ويفى بعهد المسلمين كدابه[1]

* * *

تقواكَ (اسماعيل) كلُّ عَلاقة … سَيَبُتُّها الدهرُ العضوضُ بنابه[2]

إن الذى ذُقتَ العشــيةَ فقدَه … بتٌّ الليالى مُوجعاً لعــذابه

فارقتَ صِنوكَ مرتين فلاقِه … فى عالم الذكرى وبين شعابه[3]

من عادة الذكرى تَرُدُّ من النوى … من لا يدين لنا بطئٌ غيابه[4]

حلمٌ كأحلام الكرى وسِنانُه … مُستعذَب فى صدقه وكذابه

أسكُبْ دموعَك لا أقول استبقها … فأخو الهوى يَبكى على أحبـــابه

---

(١) الديدن : العاده (٢) اسماعيل بك شيرين شقيق المرثى
(٣) يشير هذا البيت إلى أن الفقيد كان مغتربا فى سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى
(٤) بطى : بمعنى بطىء

محمد عبد المطلب *

قام من علّتـه الشاكى الوصِب وتلقّى راحةَ الدهرِ التّعِب (١)

أيها النفس اصْبرى واسترجعى هتف الناعى بعبـد المطلب (٢)

نزل التُّربَ على مَنْ قبلَه كلُّ حىٍّ منتهاه فى التُّرب

ذهب اللّيّنُ فى إرشـادهِ كالأبِ المشفق والنّجدُ الحدِب

القريبُ العتبِ من معنى الرضا والقريب الجِدِّ من معنى اللعب

والأخُ الصادق فى الوُد إذا ظَهر الإخوان بالود الكذب

خاشع فى درسـه مُحتشِمٌ فَكِهٌ فى مجلس الصفو طرِب

قلّدَ الأوطانَ نشأً صالحاً وشباباً أهل دين وحسب

ربما صالَتْ بهم فى غدها صَوْلَةَ الدَّولَةِ بالجيش اللجب (٣)

جعـلوا الأقلام أرماحَهمو وأقاموها مقاماتِ القُضُب

لا يَميلون إلى البغى بها كيف يبغى من إلى العلم انتسب ؟

شاعرَ البـدوِ ومنهم جاءنا كلُّ معنًى رقّ أو لفظٍ عَذُب

(*) هو الأستاذ محمد عبد المطلب أستاذ الأدب فى مدرسة دار العلوم ، كان ينظم الشعر مؤثراً فى نظمه طريقة البادية ولذلك كان يلقب بشاعر البدو ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ، وأقيمت له حفلة تأبين ألقيت فيها هذه القصيدة

(١) يريد بالوصب المنصب من مرض أو من علو الهمة

(٢) الاسترجاع هو قول إنا لله وإنا إليه راجعون

(٣) الجيش اللجب الكثير العدد والعدة

قد جرت ألسُنُهُم صـــافيةً   جرَيانَ الماء فى أصـل العشُب
سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبع ومن   كُلفةِ الأقلام أو حشْوِ الكتب(١)
قد نزلت اليومَ فى باديةٍ   عَمَرت فيها (امرأ القيس) الحِقب(٢)
ومشى (المجنونُ) فيها سالياً   نفض اللّوعَةَ عنـه والوصَب(٣)
أعرِ الناسَ لساناً ينظموا   لك فيه الشعرَ أو يُنشِوا الخطب
قم صِـف الخلدَ لنا فى مُلكه   من جلال الخَلق والصُّنع العجب
وثمارٍ فى يواقيت الرُّبى   وَسُلافٍ فى أباريق الذهب(٤)
وانثُر الشـعر على الأبرار فى   قُدُس الساح وعُلويِّ الرحب
واستمر (رضوان) عُودَىْ قصب   وترنَّمْ بالقوافى فى القصب(٥)
واسقِ بالمعنى الهيا كما   تتساقَوْن الرحيقَ المنسكِبْ
كلما سبَّحت للعرشِ به   رَفعَ الرحمنُ والرُّسلُ الحجُب
قم تأمّل . هـــذه الدار وَفَى   لكَ من طُلابها الجمُّ الأرِب(٦)
وَفَتِ الدارُ لبانى رُكنها   وقضى الحقَّ بنو الدار النُّجُب(٧)
طلبوا العـــلم على شيْخهمُ   زمناً . ثم إذا الشيخ طُلب
غاب عن أعينهم لكنه   ماثلٌ فى كل قلبٍ لم يغِب

---

(١) العنت : المشقة (٢) امرؤ القيس : الشاعر الجاهلى المعروف
(٣) المجنون : مجنون ليلى من شعراء البادية كامرىء القيس
(٤) يواقيت الربا : الأكمام المتفتحة بالورود والثمار التى تشبه الياقوت . والسلاف : الخمر
(٥) رضوان : هو الملك القائم على الجنة ، والقصب : المزمار أو الناى الذى يترنم به
(٦) الجم الأرب : أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء (٧) النجب : جمع نجيب

صورةٌ مُحْسِنَةٌ ما تختفى   ومثالٌ طيبٌ ما يحتجب
رجلُ الواجبِ فى الدنيا مضَى   يُنْصِفُ الأُخرى ويقضى ما وجب
عاش عيش الناس فى دنياهُمُو   وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخذ الدرسَ الذى لُقِّنَــه   عجمُ الناس قديماً والعرب

رثى جدته*

خُلقنا للحياة وللممات ... ومن هـذين كلُّ الحادثات

ومن يُولدْ يَعشْ ويمُتْ كأنْ لم ... يمر خيـــالُهُ بالكائنات

ومهد المرء فى أيدى الرواقى ... كنعش المرء بين النائحات(١)

وما سلِم الوليـد مِن اشتكاء ... فهـل يخلو المعمر من أذاة(٢)

هى الدنيا قتالٌ نحن فيه ... مقاصـــد للحسام وللقَناة

وكلُّ الناس مدفوعٌ إليه ... كما دُفع الجبانُ إلى الثبات

نُروَّع ما نروِّع ثم نُرمَى ... بسهمٍ من يد المقدور آت

صلاة الله يا (تمزار) تجزى ... ثراكِ عن التلاوة والصلاة

وعن تسعين عاماً كنت فيها ... مثالَ المحسنات الفُضليات

بررتِ المؤمناتِ فقال كلٌّ ... لعلك أنت أمُّ المؤمنات

وكانت فى الفضائل باقياتٌ ... وأنت اليوم كلُّ الباقيات

(*) جدته : هى المرحومة الست (تمزار) معتوقة حتمكان ابراهيم باشا والى مصر ، وسترى فى القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المنزلة العالية

(١) المهد : الموضع يهيأ للطفل ، والرواقى جمع راقية والراقية عنـــد العرب هى الأم أو نحوها ، تضع التمائم والتعاويذ على الطفل حفظاً له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم

(٢) المعمر . هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هـذه الأبيات الثلاثة : إن الدنيا لا ثبات لها ؛ فالانسان فيها كأنه خيال بل كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر لقاء الأقدار سواء ، فلا شىء يرد الموت ولا يمنع القدر

تبنَّاكِ الملوكُ وكنتِ منهم ... بمنزلة البنينَ أو البنات
يُظلُّون المناقب منكِ شتى ... ويؤوون التقى والصالحات
وماملكوكِ في (سوق) ولكن ... لدى ظل القنا والمرهفات
عَنَت لهم (بمورة) بنتَ عشر ... وسيفُ الموت في هام الكُماة[1]
فكنتِ لهم وللرحمن صيدا ... وواسطةً لعقد المسلمات
تَبعتِ محمداً من بعد عيسى ... لخيرك في سنيك الأوليَات
فكان الوالدان هدى وتقوى ... وكان الولد هذى المعجزات
ولو لم تَظهرى في العُرب إلاَّ ... بأحمدَ كنت خيرَ الوالدات[2]
تجاوزتِ الولائد فاخراتٍ ... إلى فخر القبائل واللغات
وأحكم من تحكّم في يراع ... وأبلغ مَن تبلّغ مِن دواة
وأبرأ مَن تبرأ من عداء ... وأنزه من تنزّه من شمات
وأصون صائن لأخيه عِرضاً ... وأحفظ حافظٍ عهد اللدات
وأقتل قاتل للدهر خُبْرا ... وأصبر صابر للغاشيات

(١) عنت لهم . . الخ مأخوذة من قولهم عن الصيد للصائد إذا ظهر . (مورة) علم على صقع بعينه هو الوطن الأول لجدته ، والكماة جمع كمى : وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال أن جدته كانت متبناه للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : إنها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهى لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها حيث أكرمها الله فنشأت مسلمة ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم (٢) أحمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء يقول لجدته في هذا البيت : إذا لم يكن لك نسب في العرب إلا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . ولقد وضع هذا البيت نفسه توأماً لبيت المتنبي الذى يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لى أما

كأنى والزمانُ على قتال ... مُساجلةً بمَيدان الحياة[1]
أخاف إذا تثاقلت الليالى ... وأُشفق من خفوف النائبات
وليس بنافعى حذَرى ولكنْ ... اباءٌ أن أراها باغتات
أمأمونٌ من الفَلك العوادى ... و (برجلُه) يخُط الدائرات
تأمل هل ترى إلا شِباكا ... من الأيام حولك مُلقَيات ؟
ولو أن الجهات خُلقن سبعاً ... لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لعاً للنعش لا حُبًا ولكن ... لأجلكِ يا سماء المكرمات[2]
ولا خانته أيدى حامليه ... وإن ساروا بصبرى والأناة
فلم أر قبله المريخَ مُلقَى ... ولم أسمع بدفن النيّرات
هناك وقفتُ أسألك اتئادا ... وأمسك بالصِّفات وبالصَّفاة[3]
وأنظرُ فى ترابك ثم أَغضى ... كما يغضى الأبىُّ على القَذاة
وأذكر من حياتك ما تقضّى ... فكان من الغَداة إلى الغداة

---

(١) المساجلة فى القتال هى من قولهم : الحرب سجال يوم لك ويوم عليك
(٢) لعاً كلمة دعاء تقال للعاثر ، تقول : لعاً له إذا أردت سلامته ولا لعاً له إذا أردت غير ذلك
(٣) الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر

محمد عبده (*)

مُفسِّرَ آى الله بالأمس بيننا ‎ ‎ ‎ ‎ قم اليومَ فسِّر للورى آية الموت
رُحمتَ مصيرُ العالمين كما ترى ‎ ‎ ‎ ‎ وكلٌّ هناء أو عزاء إلى فوت
هو الدهر ميلاد فشغل فمأتم ‎ ‎ ‎ ‎ فذكر كما أبقى الصَّدى ذاهبُ الصوت (١)

(*) هو الأستاذ الامام محمد عبده مفتى الديار المصرية ، توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف

(١) يقول : إن الانسان يشبه الصوت وذكره من بعده يشبه الصدى والصدى هو ما يرد على المصوت شبيهاً بصوته ، ويقال له الرجع أيضاً

رياض باشا (*)

مَماتٌ فى المواكب أم حياةُ ونعش فى المناكب أم عِظات

ويومُك فى البرية أم (قيام) وموكبك الأدلَّة والشيات[1]

وخطبك (يا رياض) أم الدّواهى على أنواعها والنّازلات

يَجِل الخطْبُ فى رجل جليلٍ وتكبرُ فى الكبير النائبات

وليس الميْتُ تبكيه بلاد كمن تَبكى عليه النائحات

* * *

وهل تَلقى منَاياها الرواسى فتَهوِى ثم تُضمرها فَلاة[2]

وتُكسَر فى مراكزها العوالى وتُدفَن فى التراب المرهَفات[3]

ويُغشَى الليثُ فى الغابات ظُهرا وكانت لا تقر بها الحصاة

ويَرمى الدهرُ (نادى عين شمس) ولا يَحمى لواءهمو الرُّماة[4]

أجلْ حُمِلت على النعش المعالى ووُسِّدت الترابَ المكرُمات

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث فى مصر منذ الخديوى اسماعيل الى أواخر حكم عباس الثانى تقريباً ، فتاريخه فى الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن

(١) الشيات جمع شيه : وهى العلامة ، يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة (٢) الفلاة : الصحراء (٣) العوالى : الرماح ، والمرهفات : السيوف (٤) نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين رداً على المؤتمر الذى أقامه أعيان القبط فى فترة من الخلاف وقعت بين الطائفتين المصريتين لا أعادها الله

وحُمّلت المدافعُ ركنَ سلم … يشـــيّعه الفوارسُ والمُشاة

وحَلَّ المجـــدُ حفرتَه وأمسى … يطيف به النوائحُ والبُكاة

***

هوَى عن أوْج رفعتِه (رياض) … وحازته القرونُ الخاليات

كأنْ لم يملأ الدنيا فعالا … ولا هتَفت بدولتـــه الرُّواة

نعَاه (البرق) مُضطرباً فماجت … نجوم فى السماء مُحلّقــات

كأن الشمسَ قد نُعِيت عَشاء … إليها فهى حَسْرى كاسفات

صحيفـــةُ غابرٍ طُويت وولّت … على آثار من دَرجوا وفاتوا

يقول الآخرون إذا تلَوْها … كذلك فَلْيلِدْنَ الأمهات

جزى الله الرضا أبوَىْ (رياضٍ) … هما غرَسَا وللوطن النبات

بنو الدنيا على ســـفرٍ عقيم … وأســـفارُ النوابغِ مرجعات

أرى الأموات يجمعُهم نشورٌ … وكم بُعث النوابغُ يوم ماتوا

صلاحُ الأرض أحياء وموتى … وزينتُها وأنجمها الهُـــداة

قرائحهم وأيديهم عليهـــا … هدًى ويسارةٌ ومُحسّـــنات

فلو طُلبت لهم دِيةٌ لقالت … كنوزُ الأرض نحن هى الدِّيات

***

أبا الوطنِ الأسيفِ بَكتك مصرَ … كما بكت الأبَ الكهفَ البنات

قضيتَ لها الحقوق فتًى وكهلا … ويوم كبِرتَ وانحنتِ القَناة

ويومَ النهيُ للامراء فيها ... ويوم الآمرونَ بها العُصاة[١]

فكنت على حكومتها سِراجًا ... إذا بَسطَت دُجاها المُشكِلات

يزيد الشيبُ نفسَك من حياة ... إذا نقصت مع الشيب الحياة

وتملأك السنون قُوًى وعزمًا ... إذا قيل السنون مُثبِّطات

كسيفِ الهندِ أبلَى حين فلّت ... ورقّت صفحتاه والظُّبات[٢]

رفيعُ القــدر بالامصار يُرْنى ... كما نظرت إلى النّجم السُّراة[٣]

كأنك فى سماء المُلك (يحيي) ... وآلُك فى السماء النـيِّرات[٤]

تسوس الأمرَ لا يُعطَى نفاذًا ... عليك الآمرونَ ولا النُّهاة

إذا الوزراء لم يُعطوا قِيادا ... نبذتَهمو كأنهـم النَّواة

زَماعٌ فى انقباضٍ فى اختيالٍ ... كذلك كان (بسمرك) الثبات[٥]

صفات بلّغتك ذُرى المعالى ... كذلك ترفع الرجلَ الصفات

وجدتَ المجـدَ فى الدنيا لواء ... تلقّاه المقـاديمُ الأُباة

ويَبقى الناسُ ما داموا رعايا ... ويبقى المُقدِمونَ همو الرُّعاة

* * *

(رياضُ) طويتَ قرنًا ما طوته ... مع (المأمون) (دِجلةُ) و (الفُرات)[٦]

---

(١) يشير الى أيام الثورة العرابية فى مصر والى لون الحكم قبيل تلك الثورة

(٢) الظباة جمع ظبة بضم الظاء : حد السيف (٣) السراة بضم السين مشددة جمع سارى ، ولا يكون السرى إلا للمشى بالليل (٤) هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد

(٥) بسمرك : وزير ألمانى ضرب مثلا فى الحنكة والمهارة السياسية . والزماع هو الذى يزمع الأمر فى جرأة وإقدام ثم لا ينثنى (٦) هو المأمون العباسى ، ودجلة والفرات نهران بالعراق

تمنَّت منـــه أياماً تحلَّى بهـا الدولُ الخوالى الباذخات
وودّ (القيصران) لو ان (روما) عليها من حَضارته سِمات[1]
حبـاكَ الله (حاشيتَيه) عُمْرا وأعمـارُ الكرام مبارَكات
فقمتَ عليـه تَجربةً وخُبرا ومدرسةُ الرجال التّجربات
تَمرُّ عليـك كالآيات تترى صنائعُ أهلِه والمحدَثات
فأدركتَ (البخار) وكان طفلا فشبَّ فبايَعتْـه الصافنات[2]
تُجاب على جناحيْـه الفيافى وتَحكُم فى الرياح المُنشَـآت
ويُصعَد فى السماء على (بروج) غدًا هى فى العوالم بارجات[3]
وبَيْنا الكهرُباءُ تُعَـد خَرقا إذا هى كل يومٍ خارقات
ودان البحرُ حتى خيض عُمقا وقيدت بالعنانِ السافيات[4]
وبُلّغتِ الرسائلُ لا جَنـاح يجوب بهـا البحارَ ولا أداة
كأَن القُطرَ حين يجيب قطرا ضمائر بينهـا متناجيات

***

رهينَ الرّمس حدثْنى مَليًّا حديث الموتَ تَبدُ لىَ العِظات[5]
هو الخبرُ اليقين وما سواه أحاديثُ المنى والترّهات[6]
سألتك ما المنيـة أىُّ كأسٍ وكيف مَذاقُهـا ومَن السّقاة
وماذا يوجس الانسانُ منهـا إذا غَصّت بعلقمها اللهـاة[7]

(١) سمات : علامات (٢) الصافنات : الخيل (٣) البروج : يقصد الطائرات
(٤) العنان : الزمام . والسافيات : الرياح (٥) الرمس : القبر (٦) الترهات : جمع ترهة بتشديد الراء مفتوحة وهى الباطل (٧) اللهاة بفتح اللام مشددة موضع الحلق من داخل الفم

وأىُّ المصرعينِ أشدُّ موتٌ ... على علم ؟ أم الموتُ الفوات[١]
وهل تقع النفوسُ على أمانٍ ... كما وقعت على (الحرم) القَطاة[٢]
وتخلُد أم كزعم القوم تبلى ... كما تَبلى العظامُ أو الرُّفات
تعالى الله قابضُها إليـــه ... وناعشها كما انتعش النَّبات
وجازيها النعيمَ حِمًى أمينا ... وعيشاً لا تكدِّره أذاة
أمثلُك ضائقٌ بالحق ذَرعًا ... وفى بُرديك كان له حُماة[٣]
أليس الحقٌّ أن العيش فانٍ ... وأن الحىَّ غايتُـه الممات
فنَم ماشئت لا توحشْك دُنيا ... ولا يُحزنْك مِن عيشٍ فَوات
تصرّمتِ الشبيبةُ والليالى ... وغاب الأهلُ واحتجب اللِّدات
خلَت (حِلميةٌ) ممّن بناها ... فكيف البيتُ حولك والبنات[٤]
أفيه من (المحلة) قوتُ يوم ... ومِن نِعمٍ ملأْن (الطودَ) شاة[٥]
وهل لك من حريرها وِسادٌ ... إذا خَشُنت لجنبيْك الصَّفاة[٦]
تولّى الكلُّ لم ينفعك منه ... سوى ما كان يلتقط العُفاة
عبادُ الله أكرمُهم عليـــه ... كرامٌ فى بريّتــه أُساة
كمائدة المسيح يقوم بؤس ... حواليها وتقعد بائسات

---

(١) موت الفاجئات (٢) القطاة : الحمام أو طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به (٣) جمع حمة وهى الابرة يضرب بها النحل ونحوه (٤) الحلمية حيث كانت دار الفقيد ، وقوله : وكيف البيت حولك والبنات ، يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك (٥) المحلة : هى محلة روح قرية فى اقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد أملاك الفقيد الواسعة (٦) الصفاة : الحجر ، والمقصود به هنا هو القبر

أخذتُك فى الحيـاة على هنات ... وأىُّ الناس ليس له هنات[١]
فصفحاً فى التراب إذا التقينا ... ولُوشِيَتِ العَـداوة والتِّرات
خُلقتُ كأنى (عيسى) حرامٌ ... على قلبى الضغينةُ والشّمات
يُساء إلىّ أحيـــانًا فأمضى ... كريمًا لا أقوت كما أُقات
وعَقدى للرجال وإن تجافَوا ... منازلُ فى الحفاوة لا تفات

***

طلعت على(النّدىّ)(بعين شمس) ... فوافتها بشمسيْن الغَـــداة
على ما كان يَندو القومُ فيهـا ... تَوافى الجمعُ وائتمر السَّراة[٢]
تملّـكهم وقارُك فى خُشوع ... كما نَظمت مُقيميها الصَّلاة
رأيتَ وجوه قومك كيف جلّت ... وكيف ترعرعت مصرُ الفتاة
أُجيلَ الرأىُ بين يديك حتى ... تَبينت الرزانةُ والحَصـــاة[٣]
وأنت على أعِنّتهم قدير ... وهم بك فى الذى تَقضى حُفاة[٤]
إذا أبدى الشبابُ هوًى وزهواً ... أشار إليـــه حلمُك والأناة
فهلاّ قمت فى النادى خطيباً ... لك الكلمُ الكِبار الخالدات
تُفجِّر حكمة (التسعين) فيـه ... فأذانُ الشبيبة صاديات[٥]

---

(١) الهناة جمع هنة ، وهى الشىء الصغير . وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الأول من الشوقيات (٢) يندو القوم إذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديهم والسراة جمع سرى وهو السيد الشريف (٣) الحصاة : العقل والرأى (٤) الحفاة جمع حفى : وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء ، قال الله تعالى : كأنك حفى عنها أى سائل عنها باستقصاء (٥) التسعين : هى مدة عمر الفقيد . وصاديات أى ظامئات

تقول متى أرى (الجيران) عادوا ... وضُمَّ على الأخاء لهم شَتات(١)
وأين أولو النُّهى منا ومنهم ... عسى يأسَون ما جَرَح الغُلاة(٢)
مشَت بين العشيرة رُسْلُ شرٍّ ... وفرَّقت الظنونُ السيئات
إذا الثقةُ اضْمحلّت بين قومٍ ... تَمزقت الروابطُ والصِّلات
فثِق فعسى الذين ارْتبْت فيهم ... على الأيام إخوانٌ ثِقات
وربَّ مُحبَّبٍ لا صبرَ عنه ... بدت لك فى محبته بَداة(٣)
ومكروهٍ على أخذات ظنٍّ ... تُحببه إليك التجربات
بَني الأوطانِ هبّوا ثم هبوا ... فبعضُ الموت يَجلبه السُّبات(٤)
مشى للمجد خَطفَ البرقِ قومٌ ... ونحن إذا مشينا (السلحفاة)
يُعدّون القوى براً وبحرا ... وعُدتنا الأماني الكاذبات

---

(١) الجيران هم القبط والمسلمون فى مصر (٢) الغلاة : هم البالغون حد الافراط فى عقائدهم وآرائهم (٣) البداة من قولهم بدا لى فى هذا الأمر بداء أى ظهر لى فيه شيء (٤) السبات : النوم وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا

عثمان باشا غالب*

ضجّت لمصرعِ (غالب) ... في الأرض (مملكةُ النبات)
أمست (بتيجانٍ) عليه ... من الحِداد مُنكَّسات[1]
قامت على (ساق) لغيـ ... ـبته وأقعدت الجهات
في مأتم تَلقَى الطبيـ ... ـعةَ فيه بين النائحات
وترى (نجومَ الأرض) من ... جزعٍ موائدَ كاسفات
والزهرُ في (أكمامه) ... يبكي بدمع الغاديات
حُبست أقاحيُّ الرُّبى ... والعهدُ فيها مُومِضات[2]
وشقائقُ النعمان آ ... بت بالخدود مخمشات[3]
أمّا مصاب الطبِّ فيـ ... ـه فسل به مَلأَ الأُساة[4]
أودى الحِمامُ بشيخهم ... وما بِهم في المعضِلات

(*) عثمان باشا غالب كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار إليه بالبنان توفي في باريس سنة ١٩٢٠

(١) التيجان للنبات هي أكاليل الثمار — كالأكمام (٢) الأقاحي جمع الأقحوان ويطلق هنا على النبات أو الزهر ، ولكنه في الأصل علم على نبات بعينه ، والربى : جمع ربوة وهي المكان المرتفع (٣) شقائق جمع شقيقة وهي الموضع ينبت الأعشاب ، وشقائق النعمان موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الألوان والشيات مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه فقال هو لي فلم يعد أحد يحميه ، ومن ذلك سمي شقائق النعمان وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له شقائق النعمان ، والخدود في شقائق النعمان يقصد بها الورود وتخميشها يعني لطمها أو قطعها

(٤) الملأ : الجماعة من الناس . والأساة جمع آسي وهو الطبيب

مُلقِي الدروس المسفرا ... تِ عن الغُروس المثمِرات

قد كان حربَ الظلم حر ... بَ الجهل حرب الترّهات

والمُستضاء بنُوره ... فى الخافيات المُظلمات

علم الورى فى عامه ... فى الغرب مغترب الرفات

قد كان فيه محلّ إجلا ... لِ الجهابذةِ الثّقاة

وممثّلَ المصرىّ فى ... حظ الشعوب من الهِبات

قل للمريب إليك لا ... تأخذ على الحر الهنات

إن النوابغَ (أهلَ بد ... ر) مالهم من سيئات[1]

هم فى عُلى الوطنِ الأدا ... ةُ فلا تحط من الأداة

وهم الأولى جمعوا الضما ... ئرَ والعزائمَ من شَتات

لهم التَّجِلَّة فى الحيا ... ة وفوق ذلك فى الممات

(عثمانُ) قم تَرَ آيةَ ... اللهُ أحيا (الموميات)

خرجَت بنين من الثّرى ... وتحركت منه بنات

واسمع بمصر الهاتفِ ... ين بمجدها والهاتفات

والطالبين لحقها ... بين السكينة والثّبات

والجاعليها قِبلةً ... عند الترنُّم والصلاة[2]

(١) أهل بدر هم أول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوابغ بهم ووجه الشبه بينهما هو سبق كل منهما لاحراز أسمى مراتب الشرف والرفعة . تقول وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن إليه قبل شوقى حياه الله

(٢) الترنم : أحد ضروب العبادة فى المسيحية كالصلاة عند المسلمين

لاقوا أبوتَهم على غُرِّ المناقبِ والصفات
حتى الشباب تراهمُ غلبوا الشيوخَ على الأَناة
وزَنوا الرجالَ فكان ما أعطَوا على قدر الزِّنات[1]
قل للمغالط فى الحقا ئق حاضرٍ منها وآت
الفكرُ جاء رسولُه وأتى بإحدى المُعجزات
عينى الشعورِ إذا مشى ردَّ الشعوبَ إلى الحياة

---

(١) الزنات : جمع زنة : كعدة وهى المرة من الوزن

عبد الحى *

طُوِىَ البساطُ وجَفّت الأقداحُ ... وغدت عواطلَ بعدكَ الافراح (١)
وانفضّ نادٍ بالشآم وسامرٌ ... فى مصرَ أنت هَزاره الصّداح (٢)
وتقوّضت للفن أطولُ سَرْحةٍ ... يُغدَى إلى أفيائها ويُراح (٣)
والله ما أدرى وأنت وحيدُه ... أعليه يُبكى أم عليك يُناح
(إسحاقُ) مات فلاصَبوحَ و(معبد) ... أودى فليس مع الغبوق فَلاح (٤)
مَلِكُ الغِناء أزاله عن تختِه ... قدرٌ يُزيل الراسياتِ مُتاح
فى الترب فوق (بنى سويفَ) يتيمةٌ ... ومن الجواهر زيّفٌ وصِحاح (٥)
ما زال تاجُ الفن تيّاها بها ... حتى استبدّ بها الردى المُجتاح
لو تستطيع كرامةً لمكانها ... مَشت الرياضُ إليه والأدواح

* * *

رُحماكَ (عبد الحى) أمُّك شَيخةٌ ... قعدت وهِيض لها الغداةَ جَناح
كُسرت عصاها اليوم فهى بلاعصا ... وقضى فتاها الأجودُ المِسماح

(*) المرحوم عبد الحى المغنى ذاع صيته فى مصر وجاوزها إلى الأقطار العربية حتى عد وحيد عصره وإمام فنه . توفى سنة ١٩١٢ م

(١) طوى البساط : تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور (٢) الهزار طائر حسن الصوت وهو فارسى معرب عن هزار دستان (٣) السرحة : الشجرة العظيمة . والأفياء جمع فىء ، وهو من الشجر الظل والثمر (٤) إسحاق ومعبد : علمان على مغنيين . والصبوح : الشرب أول الصباح . والغبوق : الشرب بالعشى (٥) دفن الفقيد فى بنى سويف وهى بلدة مشهورة بالقطر المصرى . والجواهر الزائفة هى ضد الجواهر الصادقة الصحيحة

الله يعلمُ إن يكن فى قلبها ... جُرح ففى أحشاء مصرَ جراح
والناسُ مَبكىٌّ وباكٍ إثرَه ... وبُكا الشعوبِ إذ النوابغُ طاحوا
كان النّدامى إن شدوت وعاقروا ... سيانِ صوتُك بينهم والرّاح[1]
فيما تقول مُغنّيا ومُحدّثا ... تتنافسُ الأسماعُ والأرواح[2]
فارقتَ دنيا أرهقتك خسارةً ... وغنِمت قربَ الله وهو رَباح
يا مُخلفا للوعد وعدُك ماله ... عندى ولا لك فى الضمير بَراح
عبَثت به وبكَ المنيةُ وانقضى ... سببٌ إليه بأنسنا نَرتاح
لما بلغنا بالأحبّة والمنى ... بابَ السرور تَغيّب المِفتاح
زعموا نعيَّكَ فى المجامع مازحا ... هيهات فى ريْب المَنونِ مِزاح
الجِدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ ... عند المنيةِ يَجزَع المِفراح[3]
رَمَت المنايا إذ رمينك بلبلا ... أرداه فى شَرَك الحياة جِماح
آهاتُه حُرَقُ الغرامِ ولفظُه ... سجعُ الحَمام لو انهن فِصاح
وذبحن حنجرةً على أوتارها ... تُؤسى الجراحُ وتُذبح الاتراح
وفللن من ذاك اللسانِ حديدةً ... يَخشى لئيمٌ بأسَها وَوَقاح
وأبحن راحتَك البلى ولطالما ... أمسى عليها المالُ وهو مباح
روحٌ تناهت خِفةً فتخيرت ... نُزلاً تقاصرُ دونَه الأشباح
قُم غنِّ ولدانَ الجنانِ وحورَها ... وابعث صداك فكلُّنا أرواح

(١) الندامى : جمع نديم . وعاقروا من المعاقرة وهى شرب الراح . والراح : الخمر يشبه صوته بالخمر لأن كليهما مسكر (٢) يقول إن حديثه كان مثل غنائه والمأثور عن عبد الحى أنه كان فكه الحديث بارع النكتة (٣) المفراح : كثير الفرح

محمد ثابت باشا (*)

سِرْ أبا صالحٍ إلى الله واتْركْ   مصرَ فى مأتمٍ وحُزنٍ شديدِ
هـذه غايةُ النفوسِ وهـذا   مُنتهَى العيشِ مُرِّه والرغيـد
هل تَرى الناسَ فى طريقك إلا   نعشَ كهلٍ تلاه نعشُ وليـد
إنَّ أوهى الخيُوط فيما بدا لى   خيطُ عيشٍ معلَّقٌ بالوريد (١)
مُضـغةٌ بين خَفقـةٍ وسكونٍ   ودمٌ بين جريةٍ وجمـــود
أنزَلوا فى الثَّرى الوزيرَ وواروْا   فيـه تسعين حُجةً فى صـعود
كنت فيها على يدٍ من حرير   لِلَّيالى فأصبحت من حديد (٢)
قد بَلوناكَ فى الرئاسة حيناً   فبلوْنا الوزيرَ عبدَ الحميد (٣)
آخذاً من لسان فارسَ قسطاً   وافرَ القسم من لسان لَبيد (٤)
فى ظلال الملوك تُدنى إليهم   كلَّ آوٍ لظلِّكَ الممدود
لستَ من مَرَّ بالمعالم مَرًّا   إنمـا أنت دولة فى فقيـد

(*) هو أحد باشوات مصر الكبار . عاصر أكثر ولاة مصر من الأسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد أن عمر حوالى تسعين عاما

(١) الوريد شريان بكسر الشين : عرق رئيسى فى جسم الانسان ، ومغزى البيت إنه يشبه العروق فى جسم الانسان بالخيوط ليتوصل بذلك إلى إثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها   (٢) يد من حرير : كناية عن رفاهية العيش   (٣) بلوناك فى الرئاسة : أى اختبرناك . والوزير عبد الحميد : هو عبد الحميد الكاتب المشهور   (٤) القسم : هو العطاء أو الحظ ، ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض أن المرثى كان ملماً بالفارسية والعربية

ثم حدِّث عن السنين الخوالى … وفتوحِ المملَّكين الصِّيد[١]
والذى مرَّ بين حالٍ قديم … أنت أدرى به وحالٍ جديد
وصِفِ العزَّ فى زمانِ (على) … واذكرِ اليُمنَ فى زمان سعيد[٢]
كيف أسطولُهم على كل بحرٍ … وَسراياهُمُ على كلِّ بيد[٣]
قد توَلّوا وخلّفوك وَفيًّا … فى زمانٍ على الوفىِّ شديد
فالحقِ اليومَ بالكرام كريمًا … وَالقَهم بين جَنةٍ وَخلود
وَتقبَّل وداعَ باكٍ على فقْـ … ـدِكَ وافٍ لعهدِك المحمود

---

(١) الصيد جمع أصيد : وهو العزيز الجانب (٢) يريد زمان محمد على الكبير ورفاهة العيش فى زمن الخديوى سعيد باشا (٣) السرايا جمع سَرية بالياء المشددة مفتوحة : وهى القطعة من الجيش لا يزيد عددها عن الأربعمائة ، والبيد جمع بيداء : وهى الصحراء

محمد فريد بك*

كلُّ حيٍّ على المنيَّة غادى … تتَوالى الركابُ والموتُ حادى(١)
ذَهبَ الأولونَ قرْنًا فقرنًا … لم يدُم حاضرٌ ولم يَبق بادى(٢)
هل تَرى منهمو وتَسمعُ عنهم … غيرَ باقى مآثرٍ وأيادى(٣)
كُرَةُ الأرضِ كم رمَتْ صولجانا … وطوَت من ملَاعبٍ وجياد
والغُبارُ الذى على صفحتَيْها … دَورَانُ الرّحى على الأجساد(٤)
كلّ قبرٍ من جانبِ القفر يبدو … علم الحق أو منار المعَاد
وزِمام الركاب من كلّ فَجٍّ … ومحطُّ الرِّحالِ من كل وادى
تَطلع الشمسُ حيث تطلع نضْجا … وتُنحّى كمِنجَل الحصّاد(٥)
تلك حمراء فى السماء وهذا … أعوجُ النّصلِ من مِراس الجِلاد
ليت شعرى تَعمّدا وأصرّا … أم أعانا جنايةَ الميلاد

(*) محمد بك فريد الرئيس الثانى للحزب الوطنى هو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا بذلها إلى آخر درهم فى سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان وظل يجاهد إلى أن مات معدما فقيرا فى سنة ١٩٢٠ محكوما عليه بالنفى والتشريد حيث لم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلا ميتا

(١) الحادى : هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها (٢) الحاضر : هو ساكن الحضر . والبادى هو ساكن البادية (٣) الأيادى جمع يد ويقصد باليد العطية أو الصنيعة ولا تجمع اليد على أيادى إلا بهذا المعنى فاذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل أيدى (٤) المفهوم من المقام أن الرحى المقصودة هى رحى المنون فاكتفى بتعريفها بأل . كأنه يقول الرحى المعهودة
(٥) قوله وتنحى كمنجل الحصاد : أى هلالا شكله كالمنجل فى اعوجاجه

كذبَ (الأزهَرانِ) ما الأمرُ إلا قــدَرٌ رائحٌ بما شاء غَادِ (١)
ياحمـاما ترنّمت مُسعِداتٍ وبها فاقةٌ إلى الأسعادِ (٢)
ضاق عن ثُكلها البُكا فتغنّت ربّ ثـكلٍ سمِعتَه من شـادِ (٣)
الأناةَ الأناةَ كلٌّ أليفٍ سابقُ الإلفِ أو مُلاقى انفراد
هل رجعتُنّ فى الحياة لفهمٍ إن فهمَ الأمورِ نِصفُ السَّداد
سَقَمٌ مِن سَلامةٍ وعزاءٌ من هنـاء وفُرقةٌ من وِداد
يُجتَنَى شهدُها على أبرِ النحـ ـل ويُعشى لورْدها فى القَتادِ (٤)
وعلى نائمٍ وسهرانَ فيها أجـلٌ لا يَنام بالمِرْصاد
(لُبدٌ) صاده الرّدى وأظن الـ ـنّسر من سَهمه على ميعـادِ (٥)
ساقةَ النعشِ بالرئيس رُويداً موكبُ الموت مَوضعُ الاتّئادِ (٦)
كلٌّ أعواد مِنبرٍ وسريرٍ باطلٌ غير هـذه الأعواد
تستريح المطىُّ يوماً وهذى تنقلِ العالَمين مِن عهد عاد
لا وراءَ الجِياد زيدَت جَلالا منذ كانت ولا على الأجيـاد
أسألتم حقيبةَ الموت ماذا تحتهـا من ذَخيرةٍ وعتـاد

(١) الأزهران : الشمس والقمر (٢) الاسعاد : هو الاعانة تقول أسعدنى على كذا أى أعنى عليه (٣) الثكل هنا بمعنى الحزن : والشادى هو المغنى

(٤) القتاد : شجر صلب له شوك كالأبر (٥) لبد : بضم اللام وفتح الباء علم على آخر نسور لقمان : زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر كان آخرهم النسر المسمى لبد أما قوله وأظن النسر فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر وإنما يقصد أحد الكواكب فى السماء معروفة باسم النسر . يقول إن لكل كائن سهم من المنية مقدور (٦) ساقة الجيش أو ساقة النعش هم السائرون فى المقدمة والاتئاد بمعنى الترفق والتمهل

إنَّ فى طيها إمامَ صُفوف وحَوارىَّ نيّةٍ واعتقاد(١)
لو تركتُم لها الزمامَ لجاءت وحدَها بالشهيد دارَ الرّشاد
أنظروا هل تَروْن فى الجمع مِصرا حاسراً قد تجلَّلت بسواد
تاجُ أحرارِها غُلاما وكهلا راعَها أن تَراه فى الأصفاد
وسِّدوه التراب نِضْوَ سِفارِ فى سبيل الحُقوق نِضو سُهاد(٢)
واركِزوه إلى القيامة رُمحاً كان للحَشْد والنَّدى والطِّراد
وأقِرُّوه فى الصفائح عَضباً لم يَدِن بالقرار فى الأغماد
نازحَ الدارِ أقصرَ اليوم بَيْنٌ وانتهت محنةٌ وَكفَّت عوادى(٣)
وكفى الموت ماتخاف وترجو وشَفى من أصادقٍ وأعادى
مَن دَنا أونأى فإنّ المَنايا غايةُ القرب أوقُصارى البُعاد
سِرْمع العمرحيث شئت تَؤوبا وافقد العمرَ لاتؤُبْ من رُقاد
ذلك الحقُّ لاالذى زعمُوه فى قديمٍ من الحديث مُعاد
وجرى لفظهُ على ألسُنِ النا س ومعناه فى صُدور الصِّعاد(٤)
يَتحلَّى به القوىُّ ولكنْ كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد
هل تَرى كالتُّراب أحسنَ عَدلا وَقياما على حُقوق العباد(٥)
نزل الاقوياء فيه على الضُّعفى وحلَّ المُلوكُ بالزُّهاد

(١) الحوارى مفرد الحواريين وهم الصفوة المختارة من الصحاب (٢) النضو : المهزول الجسم (٣) عوادى الدهر : عوائقه (٤) الصعاد : الرماح

(٥) يقول إنه لم يجد الحق خالصا فى هذه الأرض إلا للقوة ولم يجد العدل كاملا إلا فى التراب حيث يسوى الأقوياء بالضعفاء والطامعين بالقانعين

صفحات نقيّة كقلوب الـ رسْل مَغسولة من الأحقاد
قُم إن اسطعتَ من سريركَ وانظرْ سِرّ ذاكَ اللواء فى الأجْناد
هل تَرَاهم وأنتَ مُوفٍ عليهم غيرَ بُنيان أُلفةٍ واتّحاد[1]
أمةٌ هُيِّئت وقومٌ لخير الـ دّهر أو شرّه على استعداد
مصرُ تَبكى عليكَ فى كلّ خِدرٍ وتَصوغُ الرثاء فى كلّ ناد
لو تأملتَها لراعَك منها غُرّةُ البِرّ فى سَوادِ الحِداد
مُنتهى ما به البلادُ تُعزّى رجلٌ مات فى سبيل البلاد
أُمّهات لا تَحمل الثُكلَ إلا للنجيب الجرىء فى الأولاد
(كفريدٍ) وأينَ ثانى فريدٍ أىُّ ثانٍ لواحدِ الآحاد
الرئيسِ الجَوادِ فيما علمنا وبَلَوْنا وابنِ الرئيسِ الجَواد
أكلَت مالَه الحقوقَ وأبلَى جسمَه عائدٌ من الهمّ عادى
لك فى ذلك الضنى رقةُ الرُو حِ وخَفقُ الفؤاد فى العُوّاد
عِلّةٌ لم تَصل فِراشَك حتى وطِئَتْ فى القُلوب والأكباد
صادفتْ قرحةً يُلائمُها الصبـ رُ وتأبى عليه غيرَ الفَساد
وعَدَ الدهرُ أن يكون ضِمادا لك فيها فكان شرَّ ضِماد
وإذا الرُوح لم تُنفّس عن الجسـ م (فبقراط) نافخٌ فى رَماد[2]

---

(١) يشير هذا البيت إلى حقيقة تاريخية هى أن عودة الفقيد ميتاً كانت فى زمن اتحاد الأمة المصرية جميعاً على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ

(٢) بقراط : هو أبو الطب كما يقولون

البنوه والحياة الدنيا*

الضلوعُ تتقّدُ والدموع تَطَّردُ
أيُّها الشجِى أفِقْ من عَناء ما تجدُ
قد جَرَت لغايتها عَبْرَةٌ لها أمَد
كلُّ مُسرفٍ جزَعا أو بُكًى سيقتَصد
والزمانُ سنّتُه فى السلُوّ يجتهد
قل لثاكلَيْن مشَى فى قُواهما الكمَد
لم يُعافَ قبْلكما والدٌ ولا ولَد
الذين مِيل بِهم فى سِفارهم بعُدُوا
ما علمتُما أشَقوا بالرحيل أم سُعِدوا
إن منزِلا نَزَلوا لا يَرُدُّ مَن يرِد
كلُّنا إليه غدٌ ليس بالبعيد غدُ

***

البنون هم دَمُنا والحياةُ والوُرد(١)
لا تلَذّ مثلَهمو مُهجة ولا كبِد

(*) نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك فى فقد وحيده سنة ١٩٢٥

(١) الورد: جمع وريد كبريد وبرد

يستبقون . واحدُهم ... في الحَنان والعَدَد
زينـــةٌ ومَصلحةٌ ... واســـتراحةٌ ودَدُ(١)
فِتْنَةٌ إذا صَلَحُوا ... مِحْنَـــةٌ إذا فَسَدُوا
شَاغِلٌ إذا مَرِضوا ... فاجع إذا فُقِدوا
جُرحُهم إذا انتُزِعوا ... لا تَلمّه الضُّـــمد
العَـــزاء ليس له ... آسِـــياً ولا الجَلَد

* * *

قل (لِهَيْكَلٍ) كَلِماً ... من ورائهـا رَشَدُ
لم يَشُب مُهَـــذَّبَها ... باطلٌ ولا فَنَـــد(٢)
قد عجبتُ من قلم ... ثاكلٍ ويَنجَـرد
أنت ليثُ معركةٍ ... وهو صـارمٌ فَرَد
والسيوفُ نَخْوَتُها ... في الْوَطيس تَتَقد(٣)
أنت ناقدٌ أرِبٌ ... والأريبُ يَنتقـد
ما تقول في قَدَرٍ ... بعضُ سِنّه الأبَد
وهو في الحياة عَلَى ... كل خُطوةٍ رَصَد
يَعثر الأنامُ به ... إن سَعَوا وإن قعدوا
يَنزِل الرجالُ على ... حُكمه وإن جَحَدوا

---

(١) الدد بالفتح : اللهو واللعب. (٢) الفند : هو الـكذب (٣) الوطيس : الحرب

القضـــاءُ مُعضِلةٌ لم يحُلَّها أحـــد
كلما نقضْتَ لهـــا عُقدةً بدَتْ عُقَد
أتعبتْ مُعالِجَهـــا واستراح مُعْتَقِد

* * *

عالَمٌ مُـــدبِّرُه بالبقاء مُنفـــرد
مِن بلَى كوائنِـــه كائنـــاتُه الجُدُد
لا تقـــل به إدَدٌ إنّ حُســـنَه الإدَد[1]
تلتقى نقائضُـــهُ غايةً وتتَّحـــد
الفناء فيـــه يدٌ للبقاء أو عَضـــد
ائتـــلافه رَشَد واختـــلافه سَدَد
جدّ فى عمـــارته مُنْصِفٌ ومضطهد
وَالغِنَى لخدمتـــه كالفقير مُحتشِـــد
وهو فى أعِنَّتـــه مُمْعِنٌ ومطَّـــرد
والحيـــاةُ حَنْظَلَةٌ فى حروفهـــا شُهُد
هَيْكَلُ الشَّـــقاء له من مَدامعٍ عَمَـــد
قامت النعوشُ عَلَى جانبيْـــه والوُسُد
عُرُشُـــهُ ومأتَمُه غايتاهما نَفَـــدُ

(١) الادد جمع ادة بالكسر : وهى الداهية

ثروت باشا (*)

يموتُ فى الغاب أو فى غيرِه الأسدُ ... كلُّ البلادِ وِسادٌ حين تتّسِدُ[1]
قد غيَّبَ الغربُ شمساً لا سَقامَ بها ... كانت على جَنَبَاتِ الشرق تتّقِد
حَدا بها الأجلُ المحتومُ فاغتربتْ ... إنّ النفوسَ إلى آجالِها تَفِدُ
كلُّ اغترابٍ مَتاعٌ فى الحياة سوى ... يومٍ يُفارِقُ فيه المُهجةَ الجَسد

* * *

نَعى الغمامَ إلى الوادى وساكنِه ... برقٌ تمايلَ منه السهلُ والجَلَد
برقُ الفجيعةِ لما ثارَ ثائرُه ... كادت كأمسِ له الأحزابُ تتّحدُ
قام الرجالُ حيارَى مُنصتين له ... حتى إذا هـــدَّ من آمالِهم قعدوا
عَــلا الصعيدَ نهـارٌ كلُّه شَجَنٌ ... وجلَّل الريفَ ليــلٌ كلُّه سُهُدُ
لم يُبقِ للضاحكين الموتُ ماوجدوا ... ولم يَرُدَّ على الباكين مافقــدوا
وراءَ ريبِ الليــالى أو فُجاءتِها ... دمعٌ لـكل شَماتٍ ضاحكٍ رصَــدَ[2]

* * *

(*) هو المغفور له عبد الخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما وسياسيا إداريا خطيرا ، تولى رئاسة الحـكم فى البلاد أكثر من مرة وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر أوروبا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر فلم يمهله الموت فقضى بفرنسا فى ســنة ١٩٢٨ وجىء به ميتا . . وكان بينه وبين أمير الشعراء صداقة حميمة ومودة قديمة ظهر أثرها فى هــذه المرثية التى تقرأها فتحس رجعها يعود إليك من أعماق الخلود . .

(١) هذا المطلع يشير إلى موته بفرنسا . (٢) رصد بمعنى مترقب

باتت على الفُلْكِ فى التَّابُوت جَوْهَرةٌ   تَكادُ باللَّيـل فى ظلِّ البِـلى تَقِد (١)
يُفاخِرُ النيـلُ أصدافَ الخليج بها   وما يدبُّ إلى البحرَين أو يَرِد (٢)
إنَّ الجواهرَ أسـناها وأكرمُها   مايقذِفُ المهدُ لاما يقذِفُ الزَبَدُ
حتى إذا بلغ الفُلْكُ المـدَى انحدَرت   كأنها فى الأكُفِّ الصارمُ الفَرِدُ
تلك البقيَّةُ من سَيْف الِحمى كِسَرٌ   على السرير ومِن رُمحِ الِحمى قِصَد (٣)
قـد ضمَّها فزَكا نعشٌ يُطَافُ به   مُقَـــدَّمٌ كلواء الحق مُنْفَرِد
مشتْ على جانبيْـه مصرُ تنشُدُه   كما تَدَلَّهت الثكلَى وتفتقـــد (٤)
وقـــد يموت كثيرٌ لا تُحِسُّهمو   كأنهم من هوان الخطْبِ ماوُجِدوا
ثُـكْلُ البلاد له عقلٌ ، ونَـكبتُها   هى النجابَةُ فى الأَولاد لا العدد

***

مُكلَّلُ الهـامِ بالتصريح ليس له   عُودٌ من الهـام يَحويه ولا نضد (٥)
وصاحبِ الفضل فى الأعناق ليس له   من الصنائع أو أعناقهم سَـــنَد
خـلا من المِدفَع الجبارِ مَركَبُه   وحلَّ فيـه الهدى والرفقُ والرشَد
إن المـدافعَ لم تُخْلَقْ لصحبتِها   جُنـــدُ السلام ولا قُواده المُجُد

***

(١) يشير إلى مجيئه من أوربا فى نعشه على الباخرة . تقد : تضىء   (٢) يقصد الخليج الفارسى وبالبحرين أنهر بعينها حيث يكثر فيها اللؤلؤ ويصاد منها   (٣) القصد بكسر القاف جمع قصدة بكسرها أيضا ، وهى القطعة مما يكسر ، ويقال رمح قصد بكسر الصاد أى منكسر   (٤) التدله : ذهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما وقوله تفتقد : من قولهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر   (٥) العود هنا هو السرير ، والنضد محركة الضاد مانضد من متاع ، والسرير ينضد عليه كأنه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسى فى تصريح ٢٨ فبراير كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام أو منضد بها ، حتى يكون الجزاء من جنس العمل ومن هذا النحو يقول البيت الثانى وصاحب الفضل فى الأعناق الخ

يابانىَ الصّرح لم يَشغلْه مُمتدِحٌ … عن البناء ولم يَصرفْه مُنتقِد
أصمّ عن غضبٍ من حَوله ورضًى … فى ثورةٍ تلِدُ الأبطالَ أو تئِد[1]
تصرّ يحُكّ الخُطوةُ الكبرى ، ومرحلةٌ … يدنو على مثلِها أو يبعُدُ الأمد
الحقُّ والقوةُ ارتدا إلى حَكَمٍ … من الفياصلِ ، مافى دينه أوَد
لولا سِفارتُك المَهديّةُ اختصَما … ومَلّ طولَ النّضالِ الذئبُ والنَّقَد[2]
مازلتَ تطرقُ بابَ الصلحِ بينهما … حتى تفتّحت الأبوابُ والسُّدَد
وجَدتَها فرصةً تُلقى الحبالُ لها … إن السياسةَ فيها الصّيدُ والطَّرَد[3]
طلبتَها عند هُوجِ الحادثاتِ كما … يَمشى إلى الصيد تحتَ العاصفِ الأسَد
لما وجَدتَ مُعِدّاتِ البناء ، بنتْ … يداكَ للقوم مادمّوا وما جَحدوا
بنيتَ صَرحَكَ من جُهد البلاد كما … تُبنَى من الصّخرِ الآساسُ والعُمُد
فيه ضحايا من الابناء قيّمةٌ … وفيه سَعْىٌ من الآباء مُطّرِد
وفى أوَاسِيه أقلامٌ مجاهِدةٌ … على أسِنّتها الاحسانُ والسّدَد[4]
وفيه ألويةٌ عَزّ الجهادُ بهم … لولا المنيّةُ ما مالوا ولا رَقدوا
رَميتَ فى وَتدِ الذُّلّ القديم به … حتى تزعزعَ من أسبابه الوتِد
طوَى حمايته المحتَلُّ وانبسطتْ … حمايةُ الله ؛ فاستذرى بها البلد

---

(١) يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، والوأد هو دفن الأحياء . يريد أنه كان يعمل فى بناء صرح الوطن بدون رغبة فى مدح أو خوف من ذم فى شجاعة لاتخاف الثورة وهى لا عقل لها

(٢) النقد جنس من الغنم قبيح الشكل من المزال أو غيره (٣) الطرد مطاردة الصيد

(٤) الأواسى جمع آسية وهى من البناء المحكم الدعامة والسدد بمعنى السداد : أى الصواب

نَمْ غيرَ باكٍ على ما شِدتَ من كَرم ... ما شِيدَ للحقّ فهو السَّرْمَدُ الأبَد
يا (ثروةَ) الوطن الغالى ؛ كفى عِظةً ... للنَّاس أنك كنزٌ فى الثَّرى بَدَد[1]
لم يُطْغِكَ الحُكْمُ فى شتَّى مظاهرِه ... ولا استخفّك لِينُ العيش والرَّغَد
تغـدو على الله والتاريخِ فى ثِقةٍ ... ترجو فتُقْدِم ؛ أو تخشى فتتَّئِد
نشأتَ فى جَبْهةِ الدنيا وفى فمِها ... يَدورُ حيث تدورُ المجدُ والحسد
لـكلّ يومٍ غدٌ يمضى برَوْعتِه ... وما ليومكَ يا خيرَ اللّدات غَـد
رمتْك فى قَنَوَاتِ القلب فانصَدعت ... مَنيّةٌ ما لهـا قلبٌ ولا كَبِد
لمّا أناختْ على تامُورِكَ انفجَرت ... أزكى من الوَرْدِ أو من مائه الوُرُد[2]
ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح فى دمه ... فيه الصديق وفيـه الأهلُ والولد
ولم تُطاوِلك خوفاً أن يُناضلَها ... منك الدهاء ورأىٌ مُنقِذٌ نَجِد
فهل رثَى الموتُ للبرّ الذّبيح وهل ... شجاه ذاكَ الحنانُ الساكنُ الهمِد ؟
هيهات ! لو وُجِدَتْ للموت عاطفةٌ ... لم يَبكِ من آدمٍ أحبابَه أحد
مشت تذودُ المنايا عن وديعتها ... مدينةُ النور فارتدّتْ بها رمد[3]
لو يُدفَعُ الموتُ رَدّتْ عنك عاديَه ... للعلم حولكَ عَينٌ لم تنَمْ ويد

* * *

« أبا عزيز » : سلام الله ، لا رُسُلٌ ... إليك تحمِلُ تَسليمى ولا بُرُد[4]

---

(١) البدد : المتفرق (٢) التامور هو القلب والورد جمع وريد : العرق فى الجسم
(٣) مدينة النور تطلق فى هذا العصر على باريس (٤) البرد : جمع بريد

ونفحةٌ من قوافي الشعر كنتَ لها ... في مجلسِ الرّاحِ والريْحانِ تَحتشِد
أرسلتُها وبعثتُ الدمعَ يكنُفُها ... كما تحدّرَ حولَ السّوْسنِ البَرَد(١)
عطفتُ فيك إلى الماضي وراجَعني ... وُدٌّ من الصِّغَرِ المعسول مُنعقِد
صافٍ على الدهرِ لم تُقفِرْ خَليَّتُهُ ... ولا تغيرُ في أبياتها الشُّهُد
حتى لمحتُكَ مرموقَ الهلالِ على ... حداثةٍ تَعِدُ الأوطانَ ما تَعِد
والشعرُ دمعٌ ووِجدانٌ وعاطفةٌ ... ياليت شعريَ: هل قلتُ الذي أجد؟(٢)

---

(١) السوسن نوع من الزهر . والبرد هو مايتساقط من المطر كحبات الثلج
(٢) أى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى

عبد العزيز جاويش *

أصابَ المجاهدُ عُقبي الشهيد   وألقَى عَصاه المضافُ الشريد
وأمسى جَماداً عدوُّ الجُمـــو   دِ وباتَ على القيد خَصمُ القيود
حَداه السَّـــفار إلى مَنزلٍ   يُلاقى الخفيفَ عليـــه الوئيد
فقرَّ إلى موعدٍ صـــادقٍ   معز اليقين مذل الجحود
وبات الحوارىُّ من صاحبيْـ   ـه شهيدَيْن أسْرى إليهم شهيد
تَسرَّبَ فى منكِبَيْ (مصطفى)   كأمسِ وبين ذراعَىْ (فريد)[1]
فيا لك قبراً أكَنَّ الكنو   زَ وساجَ الحقوقَ وحاط العهود
لقد غيَّبوا فيك أمضى السيو   فِ فهل أنت يا قبرُ أو فى الغُمود
ثلاثُ عقائدَ فى حُفــرةٍ   تَدكُّ الجبالَ وتُوهى الحديد
قَعَدن فكُنَّ الأساسَ المتـــين وقام عليها البناءُ المَشـــيد
فلا تَنس أمسِ وآلاءه   ألا إن أمسِ أساسُ الوجود[2]
ولولا البِـــلى فى زوايا القبو   ر لما ظهرت جِدَّةٌ لِلمهود

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش أحد السابقين الأولين فى خدمة القضية المصرية ، كان زعيما سياسياً دينياً عظيما ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الاسلام عامة ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفى والتمريد مدة طويلة ، ثم عاد إلى مصر ولم يلبث إلا بضع سنين ، ومات فى سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل فى الفصاحة والقوة فى وقتها

(١) هو مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول ، وفريد هو محمد فريد الزعيم الوطنى الثانى ، وكانا صاحبى العقيدة فى المبدأ والجهاد

(٢) الألاء : النعم

وَمَن طلب الخُلْقَ من كَنزه فإنَّ العقيــدةَ كنزٌ عتيد
تعلَّمَ بالصــبر أو بالثّبا ت جليدُ الرجال وغيرُ الجليد

* * *

طَريدَ السياسةِ مُنــذُ الشبا بِ لقد آن أن يَستريحَ الطَّريد
لقيتَ الدواهيَ من كيدها وما كالسياسة داهٍ يكيد(١)
حَمَلْتَ على النفس مالا يُطا قُ وجاوزتِ المُسْتطاعَ الجُهود
وقُلّبتَ فى النار مثلَ النُّضا ر وغُرِّبتَ مثل الجُمان الفريد
أتذكرُ إذ أنت تحت (اللوا ء) نَبيهُ المكانةِ جمُّ الحديد(٢)
إذا ما تطلَّعت فى الشاطئيــن رَنا الرِّيفُ وافتَنَّ فيك الصعيد
وهَزَّ النَّدِيُّ لك المَنكِبَيْــن وراحَ الثَّرى من زِحام يَميد
رسائلُ تُذرى بسجع البديــع وتُنسى رسائلَ عبد الحميد
يَعيها شيوخُ الحِمى كالحديــث ويَحفظُها النَّشءُ حِفظَ النشيد
فما بالُها نكِرتها الأمو رُ وطولُ المدى وانتقالُ الجدود(٣)
لقد نَسِيَ القومُ أَمْسِ القريــب فهل لأحاديثه مِنْ مُعيد
يقولون ما (لأبى ناصر) ولِلتُّركِ ما شأنُه والهنود ؟
وفيمَ تحمَّــل هَمَّ القريــب من المُسلمينَ وهَمَّ البعيد
فقلتُ وما ضرَّكم أن يَقو مَ مِن المُسلمين إمامٌ رشيد

(١) الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الأمر العظيم (٢) كان الفقيد محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول (٣) الجدود هنا بمعنى الحظوظ

أتَستكثِرون لهم واحدا ولىٌّ القـديم نصيرُ الجديد

سَـمَى ليُؤلِّفَ بين القلو بِ فلم يَعْدُ هَدْىَ الكتابِ المَجيد

يَشُـد عُرا الدينِ فى داره ويدعو إلى الله أهلَ الجحود

ولِلقومِ حتى وَراءَ القفـا رِ دُعاةٌ تُغنِّى ورُسْلٌ تشـيد

***

جزى اللهُ مَلْكاً من المُحسنيـن رَؤوف الفؤاد رحيم الوريد(١)

كأنَّ البيانَ بأيّامه أو العلمَ تحتَ ظِلال (الرشيد)(٢)

يُداوى نَداه جِراحَ الكرا م ويُدرِكُهم فى زوايا اللُّحود

أجارَ عِيالَك من دهرهم وَجامَلهم فى البَـلاء الشديد

تولَّى الوليـدةَ فى يُتمها وكَفكَفَ بالعطفِ دَمعَ الوليد

***

سلامٌ (أبا ناصر) فى الثرا ب يعبر الترابَ رفيفَ الورود

بَعُدتَ وعزَّ إليك البر يدُ وهل بين حيٍّ وميْتٍ بريد

أجلْ بيننا رُسُـلُ الذِّكْريا تُ وماضٍ يُطيف ودمعٌ يجود

وفكرٌ وإن عَقَلتْـه الحيا ةُ يظَلّ بوادى المنايا يَرود(٣)

أجلْ بيننا الخشُبُ الدائبا تُ وإن كان راكبُها لا يعود

---

(١) هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر حيث تعطف على أبناء الفقيد ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنم عليهم بهبة ملكية وافرة

(٢) هو هارون الرشيد وقد اعتز العلم والأدب فى عهده اعتزازاً كبيراً

(٣) برود أى يبحث ويكتشف

مضى الدهرُ وهي وراءَ الدمو ع قيامٌ بِمُلك الصَّحارى قعُود

وكم حملت من صديدٍ يَسيل وكم وضَعَت من حِناشٍ ودود

نشَدتُك بالموت إلاّ أبنْتَ أأنت شقيٌّ به أم سعيد

وكيف يُسمىَّ الغريبَ امرؤٌ نزيلُ الأبوَّة ضَيْفُ الجُدود(١)

وكيف يُقال لجار الأوا ئل جارُ الأواخرِ ناءٍ وحيد

---

(١) يقول : إن الميت ينزل فى التراب ضيفاً على آبائه وجدوده وإذن فليس يصح أن نعتبره غريباً ولا وحيداً

تعزية ورثاء*

كأسٌ مِن الدنيا تُدار ... مَن ذاقَها خَلع العِــذار(١)
الليــلُ قوّامٌ بهـا ... فإذا ونَى قام النهـار
وحَبا بها الأعمـارَ لم ... تَدُم الطوالُ ولا القِصار
شَرِبَ الصبيُّ بهـا ولم ... يَخْل المعمّر مِن خُمار
وحَسا الـكرامُ سُلافَها ... وتناول الهَمَــل العُقار(٢)
وأصاب منها ذو الهوى ... ما قد أصاب أخو الوقار
ولقـــد تَميلُ على الجما ... د وتَصْرَع الفَلكَ المُدار
كأسُ المنيــةِ في يدٍ ... عَسْراءَ ما منهـا فَرار(٣)
تجرى اليمينَ فمن تولـــى ... يَسرةً جَرت اليَسار
أودى الجرىءُ إذا جرى ... والمُسْتَميتُ إذا أغار
ليثُ المعــامعِ والوقا ... ئِعِ المواقعِ والحصار

(*) وجه هذه التعزية إلى صديقه حامد بك خلوصى حين مات والده المرحوم الميرلاى مصطفى بك خلوصى ، وقد كان من الضباط الـكرام الذين بجدوا فى قمع الثورة فى جزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية

(١) العذار : الحياء والوقار (٢) السلاف والعقار من أسماء الخمر ، ويقال : حسا فلان الماء إذا شربه شيئاً بعد شىء (٣) يقال للرجل أعسر إذا عمل بيده الشمال ، والعرب تصف ما ليس محبوباً بالأعسر إذا كان مذكراً وبالعسراء إذا كان مؤنثاً ، فيد المنية عسراء لأنها كذلك

وبقيّـــة الزُّمرِ التى كانت تذود عن الذِّمار
جندُ الخلافة عَسكرُ الـــسلطان حاميـةُ الدِّيار
ضاقت (كريد) جبالُها بك يا (خلوصى) والقِفَار
أيامُكم فيها وإن طال المَدى ذاتُ اشتهار
عَلِمَ العدوُّ بأنكم أنتم لمِعصَمِها سِـوار
أحدقتُمُ بعقــرِه فتركتموه بلا قَرار
حتى اهتـدى مَن كان ضلّ وثاب مَن قد كان ثار
واعتزّ ركنٌ للولا ية كان مُنقضّ الجِدار

***

عِش للعُـلى والمجدِ يا خيرَ البنين ولِلفَخار
أبكى لدمعك جاريا ولدَمع إخوتِك الصِّغار
وأوَدّ أنكمُ رجا لٌ مثـل والدِكم كِبار
وأُريد بيتَكم عَمـا راً لا يحـاكيه عَمار
لا تخرجُ النَّعماء منـــه ولا يُزايلُه اليَســار

ذكرى هيجو *

ما جَلّ فيهم عيدُكَ المأثورُ ... إلا وأنت أجلُّ يا فكتورُ
ذَكروكَ بالمئةِ السنين وإنها ... عُمْرٌ لمثلكَ فى النجومِ قصير
ستدوم ما دَام البيانُ وما ارتقتْ ... للعالمين مَداركٌ وشُعور
ولئن حُجِبتَ فأنت فى نظر الوَرى ... كالنجم لم يُرَ منه إلا النُور
لولا التُقى لفتحتُ قبرَكَ للملا ... وسألتُ أين السيِّدُ المقْبور(١)
ولقلتُ يا قوم انظُروا انجيلَكم ... هل فيه من قلَم الفقيدِ سُطور
مَن بعدَه مَلَكَ البيانَ فعندكم ... تاجٌ فقدتم ربّه وسَرير
مات القريضُ بموت (هوجو) وانقضى ... مُلكُ البيانِ فأنتُم جمهور
ماذا يزَيد العيدُ فى إجلاله ... وجَلالُه بيرَاعِه مَسطور
فقَدتْ وجوهُ الكائنات مُصوِّرا ... نَزَل الكلامُ عليه والتصويرُ
كُشفَ الغطاء له فكلُّ عِبارةٍ ... فى طَيِّها للقارئين ضمير
لم يُعْيِه لفظٌ ولا معنًى ولا ... غرضٌ ولا نَظمٌ ولا منثور
مُسلى الحزين يفكُّه من حُزنِه ... ويَرُدُّه لله وهْو قرير
ثأرَ الملوكَ وظلّ عند إبائه ... يرجو ويأمَلُ عفوَه المَثؤور

(*) نظمت هذه القصيدة فى ذكرى شاعر فرنسا الكبير فكتور هيجو لمناسبة مرور مائة عام على وفاته

(١) الملأ : جماعة الناس

وأَعارَ (واترلو) جَلالَ يَراعِهِ   فجلالُ ذاكَ السيفِ عنه قَصير[١]
يا أيها البحرُ الذى غَمرَ الثّرى   ومِنَ الثّرى حُفَرٌ له وقُبور
أنتَ الحقيقةُ إن تحجَّب شَخصُها   فلها على مَرّ الزمانِ ظُهور
أرفع حِداد العالمين وعُدْ لهم   كيما يُعيِّدُ بائسٌ وفقير
وانظرْ إلى البؤساء نَظرةَ راحمٍ   قد كان يُسعِد جمعَهم ويُجير[٢]
الحالُ باقيةٌ كما صوّرتها   من عهد آدمَ ما بها تغيير
البؤسُ والنُّعمى على حَالَيْهما   والحظُّ يَعدِل تارةً ويَجور
ومِن القَوىِّ على الضعيف مُسَيطرٌ   ومن الغنىِّ على الفقير أمير
والنفسُ عاكفةٌ على شهواتِها   تأوِى إلى أحقادها وتَثور
والعيشُ آمال تَجِدُّ وتَنقضِى   والموت أصدقُ والحياةُ غُرور[٣]

---

(١) واترلو علم على الموضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى
(٢) تشير إلى رواية البؤساء تأليف ڤكتور هيجو   (٣) العيش آمال تجد أى تتجدد

عبده الحمولى *

ساجعُ الشرقِ طارَ عن أوكاره   وتَوَلَّى فَنّ على آثاره (١)
غالَه نافذُ الجَناحين ماضٍ   لا تفِرّ النسُور من أظفاره
يَطْرُق الفَرخَ فى الغُصون ويَغْشَى   (لُبَدًا) فى الطويلِ مِن أعماره (٢)
كان مِزمارُه فأصبح داو   دُ كئيباً يَبكى على مِزماره (٣)
(عبده) بيد أن كلَّ مُغَنٍّ   عبدهُ فى افتنانِه وابتكاره
معبدُ الدولتَيْنِ فى مصرَ اسحا   ق (السميين) ربِّ مصرٍ وجاره (٤)
فى بِساط الرشيدِ يوماً ويوماً   فى حِمَى جعفرٍ وضافى سِتاره (٥)
صَفوُ ملكيهما به فى ازديادٍ   ومن الصَّفوِ أنْ يلوذَ بداره
يُخرِجُ المالكين من حِشْمةِ المُل   ك ويُنسى الوقورَ ذكر وقاره
رُبَّ ليلٍ أغارَ فيه القُمارى   وأثارَ الحِسان من أقماره (٦)

(*) توفى عبده الحمولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان هذا إلى أريحية ومروءة يضرب بهما المثل

(١) الأوكار : جمع وكر وهو عش الطائر (٢) لبد اسم لنسر (٣) يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبي صاحب المزامير (٤) يشبهه بمعبد واسحاق ، ويقصد بقوله رب مصر وجاره : ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار العربية ، يعنى أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعاً كما كان معبد وإسحاق كذلك (٥) الرشيد هو هارون الرشيد وجعفر هو جعفر البرمكى وزيره والغرض أن المرثى كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد إلى بساط الوزراء المشابهين لجعفر (٦) القمارى جمع قمرية : نوع من الحمام حسن التغريد ، والأقمار جمع قمر . يريد انه كان يطرب الحسان الشبيهات بالأقمار

بِصَبَا يُذْكِرُ الرياضَ صَباه   وحِجازٍ أرقَّ مِن أسحاره[١]
وغِناء يُدارُ لحنا فلحناً   كحديثِ النّديم أو كعُقاره
وأنينٍ لو أنه من مَشوقٍ   عَرف السامعون مَوضِع ناره
يتَمنّى أخو الهوى منه آهاً   حين يُلحَى تكون من أعذاره
زفرات كأنها بَثُّ (قيسٍ)   فى معانى الهوى وفى أخباره[٢]
لا يُجاريه فى تَفَنّنِه العو   دُ ولا يَشتكى إذا لم يُجاره
يَسمع الليلُ منه فى الفجر ياليـ   ـلُ فيُصغِى مُستمهِلاً فى فَراره
فُجع الناسُ يومَ مات (الحمولى)   بدواء الهُموم فى عطّاره
بأبى الفنِّ وابنِه وأخيـه   القوىّ المكين فى أسراره
والأبى العفيف فى حالتيه   والجواد الكريم فى إيثاره
يَحبسُ اللَّحنَ عن غنيٍّ مُدلٍّ   ويُذيقُ الفقيرَ من مُختاره[٣]
يا مُغيثاً بصَوته فى الرزايا   ومُعيناً بماله فى المكاره
ومُحِلَّ الفقيرِ بين ذَويه   ومعزّ اليتيم بين صِغاره
وعمادَ الصديق إن مال دهرٌ   وشِفاءَ المحزون من أكداره

---

(١) صبا الرياض بفتح الصاد : أى نسيمها ، أما كلمة صبا الواقعة فى أول البيت فمقصود بها نغمة معروفة فى فن الغناء وهى مفتوحة الصاد أيضاً كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ، وكذلك حجاز نغمة معروفة فى الغناء أيضاً (٢) قيس هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى (٣) المدل بالمال : المتباهى به . يشير فى هذا البيت إلى بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه كان يلجأ إليه الفقراء ليحيى أفراح أولادهم فيحسن إليهم ويجيب طلبهم وينفق من ماله فى تشييد الاحتفال اللائق بسهرته . وربما أثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الأغنياء الكبار ، ويروى له فى هذا الباب حكايات كثيرة .

لستَ بالراحلِ القليلِ فتُنسَى واحدُ الفنّ أمةٌ في ديارِه
غايةُ الدّهرِ إن أتَى أو توَلّى ما لقِيتَ الغَداة من إدباره
نزَلَ الجدُّ في الثّرَى وتساوَى ما مضَى مِن قيامه وعثاره
وانقضى الدّاء باليقين مِن الحا لين فالموتُ مُنتهَى إقصَاره
لهف قومي على مخايلِ عزّ زال عنا برَوْضِــه وهَزاره(١)
وعلى ذاهبٍ مِنَ العيش ولّيـ ـتَ فولّى الأخيرُ من أوطارِه
وزمانٍ أنت الرّضَى من بقايا هُ وأنت العزاء من آثاره
كان للناس ليلُه حين تَشدو لَحِقَ اليومَ ليلُه بنَهاره

---

(١) الهزار : طائر حسن الصوت فارسي

قاسم بك أمين*

يا أيُّها الدمعُ الوفيُّ بدارِ تَقضى حقوقَ الرُّفقةِ الأخيار(١)
أنا إنْ أهنتُكَ فى ثَراهم فالهوى والعهدُ أن يُبكوا بدمع جارى(٢)
هانوا وكانوا الأكرمينَ وغُودروا بالقفرِ بعد منازلٍ وديارِ
لهفى عليهم ساكنو دورَ الثّرى مِن بعد سُكْنَى السّمع والأبصار
أينَ البشاشةُ فى وَسيم وجُوههم والبِشْرُ للندماء والسُّمار(٣)
كُنَّا مِنَ الدنيا بهمْ فى رَوْضَةٍ مَرُّوا بها كَنَسائم الأسحار

***

عَطْفاً عليهم بالبكاء وبالأسَى فتعهُّدُ الموتى مِنَ الأيثار(٤)
يا غائبينَ وفى الجوانح طيفُهم أبْكِيكمو من غُيَّبٍ حُضَّار
بينى وبينكمو وإن طال المدَى سَفَرٌ سأَزْمَعَه من الأسفارِ
إنى أكادُ أرى مَحلِّى بينكم هذا قرارُكمو وذاك قرارى

***

أو كلَّما سَمَحَ الزمانُ وَبُشِّرَت مصرٌ بفَردٍ فى الرجال مَنار(٥)

(*) المرحوم قاسم بك أمين هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة فى مصر وقد توفى فى سنة ١٩٠٩

(١) بدار : بمعنى بادر (٢) يقول إن الذين أبذل دمعى وأهينه فى ترابهم هم هواى وموضع حبى وليس عجيباً أن يبكى الانسان أهل حبه وهواه (٣) السمار جمع سامر السمر ، وهو حديث الأصدقاء بالليل (٤) الأيثار : هو أن تعطى لغيرك ما أنت محتاج إليه

(٥) المنار : هو العلم يهتدى الناس به فى الطريق

فجعت به فكأنه وكأنَّها ... نجمُ الهِدايةِ لم يَدُم للسارى
إن المصيبةَ فى (الأمين) عظيمةٌ ... محمـــولةٌ لمشيئةِ الأقدارِ
فى أريحىٍّ ماجدٍ مُسْتَعْظَمٌ ... رُزْءُ الممالكِ فيــه والأمصار
أوفى الرجالِ لعهدِهِ ولِرأيه ... وأبَرّهم بصَـــديقِهِ والجار
وأشَدّهم صَبْراً لمعتقَـــداتِهِ ... وتأدّباً لمُجادلٍ ومُمـارى
يَسقى القرائحَ هادئاً مُتواضعاً ... كالجَدولِ المُترقْرِقِ المُتوارى
قل للسّماء تَغُضّ من أقمارِها ... تحتَ الترابِ أحاسنُ الأقمار
مِن كلّ وضّاءِ المـآثرِ فائتٍ ... زُهْرَ النجومِ بِذكْرِه السيَّار
تَمضى الليالى لا تَنال كمالَه ... بَعيب نقصٍ أو مشين سرار(١)
آثارُه بعدَ المواتِ حيـاتُه ... إنّ الخلودَ الحقّ بالآثار
يا مَن تَفرّد بالقضاء وعِلمِـــه ... إلا قضاءَ الواحدِ القهـــار
ما زلتَ تَرجوه وتخشَى سَهمَه ... حتى رَمى فأحطْتَ بالأسرار
هلا بُعثتَ فكنتَ أفصحَ مخبرا ... عمـا وراءَ الموتِ من (لازار)(٢)
أَنفضْ غُبارَ الموتِ عنك وناجِنى ... فعَسای أَعْلَمُ ما يكون غُبارى
هذا القضاءُ الجَدُّ فازْوِ وَهاتِ عن ... حُكمِ المنيَّـــةِ أصدقَ الأخبار
كلٌّ وإن شَغفَته دُنياه هوًى ... يوماً مُطلِّقُها طلاقَ (نوار)(٣)

---

(١) سرار بفتح السين وكسرها مشتق من قولهم استسر القمر إذا خفى ليلة السرار وهى آخر ليلة أو ليلتين فى الشهر (٢) لازار أو عازار: اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى، يقول لو بعثت لكنت أفصح فى اخبارك عن الموت من هذا الرجل (٣) نوار: اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر فطلقها فندم كثيراً حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم

لله (جامعةٌ) نهضتَ بأمرِها ... هى فى المشارقِ مَصدرُ الأنوار [١]

أُمنيّةُ العُقلاءِ قد ظفِروا بها ... بعد اختلافِ حوادثٍ وطوارى

والعقلُ غايةُ جَرْيِه لأعنَّةٍ ... والجهلُ غايةُ جَريِه لعثَار

لو يعلمون عَظيمَ ما تُرجى له ... خَرجَ الشحيحُ لها من الدّينار

تَشرِى الممالكُ بالدّم استقلالَها ... قوموا اشترُوه بفِضّة ونُضار

بالعلم يُبنَى الملكُ حقَّ بنائه ... وبه تُنالُ جلائلُ الأخطار

ولقد يُشاد عليه من شُمّ العلى ... ما لا يُشادُ على القَنا الخطَّار [٢]

إن كان سرّكِ أن أقمتَ جدارها ... قد ساءها أن مالَ خيرُ جدار

أضحت من الله الكريم بذمّةٍ ... مَرموقةِ الأعوانِ والأنصار

كُلِئت بأنظار (العزيز) وحُصِّنت ... (بفؤاد) فهى مَنيعةُ الأسوار [٣]

وإذا العزيزُ أعارَ أمراً نظرةً ... فاليُمنُ أعجلُ والسعُودُ جَوارى

ماذا رأيتَ من الحِجاب وعُسرِه ... فدعوتَنا لِترفُّقٍ ويَسار

رأىٌ بَدَا لكَ لم تَجدْه مُخالفاً ... ما فى الكتاب وسُنّةِ المختار

والباسِلان شُجاعُ قلبٍ فى الوغَى ... وشُجاعُ رَأيٍ فى وغَى الأفكار

أوَددتَ لو صارت نِساءُ النيل ما ... كانت نساءُ (قضاعةٍ) و(نِزار) [٤]

---

(١) هى الجامعة المصرية وكان للفقيد فضل مذكور فى إنشائها (٢) الخطار: أى المهتز، واهتزاز القنا كناية عن استعداده للقتال (٣) العزيز هو كل ملك لمصر وكان الخديوى عباس وقتئذ، وفؤاد هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول (٤) ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاعة ونزار بالذات، وإنما المقصود المرأة العربية الموصوفة فى البيت التالى

يَجْمعن فى سلم الحيـاةِ وحَربِها ... بأسَ الرِّجالِ وخَشيةَ الأبكار
إنَّ الحجابَ سَماحةٌ ويَسارةٌ ... لولا وحوشٌ فى الرجال ضَوارى
جَهِلوا حقيقَته وحكمةَ حُكمِه ... فتجاوزوه إلى أذًى وضِرار

* * *

يا قُبــةَ (الغورىّ) تحتكِ مأتمٌ ... تبَقى شعائرُه على الأدهار
يُحييه قومٌ فى القلوب على المَدى ... إنْ فاتَهم إحياؤه فى دار
هيهات تُنسَى أمةٌ مدفونةٌ ... فى أربعين من الزّمانِ قِصار
إن شئتَ يوماً أو أردتَ فَحِقبةً ... كلٌّ يَمرُّ كليلةٍ ونَهار
هاتوا ابنَ (ساعدةٍ) يُؤَبِّنُ قاسِما ... وخُذوا المراثىَ فيه من (بشّار)[1]
مِنْ كلِّ لائقةٍ لباذخ قَدرِه ... عَصْماء بين قَلائدِ الأشعار

---

(١) ابن ساعده : هو قس بن ساعدة الأيادى أحد خطباء العرب الحكماء يضرب به المثل فى بلاغة الخطب وبشار هو بشار بن برد الشاعر المشهور ، يقول أن قاسما لا يؤبنه إلا أمثال قس من الخطباء وأمثال بشار من الشعراء

تولستوى *

(تولستُوى) تجرى آيةُ العِلمِ دمعَها عليكَ ويَبكى بائسٌ وفقيرُ
وشَعبٌ ضعيفُ الرُّكنِ زالَ نصيرُه وما كلُّ يومٍ للضعيف نَصيرُ
ويَندُبُ فلّاحون أنتَ مَنارُهم وأنت سِراجٌ غيَّبوه مُنيرُ
يُعانُونَ في الأكواخِ ظُلماً وظُلمةً ولا يَملِكون البثَّ وهو يسيرُ
تَطوفُ كعِيسى بالحَنانِ وبالرِّضى عليهم وتَغشَى دُورَهم وتَزورُ
ويأسَى عليكَ الدينُ إذ لكَ لُبُّه وللخادمين الناقمين قُشورُ
أيكفُر بالإنجيلِ مَن تلكَ كُتْبُه أناجيلُ منها مُنذِرٌ وبَشيرُ
ويَبكيكَ إلفٌ فوقَ (ليلى) نَدامةً غداةَ مَشى (بالعامرىِّ) سريرُ
تناولَ ناعيكَ البلادَ كأنه يَراعٌ له في راحتَيْك صَريرُ (١)
وقيلَ تولَّى الشيخُ في الأرضِ هائماً وقيل (بديرِ) الراهباتِ أسيرُ
وقيل قَضَى لم يُغنِ عنه طبيبُهُ وللطِّبِّ من بَطشِ القَضاءِ عَذيرُ
إذا أنت جاورتَ (المعرىَّ) في الثرى وجاورَ (رَضوى) في التراب (ثَبيرُ) (٢)

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسى الشهير كان عالماً عاملا بما يقول ، فتخلى عن ماله الجم ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة فى روسيا ، وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير

(١) الصرير : التصويت ، واليراع : القلم (٢) المعرى : هو أبو العلاء المعرى ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين أولهما بالمدينة وثانيهما بمكة يريد تشبيهه هو والمعرى بهذين الجبلين

وأقبلَ جَمْعُ الخالِدينَ عليْكُما ... وغَالَى بمِقْدار النّظير نَظير
جماجم تحتَ الأرضِ عَطّرها شَذَى ... جَناهنَّ مِسكٌ فوقَها وعَبير
بهنَّ يُباهِى بطنُ (حواء) واحْتوَى ... عليهنَّ بطنُ الأرضِ وهْوفَخور
فقُل يا حكيمَ الدهرِ حدِّث عن البِلى ... فأنتَ عليمٌ بالأمور خبير
أحطْت من الموتى قديماً وحادثاً ... بما لم يَحصّل مُنكر ونكير[1]
طوانا الذى يَطوِى السمواتِ فى غدٍ ... ويَنشُرُ بَعدَ الطىّ وهْو قدير[2]
تَقادَم عَهدانا على الموتِ واستوى ... طويلُ زمانٍ فى البِلى وقَصير
كأنْ لم تَضِق بالأمسِ عنى كَنيسةٌ ... ولم يؤونى دَيْرٌ هناك طَهور
أرَى راحةً بين الجنادلِ والحَصى ... وكلُّ فِراشٍ قد أراح وَثِير[3]
نَظرْنا بنُور الموتِ كلَّ حقيقةٍ ... وكُنا كِلانا فى الحياةِ ضَرير
إليك اعترافى لا لقَسّ وكاهِنٍ ... ونَجْوايَ بعدَ الله وهْو غفور
فزُهدُك لم يُنكِرْه فى الأرض عارفٌ ... ولا مُتعالٍ فى السماء كبير
بيانٌ يَشمُّ الوحىُ من نفَحاته ... وعلمٌ كعِلم الأنبياء غزير
سلكتُ سبيلَ المترفين ولذّ لى ... بنونَ ومالٌ والحياةُ غرور
أداةُ شِتائى الدفءُ فى ظلِّ شاهقٍ ... وعُدّةُ صيفى جَنةٌ وغدير
ومُتّعتُ بالدنيا ثمانين حِجةً ... ونَضّرَ أيامى غِنًى وحُبور
وذِكرٌ كضوء الشمس فى كل بَلدةٍ ... ولاحظٌّ مثل الشمس حين تسير

(١) يريد أنه كان يعرف أسرار النفوس جد المعرفة (٢) النشر هو البعث من الموت وهو أيضاً ضد الطى (٣) الفراش الوثير: اللين الناعم

فما راعنى إلا عَذارَى أجرْنَنى ورُبَّ ضعيفٍ تحتمى فيُجير
أردت جوارَ الله والعمرُ مُنقضٍ وجاورتُه فى العمر وهْو نضير
صِباً ونعيمٌ بين أهلٍ وموطنٍ ولذّاتُ دنيا كلُّ ذاك نَزور(١)
بهنَّ وما يَدرين ما الذنبُ خَشيةً ومن عَجبٍ تَخشَى الخطيئةَ حُور(٢)
أوانسُ فى داجٍ من الليل مُوحشٍ ولله أُنسٌ فى القلوب ونور
وأشبه طُهرٍ فى النساء بمريمٍ فتاةٌ على نَهج المسيح تسير
تُسائلُنى هل غيَّر الناسُ ما بهم وهل حدَثتْ غيرَ الأمور أمور
وهل آثرَ الإحسانَ والرفقَ عالَمٌ دواعى الأذَى والشرُّ فيه كثير
وهل سلَكوا سُبُلَ المحبةِ بينَهم كما يتَصافى أسرةٌ وعشير
وهل آن مِن أهل الكتاب تَسامحٌ خَليقٌ بآداب الكتاب جَدير
وهل عالجَ الأحياءُ بُؤساً وشِقوةً وقلَّ فَسادٌ بينهم وشُرور
قم انظرْ وأنت المالئُ الأرضَ حكمةً أأجدى نظيمٌ أم أفادَ نثير
أناسٌ كما تَدرِى ودُنيا بحالها ودهرٌ رَخِىٌّ تارةً وعسير
وأحوالُ خلقٍ غابرٍ مُتجدِّدٍ تَشابهَ فيها أولٌ وأخير
تَمرُّ تِباعاً فى الحياة كأنها مَلاعبُ لا تُرخَى لهنّ سُتور
وحِرصٌ على الدنيا ومَيْلٌ مع الهوى وغِشٌ وإفكٌ فى الحياة وزور
وقامَ مقامَ الفرْدِ فى كلّ أمةٍ على الحكم جَمٌّ يَستبِد غفير

(١) نزور : أى قليل . (٢) الحور جمع حوراء : وهى الجارية فى عينها حور ، والحور اشتداد بياض العين وسوادها

وحُوِّر قولُ الناسِ مولًى وعبدُه   إلى قولهم مستأجِرٌ وأجير
وأضحى نفوذُ المالِ لا أمرَ فى الورَى   ولا نَهْىَ إلا ما يَرَى ويُشير
تُساسُ حكوماتٌ به وممالكٌ   ويُذعِن أقيالٌ له وصُدور[1]
وعَصر بنوه فى السِّلاح وحِرصُه   على السلم يُجرى ذِكرَه ويُدير
ومِن عَجبٍ فى ظلِّها وهْو وارفٌ   يُصادف شَعباً آمناً فيُغير
ويأخذُ من قُوت الفقير وكَسْبه   ويُؤوى جُيوشاً كالحَصى ويَمير
ولما استقلَّ البرَّ والبحرَ مَذْهباً   تَعلّق أسبابَ السماءِ يَطير

---

(١) أقيال : جمع قيل ، وهو الملك ، والصـدور جمع صدر وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه

عمر لطفي *

قِفُوا بالقُبُور نُسائِلْ عمرْ ... متى كانت الأرضُ مثوَى القمر
سَلوا الأرضَ هل زُيِّنت للعليم ... وهل أُرِّجت كالجِنان الحُفر
وهل قام (رضوان) من خَلفِها ... يُلاقى الرَّضىَّ النقىَّ الأبر
فلوْ عَلِمَ الجمعُ ممَّن مَضى ... تنحَّى له الجمعُ حتى عَبر
إلى جَنَّةٍ خُلِقَت للكريم ... ومَن عَرَفَ اللهَ أو مَنْ قدَر

* * *

برغْم القلوب وحبّاتِها ... ورَغم السَّماع ورغمِ البصر
نزولُكَ فى التُّرب زينَ الشباب ... سناءِ «الندىّ» سَنَى «المؤتمر» (١)
مُقيلَ الصديقِ إذا ما هَفا ... مُقيلَ الكريمِ إذا ما عثر
حَيِيتَ فكنتَ فَخار الحياةِ ... ومُتَّ فكنتَ فَخارَ السِّيَر
عجيبٌ رَداكَ وأعجبُ منه ... حياتُكَ فى طولها والقِصَر
فما قبلها سَمِعَ العالمون ... ولا علموا مُصحفاً يُختصر

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالماً قانونياً ضليعاً كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحباً لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر

(١) الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيساً له ، ويريد بالمؤتمر : المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين فى هليوپوليس رداً على المؤتمر الذى أقامه أعيان الأقباط فى أسيوط والسناء بالمد : الضوء ، وبالقصر : الرفعة

وقد يقتـــلُ المرءَ همُّ الحياةِ ... وشغلُ الفؤادِ وكدُّ الفِكر
دفنّا التجاربَ فى حُفرةٍ ... إليها انتهى بك طولُ السَّفر
فكم لكَ كالنَّجم من رِحلةٍ ... رأى البـــدوُ آثارَها والحضر
« نقاباتُكَ » الغُرّ تبكى عليكَ ... ويبكى عليك « النّديُّ » الأغر
ويبكى فريقٌ تخـــيَّرْتَه ... شَريف المَرامِ شَريف الوطر
ويبكى الأولى أنتَ علّمتَهمْ ... وأنْتَ غرسْتَ فكانوا الثمر
حَياتُكَ كانَتْ عِظاتٍ لهم ... وموتُكَ بالأمسِ إحدى العِبر
سَهرنا قُبيلَ الرّدى ليلةً ... وما دارَ ذكرُ الرّدى فى السمر (١)
فقمتَ إلى حُفرة هُيئت ... وقُمتُ إلى مثلِها تُحتفر
مَددتُ إليك يداً للوَداع ... ومدَّ يداً للّقاء القَـدر
ولو أنّ لى علمَ ما فى غدٍ ... خبأْتُك فى مُقلتى مِن حذَر
وقالوا شكوتَ فما راعنى ... وما أولُ النـار إلا شَرر
رثيتكَ لا مالـكاً خاطرى ... من الحُزنِ إلا يسيراً خطَرَ (٢)
ففيك عَرفتُ ارتجالَ الدُّموع ... ومنك علِمتُ ارتجالَ الدُّرر
ومثلُك يُرثى بآى الـكتابِ ... ومثلُك يُفدَى بنصف البشر
فياقبرُ كُن روْضةً من رِضًى ... عليه وكُنْ باقةً من زهَر
سَقتْك الدموعُ فان لم يَدُمْنَ ... كعادتِهنّ سقاكَ المطر

(١) السمر : حديث الليل (٢) يريد لا مالـكا من خاطرى إلا بقية قليلة الخطر لا تفى فى رثائك

عمر بك لطفي *

اليومَ أصعَدُ دُون قبركَ مِنبراً   وأُقلِّدُ الدنيـا رِثاءكَ جَوهرا
وأقُصّ مِن شِعرى كتابَ محاسنٍ   تَتقدّم العلماءَ فيه مُسطّرا
ذِكراً لفضلِك عند مصرَ وأهلِها   والفضلُ من حرُماته أن يُذكَرا
العلمُ لا يُعلِي المراتبَ وحدَه   كم قدّم العملُ الرجالَ وأخّرا
والعلمُ أشبهُ بالسماء رجالُه   خلَطت جَهاماً فى السحاب ومُمطِرا
طُفنا بقَبرِكَ واستلمْنا جَندلا   كالركن أزكى والحطيمِ مُطهّرا(١)
بيْن التّشرفِ والخشُوعِ كأنما   نَستقبلُ الحرمَ الشريفَ مُنوّرا
لو أنصفوكَ جَنادلاً وصفائحاً   جعلوكَ بالذكر الحكيم مُسوّرا
يامَن أرانى الدهرُ صِحّةَ وِدِّه   والودُّ فى الدنيا حديثٌ مُفترَى
وسمعتُ بالخُلقِ العظيم روايةً   فأرانى الخُلقَ العظيمَ مُصوّرا
ماذا لقيتَ من الرُّقاد وطوله   أنا فيك ألقَى لوعةً وتحسُّرا
نَم ما بَدا لكَ آمناً فى مَنزلٍ   الدهرُ أقصرُ فيه من سِنةِ الكَرى
ما زِلتَ فى حَمْد الفراشِ وذمِّه   حتى لقيتَ به الفراشَ الأوثَرا(٢)

(*) نظمت هـذه القصيدة لتلقى فى حفلة أقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الأربعين ، أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة فى سرعة تشبه الإرتجال

(١) يقول اننـا نطوف بقبرك ونستلم أحجاره كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين

(٢) الفراش الأوثر : هو الفراش الأكثر ليونة ونعومة ويريد به تراب القبر

لا تَشكُوَنّ الضر من حَشراتِه ... حَشراتُ هذا الناسِ أقبحُ منظرا
يا سيِّدَ (النادى) وحاملَ هَمِّه ... خلَّفتَه تحت الرزية مُوقَرا[١]
شَهِدَ الأعادى كم سهِرت لمجده ... وغَدوتَ فى طلبِ المزَيد مُشمِّرا
وكم اتَّقيتَ الـكيدَ واستدْفعتَه ... ورَميتَ عُدوانَ الظنونِ فأقصَرا
ولبثتَ عن حَوْض الشبيبة ذائداً ... حتى جزاكَ الله عنه الـكوثرا
شُبّانُ مصرَ حِيالَ قبرِكَ خُشّعٌ ... لا يَملكونَ سوى مدامِعهم قِرى[٢]
جمعَ الأسى لك جمعَهم فى واحدٍ ... كان الشبابَ الواجدَ المُستعبِرا[٣]
لولاكَ ما عَرفوا التعاونَ بينهم ... فيما يَسُرُّ ولا على ما كدَّرا
حيثُ التفتَّ رأيتَ حولَكَ منهمُ ... آثارَ إحسانٍ وغَرْساً مُثمِرا
كم منطقٍ لك فى البلاد وحكمةٍ ... والعقلُ بينهما يُباع ويُشترى
تمشى إلى الأكواخِ تُرشِد أهلَها ... مَشْىَ الحواريّينَ يَهدون القُرى[٤]
مُتواضعاً لله بين عباده ... واللهُ يَبغض عبدَه المتكبِّرا
لم تدرِ نفسُك ما الغرورُ وطالما ... دخل الغرورُ على الكبارِ فصغّرا
فى كل ناحيةٍ تَخط نِقابةً ... فيها حياةُ أخى الزراعة لو دَرى
هى كيمياؤُك لا خُرافةُ (جابر) ... تَذَرُ المُقِلَّ من الجماعة مُكثِرا[٥]

(١) النادى : هو نادى المدارس العليا وكان الفقيد رئيساً له ، موقرا أى مثقلا بما يحمله من فقدك (٢) القرى بكسر القاف ما يقدم للضيف من إكرام ونحوه (٣) الواجد المستعبر : هو الحزين الباكى (٤) الحواريين : هم أصحاب عيسى بن مريم (٥) هو جابر ابن حيان صاحب الـكيمياء القديمة . والمقل هو الفقير أو هو الذى لا يملك إلا شيئاً قليلا

والمالُ لا تُجنَى ثِمارُ رُؤوسِه … حتى يصيبَ من الرؤوس مُدبِّرا
والملكُ بالأموالِ أمنعُ جانباً … وأعزُّ سلطاناً وأصدقُ مَظهرا
إنا لفى زمنٍ سِفاهُ شُعوبِهِ … فى مُلكِهم كالمرء فى بيت الكِرا[١]
أَسِواكَ من أهل المبادىء مَن دَعا … لِلجِدّ أو جمعَ القُلوبَ النُّفَّرا ؟
الموتُ قبلَك فى البرية لم يَهَب … طه الأمينَ ولا يَسوعَ الخيِّرا[٢]

***

لما دُعيتُ أتيتُ أنثرُ مَدمعى … ولو استطعتُ نثرتُ جفنىَ فى الثرى
أبكى يمينَك فى التراب غمامةً … والصّدْرَ بحراً والفؤادَ غَضنفَرا
لم أُعطَ عنك تَصبُّراً وأنا الذى … عزّيتُ فيك عن الأمير المعشرا[٣]
أزِنُ الرجالَ ولى يَراعٌ طالما … خلَعَ الثناء على الكرام محبّرا
بالأمسِ أرسلتُ الرثاءَ مُمسَّكا … واليوم أهتِفُ بالثّناء مُعنْبَرا
غَيَّرتنى حُزناً وغيّركَ البِلى … وهواكَ يأبَى فى الفؤاد تغيُّرا[٤]
فعلىَّ حفظُ العهدِ حتى نلتقى … وعليك أن تَرعاه حتى تُحشَرا

---

(١) بيت الكرا : هو بيت الأجرة . (٢) يسوع : المسيح (٣) كان أمير الشعراء هو نائب الخديوى عباس فى تعزية أسرة الفقيد (٤) يشير إلى قصيدته السابقة فى الفقيد.

الأميرة*

حَلَفتُ بالمُســـتَّره   والرَّوْضَــةِ المُعطَّره (١)
ومَجْلِسِ الزَّهراءِ فى   الحظائرِ المنــوَّره (٢)
مراقدِ السُّـــلالةِ   الطَّيِّبَـــةِ المُطَهَّرَه
مَا أَنْزَلوا إلى الثَّرى   بالأمس إلا نيِّره (٣)
سيروا بها تَقِيَّـــةً   تقيـــةً مُبرَّره
نُجِلُّ سِترَ نَعشِها   كالكِسْوة المُسَيَّرَه (٤)
ونَنشقُ الجنَّةَ مِنْ   أعـــوادِهِ المُنضَّره

* * *

فى موكِبٍ تمثَّل الـ   ـحقُّ فكانَ مظهَره
دع الجنودَ والبنُو   دَ والوفودَ المُحْضَره
وكل دَمعٍ كذبٍ   ولوعـــةٍ مزوَّره
لا ينفع الميْتَ سِوى   صالحـــةٍ مُدَّخَره

(*) هى الأميرة فاطمة اسماعيل ، كان لها الفضل الأول فى تأسيس وإنشاء الجامعة المصرية وقد انتقلت إلى دار الجنان فى سنة ١٩٢٠

(١) المستره : الكعبة (٢) يقصد فاطمة الزهراء بنت الرسول صلوات الله عليه ومجالسها فى حجرات النبوة : (٣) هى واحدة النجوم النيرة (٤) الكسوة : هى كسوة الكعبة المكرمة وكانت تسير من مصر إلى الحجاز كل عام فى موكب عظيم الاجلال

قد تُرفع السّوقة عنـ ـد الله فوقَ القيصَره[١]

***

يا جزَعَ العِلم على (سُكينةَ) الموَقَّره[٢]
أمسى بربعٍ مُوحشٍ منها ودارٍ مُقفِره
من ذا يُؤسّى هـذه الـ جامعةَ المُستعبَره[٣]
لو عِشتِ شِدْتِ مثلَها للمَـــرأةِ المحرَّره
بَنيْتِ رُكنيها كما يَبنى أبوكِ المأثُره
قَرَنْتِ كلَّ حجَرٍ فى أُسّها بجوهَره
مَفخَـــرةٌ لبيتكم كم قبلها مِن مفخره

***

يا بنتَ إسماعيلَ فى التّـ بيتِ لحيٍّ تبصِره[٤]
أكانَ عنـدَ بيتِكم لهـذه الدنيا تِره[٥]
هلا وَصفتِها لنا مُقبـــلةً ومُدبِره؟
ولونها صافيـــةً وطعمها مكدَّره
كالحلم أو كالوهم أو كالظل أو كالزهره

***

---

(١) القيصرة علم على كل ملكة الروم ، والقيصر علم على ملكها
(٢) يشبهها بسكينة بنت الحسين فى عطفها على العلم والأدب . (٣) المستعبرة : أى الباكية لفقدها عطفك (٤) التبصرة : بمعنى الموعظة (٤) ترة : هى الثار

(فاطِم) من يُولَد يَمُتْ   المهدُ جسرُ المقبَره (١)
وكلُّ نفسٍ في غدٍ   مَيّتــةٌ فمُنشَره
وأنَّه مَن يَعمل الـ   خيرَ أو الشرَّ يَرَه
وإنما يُنبَّــه الـ   غافلُ عندَ الغرغره (٢)
يَلفِظها حَنْظَــلَةً   كانت بفيه سُكَّره (٣)
ولن تزَالَ من يدٍ   إلى يدٍ هذى الكُره

***

أين أبوكِ ماله   وجاهُه والمقـدره
وادى النَّدَى وغيثُه   وعينُــه المُفجَّره (٤)
أين الأمورُ والقُصو   رُ والبدورُ المخدَره
أينَ اللَّيالى البيضُ والـ   أصائلُ المزعفَره (٥)
وأينَ في رُكن البلا   د يدُه المُعمِّره
وأينَ تلك الهمَّـةَ الـ   ماضيةُ المشمِّره
تَبغِى لمصرَ الشرقَ أو   أكثرَه مُستعمَره
جرى الزمانُ دونها   فرَدَّهُ وأعثَره
فإنْ همَمتَ فاذكر الـ   مَقادرَ المقـدَّره
مَن لا يُصِب فالناسُ لا   يَلتمسونَ المعذره

---

(١) فاطم : أى يا فاطمة وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرئ القيس : أفاطم مهلا بعض هذا التدلل   (٢) الغرغرة : هى وقت حشرجة الروح فى الصدر
(٣) أى يلفظ الحياة   (٤) الندى : الكرم ، والعين : بمعنى النبع
(٥) الأصائل : الوقت من بعد العصر إلى المغرب ، والمزعفرة : أى الملونة بلون الزعفران والليالى البيض والأصائل المزعفرة يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة

ذكرى مصطفى كامل (*)

لم يَمُتْ مَنْ لَهُ أثر ... وحياةٌ مِنَ السِّيَر
أدعُه غائباً وإن ... بَعُدت غايةُ السفر
آيبُ الفَضْل كلّما ... آبتِ الشمسُ والقمر (١)
رُبَّ نُورٍ مُتَمّمٍ ... قَدْ أتانا مِنَ الحُفَر (٢)
إنما الميْتُ مَنْ مشى ... مَيّتَ الخير والخبر
مَنْ إذا عاشَ لم يُفِد ... وإذا مات . لم يَضِر
لَيْسَ فى الجاهِ والغِنَى ... منـــه ظِلٌّ ولا ثمر
قُبِحَ العِـــزُّ فى القصـ ... ـور إذا ذَلَّتِ القُصر

* * *

أعـــوزَ الحقَّ ذائدٌ ... وإلى (مصطفى) افتقر
وتَمنّت حِيـــاضُه ... هبَّةَ الصَّارِمِ الذكر
الذى يُنفِـذُ المُدى ... والذى يرْكَبُ الخطَر (٣)
أيُّهـا القَومُ عَظّموا ... واضعَ الأسِّ والحجَر

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد فى مصطفى كامل باشا ، هــذه إحداهن ، وقد ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم تمجيداً لذكراه فى فبراير سنة ١٩٢٦ .

(١) يقول فى كل أوبة شمس وفى كل عودة قمر يؤوب للفقيد فضل ويتجدد له ذكر ، وإذن فهو لا يحسب ميتاً وغاية الأمر أنه غائب فى سفر بعيد

(٢) الحفر : القبور

(٣) الذى ينفذ المدى يراد به صاحب الطعنات النافذة

اذكُروا الخُطْبَةَ التى   هى من آيهِ الكُبَر[١]
لم يرَ النَّاسُ قبلَهـا   مِنبراً تحتَ مُحْتضِر
لَسْتُ أنسَى لِوَاءَهُ   وهو يَمشى إلى الظفَر
حَشَرَ النَّاسَ تحتَهُ   زُمَراً إثْرَها زُمَر
وترَى الحقَّ حولَهُ   لا تَرى البيضَ والسُّمر[٢]
كلَّما راحَ أوْ غدا   نَفَخَ الرُّوحَ فى الصُّوَر

* * *

يا أخا النَّفْسِ فى الصِّبا   لذةُ الرُّوح فى الصِّغَر
وخَلِيلا ذَخَرْتُهُ   لم يُقوَّم بمُدَّخر
حَالَ بَيْنى وبيْنَه   فى فُجَاءاتِهِ القَدر
كيف أجزى مَوَدَّةً   لم يَشُبْ صفوَها كَدر
غيرَ دمعٍ أقُولُهُ   قَلَّ فى الشَّأْنِ أوْ كَثُر
وفُؤَادٍ مُعَلَّلٍ   بالخيالات والذِّكَر
لم ينَم عنك ساعةً   فى الأحاديث والسَّمر
قم تَرَ القوم كُتْلةً   مثل مَلمُومَةِ الصخُر[٣]
جَدَّدوا أُلفةَ الهوى   والأخاء الذى شُطِر

(١) يريد آخر خطبة للفقيد وقد ظنها الناس يومئذ خطبة الوداع
(٢) البيض : السيوف والسمر : الرماح   (٣) ملمومة بمعنى مجتمعة ويقال للدرع ملمومة وكذلك يقال للكتيبة وهى الفرقة من الجيش ملمومة أيضاً

ليس لِلخُلف بينهم　　أو لأسبابه أثَر
ألَّفتهم روائحٌ　　غادياتٌ من الفِبَر
وصَحوا من مُنوِّم　　وأفاقوا من الخَدَر(١)
أقبلوا نحوَ حقِّهم　　مالهم غيرَه وطَر
جعلوه خليّةً　　شرَعوا دونها الابر(٢)
وتواصَوْا بخُطةٍ　　وتداعوا لمؤتمر(٣)
وقُصارى أولى النهى　　يتلاقَون فى الفكر
آذنونا بموقفٍ　　من جلالٍ ومن خطر
نَسمع الليثَ عنده　　دون آجامه زأر
قل لهم فى نديِّهم　　مصرُ بالباب تنتظر(٤)

---

(١) الخدر : الكسل وهو مصدر خدر كفرح　(٢) الخلية موضع سكن النحل ، شرعوا الابر بمعنى رفعوها استعداداً للنضال بها كما يقال شرع سيفه إذا انتضاه من غمده
(٣) تداعوا : تجمعوا　(٤) يريد بالندى البرلمان وكان وقتئذ يهيأ

المنفلوطي (*)

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وداعِ ... ونعاكَ في عَصْفِ الرياحِ النّاعي (١)

هتفَ النُّعاةُ ضحًى فأَوْصَدَ دونهم ... جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأسماعِ

مَن ماتَ في فزَعِ القيامةِ لم يجد ... قَدَماً تُشيِّعُ أو حفاوةَ ساعِ

ما ضَرَّ لو صبرَتْ ركابُكَ ساعةً ... كيفَ الوقوفُ إذا أهابَ الداعي

خلِّ الجنائزَ عنك لا تحفِلْ بها ... ليس الغرورُ لميّتٍ بمتاعِ

سِرْ في لواءِ العبقريةِ وانتظِمْ ... شتّى المواكبِ فيه والأَتْباعِ

واصعَدْ سماءَ الذِّكرِ مِن أسبابها ... واظهرْ بفضلٍ كالنّهارِ مُذاعِ

فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ ... لَبِقٍ بوشْيِ المُمتِعاتِ صَناعِ

مَرْموقِ أسبابِ الشبابِ وإن بدتْ ... للشيْبِ في الفَوْدِ الأحمِّ رَواعي (٢)

تتخيَّلُ المنظومَ في منثورهِ ... فتراهُ تحت روائعِ الأسجاعِ

لم يجحَدِ الفُصحَى ولم يهجُمْ على ... أسلوبها أو يُزْرِ بالأَوْضاعِ

لكن جرَى والعصرَ في مِضمارِها ... شَوْطاً فأحرزَ غايةَ الإبداعِ

(*) هو الكاتب الذائع مصطفى لطفي المنفلوطي اشتهر بأسلوب انشائي خاص لفت إليه أنظار القراء في عصره ، وقد توفي سنة ١٩٢٤

(١) يشير بيوم الهول إلى أن وفاة الفقيد كانت في يوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا

(٢) الفود : أحد الفودين وهما جانبا الرأس من الأمام ، والأحم : الأسود ، والرواعي جمع راعية ويريد بالرواعي الشعرات البيض اللواتي ظهرت في جانبي رأسه

حرُ البيانِ قديمه وجديده ... كالشمس جِـدَّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ
يونانُ لو بِيعتْ (بهوميرٍ) لما ... خَسِرتْ لعَمرُكَ صفقةُ المبتاعِ

***

يا مُرسلَ (النظراتِ) فى الدنيا وما ... فيها على ضجرٍ وضيقِ ذِراعِ [(١)]
ومُرقرِقَ (العبراتِ) تجرى رقةً ... للعالَمِ الباكى من الأوجاعِ [(٢)]
من ضاقَ بالدنيا فليسَ حكيمَها ... إنَّ الحكيمَ بها رحيبُ الباعِ
هىَ والزمانُ بأرضِهِ وسمائِهِ ... فى لُجّةِ الأقدارِ نِضْوُ شِراعِ [(٣)]
مَن شذَّ ناداهُ إليه فَرَدَّهُ ... قَدَرٌ كَراعٍ سائقٍ بقطاعِ [(٤)]
ما خَلفَه إلا مَقُودٌ طائعٌ ... مُتلفِّتٌ عن كبرياءِ مُطاعِ
جبّارُ ذِهنٍ أو شديدُ شكيمةٍ ... يَعضى مُضِيَّ العاجزِ المُنصاعِ
مَن شوَّهَ الدنيا إليكَ فلم تجدْ ... فى المُلكِ غيرَ مُعَذَّبين جِياعِ ؟
أبكلِّ عينٍ فيه أو وَجهٍ ترى ... لمحاتِ دمعٍ أو رسومَ دِماعِ [(٥)]
ما هكذا الدنيا . ولكن نُقلةٌ ... دمعُ القريرِ وعَبرةُ المُلتاعِ
لا الفقرُ بالعبَراتِ خُصَّ ولا الغِنى ... غِيَرُ الحياةِ لهنَّ حكمٌ مُشاعِ [(٦)]
ما زالَ فى الكوخِ الوضيعِ بواعثٌ ... منها وفى القصرِ الرفيعِ دَواعِى

---

(١) النظرات : اسم كتاب للفقيد (٢) العبرات : اسم كتاب له أيضاً

(٣) نضو شراع : أى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط (٤) القطاع : طائفة من الغنم (٥) رسوم دماع أى آثار تبدو فى مجرى الدمع كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقاً فى موضع مسيلها

(٦) غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس

فِى القَفْرِ حَيَّاتٌ يُسَيِّبُها به ... حاوِى القضاءِ وفى الرياضِ أفاعى
ولِرُبَّ بُؤْسٍ فى الحياةِ مُقَنَّعٍ ... أرْبَى على بؤسٍ بغيرِ قِناعِ

***

يا (مصطفى) البُلَغاءِ أى يراعةٍ ... فَقَدوا وأى مُعلِّمٍ بيَراعِ
اليومَ أبصرتَ الحياةَ فقلْ لنا ... ماذا وراءَ سَرَابِها اللمَّاعِ
وصِفِ المنونَ فكم قعدتَ ترى لها ... شَبَحاً بكلِّ قرارةٍ ويَفَاعِ(١)
سكنَ الأحبَّةُ والعِدى وفرغتَ من ... حِقدِ الخُصومِ ومن هوى الأشياعِ
كم غارةٍ شنُّوا عليكَ دفعتَها ... تَصِلُ الجهودَ فكنتَ خيرَ دِفاعِ
والجهدُ موتٌ فى الحياةِ ثِمارُه ... والجهدُ بعد الموتِ غيرُ مُضاعِ
فاذا مَضَى الجيلُ المِراضُ صدورُه ... وأتى السليمُ جوانبِ الأضلاعِ
فافزَعْ إلى الزمنِ الحكيمِ فعنده ... نَقدٌ تنزَّهَ عن هوى ونِزاعِ
فاذا قضَى لك أُبْتَ مِن شُمِّ العُلى ... بثنيَّةٍ بَعُدَتْ على الطلّاعِ(٢)
وأجَلُّ ما فوقَ الترابِ وتحتَه ... قلمٌ عليه جَلالَةُ الإجماعِ
تلكَ الأناملُ نام عنهنّ البِلَى ... عُطِّلْنَ من قلمٍ أشمَّ شُجاعِ
والجُبنُ فى قلمِ البليغِ نظيرُه ... فى السَّيفِ مَنْقَصَةٌ وسوءُ سَماعِ

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . كالنجاد والقرار : ما انخفض منها كالوهاد
(٢) الثنية : الطريق فى أعالى الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

عاطف بركات باشا*

خَفَضتُ لِعزّةِ الموت اليَراعا ... وجَـدَّ جلالُ منطقِه يراعا
كفى بالموت للنُّذُر ارتجالاً ... وللعبَراتِ والعِبَرِ اختراعا
حَكيمٌ صامتٌ فضَح الليالى ... ومَزَّق عن خَنا الدنيا القِناعا
إذا حضَر النفوسَ فلا نعيماً ... تَرى حولَ الحيـاةِ ولا مَتاعا
كشفتُ به الحيـاةَ فلم أجِـدْها ... ولَمحةَ مائها إلاّ خِـداعا
وما الجرّاحُ بالآسِى المُرجَّى ... إذا لم يَقتُل الجُثثَ اطّلاعا[1]
فإن تَقُل الرِّثاءَ فقُل دُموعا ... يُصاغ بهنَّ أو حِكَماً تُراعَى
ولا تكُ مثلَ نادبَةِ المُسجَّى ... بكَت كَسْباً ولم تَبكِ التياعا[2]
خَلتْ دُولُ الزمان وزُلن ركناً ... ورُكنُ الأرضِ باقٍ ما تَداعَى[3]
كأنّ الأرضَ لم تَشهد لِقاءً ... تَكادُ له تَميدُ ولا وداعا
ولو آبت ثوَا كلُ كلِّ قَرن ... وجَدْن الشمسَ لم تَثكَل شُعاعا
ولـكن تُضربُ الأمثالُ رُشداً ... ومِنهاجاً لمن شاء اتِّباعا

(*) عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر المقدمين وأحد نوابغ جياه المعلمين ، ترق إلى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٢٥

(١) يقال قتل الأمر اطلاعاً إذا بحثه طويلا . والآسى : الطبيب

(٢) المسجى : الميت . والالتياع : شدة الحزن

(٣) تداعى الركن : أى سقط متهدماً

ورُبَّ حديثِ خيرٍ هاجَ خيراً   وذِكرِ شجاعةٍ بعثَ الشُّجاعا

***

(معارفُ) مصرَ كان لهنَّ رُكنٌ   فَذُقْنَ اليومَ للركنِ انْصِداعا

مضَى أعْلَى الرجالِ لها يَميناً   وأرحبُهم بخلتها ذِراعا

وأكثرُهم لها وقفاتُ صِدقٍ   إباءً فى الحوادث أو زَماعا

أتته فنالها نَفَلاً وفيئاً   فلا هبةً أتته ولا اصطِناعا(١)

تَنَقَّل يافعاً فيها وكهلاً   ومِن أسبابها بلغَ اليَفاعا

فتًى عجمته أحداثُ الليالى   فلا ذُلاً رأين ولا اختِضاعا

سجينٌ مُهنداً ونَقيٌّ تِبراً   وزِدْنَ المسكَ من ضَغطٍ فضَاعا(٢)

شديدٌ صُلّبٌ فى الحقّ حتى   يقولَ الحقَّ لِيناً واتِّداعا(٣)

ومدرسة سَمتْ بالعلم رُكناً   وأنهضَت القضاءَ والاشتراعا(٤)

بَناها مُحسِناً بالعلم براً   يَشيدُ له المعالمَ والرِّباعا(٥)

وحاربَ دُونها صَرْعى قَديمٍ   كأنَّ بهم عن الزمَنِ انقِطاعا

---

(١) النفل : مفرد الأنفال يعنى العطايا المكتسبة من الفىء ، والفىء : الغنيمة ، والاصطناع هو ما يعبر عنه فى زمننا بالمحسوبية   (٢) ضاع المسك والطيب : سطع عطره ، لما قال فتى عجمته أحداث الليالى ، شرع يبين كيف كان ذلك فأخبر أنه سجن فكان أشبه بالمهند ونقى فكان مثل التبر وحين شدت أحداث الليالى ضغطاً كان الفقيد أشبه بالمسك الذى يسحق ليزيد أرجاً وطيباً   (٣) صلب بشد اللام أى كثير الصلابة ، والاتداع من الوداعة وهى رقة الخلق

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ولم يستغن عنها إلا بعد إصلاح الأزهر والاكتفاء بأبنائه   (٥) الرباع جمع ربع : الدار

إذا لمحَ الجديدُ لهم تولّوا ... كذى رَمدٍ على الضوء امتناعا

***

أخا «سيشيل» لا تذكُرْ بحاراً ... بَعدُنَ على المزار ولا بقاعا(١)

وربّك ما وراء نواكَ بُعدٌ ... وأنت بظاهرِ الفُسطاط قاعا(٢)

نزلتَ بعالمٍ خَرقَ القضايا ... وأصبح فيه نظم الدهر ضاعا

فَحَلّ الأربعينَ لحافليها ... وقُم تجدْ القُرونَ مرَرْنَ ساعا(٣)

***

مرِضتَ فما ألحّ الداء إلا ... على نفسٍ تعوّدت الصِّراعا

ولم يكُ غيرَ حادثةٍ أصابت ... مُقلَّلَ كلّ حادثةٍ قِراعا(٤)

ومَنْ يتجرّعِ الآلامَ حياً ... تَسُغْ عند المماتِ له اجْتراعا

أرقتَ وكيفَ يُعطَى الغمضَ جفنٌ ... تَسُلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا(٥)

ولم يَهدأ وِسادُك فى الليالى ... لعلمك أن ستُفنيها اضطجاعا

عجبتُ لشارحٍ سببَ المنايا ... يُسمّى الداءَ والعِلَلَ الوجاعا

ولم تكن الحتوفُ محلّ شكٍ ... ولا الآجالُ تحتملُ النّزاعا

---

(١) سيشيل إحدى جزر الهند النائية نفى إليها الفقيد حين اتهمته السلطات الانجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى (٢) الفسطاط : مدينة مصر ، وظاهر الفسطاط أى ضاحيتها . والقاع فى الأصل هو المنخفض فى الأرض ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد

(٣) الأربعين فى هذا البيت مقصود بها الأيام التى مضت على وفاته أو السن التى توفى فيها ، والساع والساعات : جمع ساعة (٤) القراع : نوع من الحرب والمغالبة

(٥) الرواع : من قولهم ناقة رواع الفؤاد بضم الراء وفتح الواو أى شهمة ذكية

وَلَكِنْ صُيَّدٌ ولها بُزاةٌ ... تَرى (السّرطانَ) منها والصُّداعا (١)
أرَى التعليمَ لما زُلتَ عنه ... ضعيفَ الرُكنِ مَخذولاً مُضاعا
غريقٌ حاولت يَدُه شراعاً ... فلما أوشكت فَقَد الشِّراعا
سَراةُ القومِ مُنصرفون عنه ... وصُحفُ القوم تَقتضِب الدفاعا (٢)
لقد نسّاه يومُك ناصباتٍ ... مِن السّنواتِ قاساها تِباعا (٣)
قُم ابنِ الأمهاتِ على أساسٍ ... ولا تَبنِ الحصون ولا القِلاعا
فهُن يلِدْن للقَصب المذاكى ... وهنّ يَلدن للغاب السِّباعا (٤)
وجدتُ معانىَ الأخلاق شتّى ... جُمعن فكُنّ فى اللفظ الرّضاعا
عزاء الصابرينَ (أبا يحىّ) ... ومثلُك من أناب ومن أطاعا (٥)
صَبَرتَ على الحوادث حين جلّت ... وحين الصبرُ لم يكُ مُستطاعا
وإن النفس تهدأُ بعد حينٍ ... إذا لم تَلْقَ بالجزع انتِفاعا
إذا اختلف الزمانُ على حزينٍ ... مَضى بالدمع ثم محا الدّماعا
قُصارَى الفرقَدينِ إلى قَضاءٍ ... إذا عثَرا به انفصَما اجتماعا
ولم تحو الكنانةُ آل سعدٍ ... أشدُّ على العِدى منكم نِباعا (٦)
ولم تَحمِل كشيخكم المُفَدّى ... نُهوضاً بالأمانةِ واضْطِلاعا

(١) البزاة: جمع بازى وهو ضرب من الصقور (٢) سراة القوم : سادتهم ، الاقتضاب : بمعنى القطع أو الايجاز والاختصار (٣) ناصبات : من قولهم عيش ناصب أى فيه كد وجهد ، وتباعا أى متتابعة (٤) المذاكى : الخيل التى كملت قوتها والقصب : هو الخطر الذى يتراهن عليه المتسابقون (٥) أبا يحى ينادى بهذه الكنية لفتح الله بركات باشا شقيق الفقيد ، وأناب : رجع إلى الله (٦) النباع : جمع نبع وهو شجر للقسى والسهام ينبت فى قمة الجبال ، وآل سعد هم آل زغلول باشا أخوال الفقيد

غداً فصلُ الخطابِ فمَن بَشيرى ... بأنّ الحقَّ قد غلَبَ الطّغاما
سَلوا أهلَ الكنانة هل تَداعَوا ... فإن الخصمَ بعد غدٍ تَداعى
وما (سعدٌ) بمتّجرٍ إذا ما ... تعرّضت الحقوقُ شَرى وباعا
ولكن تَحتمى الآمالُ فيه ... وتدّرعِ الحقوقُ به ادّراعا[1]
إذا نَظرت قلوبكُمو إليه ... عَلا للحادثات وطالَ باعا[2]

(١) تدرع الحقوق به أى تجعل منه درعا لها ، والدرع ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف وأشباهها (٢) طال باعا أى طال شأوا وعظم قوة

المويلحي (*)

كاتبٌ مُحسِنُ البَيانِ صَناعُه   استخَفَّ العقولَ حيناً يَراعُه(١)
أينَ مصرٌ وإنما كلُّ أرضٍ   تَنطقُ الضادَ مهدُهُ ورِباعُه(٢)
إنما الشرقُ منزِلٌ لم يُفرِّق   أهلَه إن تفرَّقت أصقاعُه(٣)
وطنٌ واحدٌ على الشمسِ والفُصـ   ـحى وفى الدمعِ والجِراحِ اجتماعُه
علمٌ فى البيانِ وابنُ لِواهِ   أخـذَ الشرقَ حِقبةً ابداعُه
حسبُه السحرُ من تُراثِ أبيه   إن تَوَلَّت قصورُه وضياعُه(٤)
إنما السحرُ والبلاغةُ والحكـ   ـمةُ بيتٌ ، كِلاهُما مِصراعُه

* * *

فى يدَ النَّشءِ مِن بيانِ (المويلحى)   مَثلٌ يَنفعُ الشبابَ اتِّباعُه
صُوَرٌ من حقيقةٍ وخَيالٍ   هى إحسانُ فكرِه وابتداعُه
رُبَّ سجعٍ كمُرقِصِ الشِّعرِ لما   يَختلفْ لحنُهُ ولا إيقاعُه
أو كسَجعِ الحمامِ لو فصّلته   وتأنّت به ودَقَّ اختراعُه
هو فيه بديعُ كلِّ زمانٍ   ما بديعُ الزمانِ ما أشجاعُه(٥)

* * *

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تأبينه

(١) يقال يد صناع أى ماهرة حاذقة وبيان صناع أيضاً   (٢) رباع : جمع ربع وهو الدار   (٣) أصقاعه : جمع صقع بضم الصاد : الناحية   (٤) تولت القصور أى ذهبت ، والضياع : جمع ضيعة وهى العقار والأرض المغلة   (٥) بديع الزمان هو الهمذانى صاحب المقامات المشهورة

عَجِبَ الناسُ من طِباعِ المويلحـ ي وفى الأُسْد خُلقُه وطِباعه
فيه كِبْرُ اللّيوثِ حتى على الجوُ ع وفيها اباؤه وامتِناعه
تَعِبَ الموتُ فى صَبورٍ على النَّز ع قليلٍ إلى الحياة نِزَاعه[1]
صَارعَ العيشَ حِقبةً ليتَ شعرى ساعةُ الموتِ كيف كانَ صِراعه
قَهرَ الموتَ والحياةَ وقد تَحـ كُم فى رَائض السِّباع سباعه
مُهجةٌ حُرّةٌ وخُلقٌ أبىٌّ عَىَّ عنه الزّمانُ وارتدَّ باعه

***

فى الثمانين يا (محمد) عِلمٌ لِعَليمٍ وإن تناهَى اطّلاعه[2]
لِمْ تقاعَدْتَ دونها وتوانى سائقُ الفلك واضمحلّ شِراعه
رُبّ شيبٍ بَنَت صُروحَ المعالى سَنَتاه وشَادت المجدَ ساعه
فيه مِن هِمّة الشّبابِ ولكنْ ليس فيه جِماحُه واندفاعه

***

سيّدُ المنشئين حَثَّ المطايا ومضَى فى غُباره أتباعه
حَطّهم (بالامامِ) لِلموت ركبٌ يَتلاقى بِطاؤه وسِرَاعه
قَنّعوا بالتراب وجهاً كريماً كان من رُقعةِ الحياء قِناعه
كَسَنَا الفجرِ فى ظِلال الغَوادى كَرَمٌ صفحتاه هَدْىٌ شُعاعه

---

(١) النزع للميت ساعات احتضاره يقول انه مع زهده فى الحياة فقد طال زمن احتضاره ولا يكون هذا إلا من قوة الحيوية التى تستطيع مغالبة الموت (٢) فى الثمانين يقصد ثمانين عاماً

يا وحيدًا كأُنسٍ فى كسر بيتٍ … ضيّق بالنزيل رحب ذراعه[1]
كلُّ بيتٍ تحلّه يستوى عنـ … ـدك فى الزُّهد ضيقُه واتّساعه
نَم مليًّا فلستَ أولَ ليثٍ … بفلاة (الامام) طال اضطجاعه[2]
حولَكَ الصالحون طابوا وطابت … أكَمَاتُ (الامام) منهم وقاعه[3]
قلّدوا الشرقَ من جمالٍ وخيرٍ … ما يؤودُ المفنّدين انتزاعه[4]
أسّست نهضةُ البناء بقومٍ … وبقومٍ سما وطال ارتفاعه
كل حىّ وإنْ تراخت منايا … ه قضاء عن الحياة انقطاعه
والذى تحرصُ النفوسُ عليه … عالَمٌ باطلٌ قليلٌ متاعه

---

(١) كسر البيت : بكسر الكاف وفتحها جانبه (٢) فلاة الامام : صحراء الامام الشافعى حيث مدفن الفقيد (٣) أكمات جمع أكمة : المرتفع من الأرض ، والقاع : المنخفض منها (٤) يؤود : بمعنى يثقل ويتعب ، والمفندين : المكذبين

اسماعيل باشا صبري (*)

أجلٌ وإن طالَ الزمانُ مُوافى ... أخْلى يَدَيْكَ من الخليلِ الوافى
داعٍ إلى حقٍّ أهابَ بخاشعٍ ... لَبِس النذيرِ على هُدًى وعَفاف (١)
ذهب الشبابُ فلم يكن رُزْئى به ... دونَ المُصابِ بصَفوةِ الأُلّاف
جَلَلٌ من الأرزاء فى أمثاله ... هِمَمُ العزاء قليلةُ الاسعاف
خفّت له العَبراتُ وهى أبيّـةٌ ... فى حادثاتِ الدهرِ غيرُ خِفاف
ولـكلٌّ ما أتلفتَ من مُستكرَمٍ ... إلا مَودّاتِ الرجالِ تلاف (٢)
ما أنتِ يا دُنيا أرؤيا نائمٍ ... أم ليلُ عُرسٍ أم بِساطُ سُلاف
نَعماؤكِ الرَّيحانُ إلا أنه ... مَسّت حَواشيه نقيعُ زُعاف (٣)
مازلتُ أصحَبُ فيكِ خُلقاً ثابتاً ... حتى ظفِرتُ بخُلقك المُتَنافى

***

ذهَبَ الذَّبيحُ السّمحُ مثل سَميِّه ... طهر المكفَّن طيِّبَ الألفاف (٤)

(*) اسماعيل باشا صبرى أحد الشعراء السابقين الفحول وكان يلقب بشيخ الشعراء ، وهو أحد رجال الدولة فى عصره ، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية وترقى إلى منصب وكيل وزارة الحقانية ، ثم وافاه الموت فى سنة ١٩٢٣

(١) النذير : الموت (٢) المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه

(٣) نقيع زعاف : أى سم ناجع بالغ (٤) يشبه الفقيد بالذبيح والذبيح : قيل سيدنا اسماعيل وقيل سيدنا إسحاق والمراد هنا سيدنا اسماعيل ومن أجل ذلك صار الفقيد سميا له . والألفاف يقصد بها الكفن يريد أنه ذهب طيب المظهر والمخبر

كم باتَ يَذبَح صدْرَه لشَكاتِه … أتُراه يَحسَبُها من الأضياف(١)
نَزلت على سَحْرِ السَّماحِ ونَحْرِه … وتقلَّبت فى أكرمِ الأكناف(٢)
لجَّت على الصَّدر الرحيبِ وبرَّحت … بالكاظم الغيظ الصَّفوحِ العافى
ما كان أقسَى قلبَها من عِلَّةٍ … عَلِقَت بأرحم حَبّةٍ وشَغاف(٣)
قلبٌ لو انتظم القلوبَ حنانُهُ … لم يَبقَ قاسٍ فى الجوانح جاف
حتى رماه بالمنيّـة فانجلت … مَنْ يَبتلى بقضائه ويُعافى
أخْنَت على الفَلك المُدارِ فلم يَدُر … وعلى العُباب فقرّ فى الرجاف(٤)
ومَضَت بنار العبقريةِ لم تَدع … غيرَ الرَّماد ودارِسات أثافى(٥)
حَملوا على الأكْتاف نورَ جلالةٍ … يذرُ العيونَ حواسدَ الأكتاف
وتقلّدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً … ولكم نعوشٍ فى الرّقاب زياف
مُتمايلَ الأعوادِ مما مَسَّ من … كَرمٍ وممَّا ضمّ من أعطاف
وإذا جلالُ الموتِ وافٍ سابغٌ … وإذا جلالُ العبقريةِ ضافى
ويحَ الشباب وقد تخطَّر بينهم … هل مُتِّعوا بتمسُّحٍ وطَواف
لو عاش قُدوتُهم وربُّ « لوائهم » … نكسَ « اللواء » لثابتٍ وقاف(٦)
فلكم سقاه الودَ حين ودادُه … جَربٌ لأهل الحكم والاشراف

---

(١) الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض (٢) السحر : الرئة ، والنحر : أعلى الصدر ، والأكناف : جمع كنف وهو الجانب (٣) يريد بقوله ارحم حبة : القلب ، والشغاف بالفتح غلاف القلب (٤) العباب : هو الموج ، والرجاف : البحر (٥) الأثافى : جمع أثفية وهى ما يوضع عليه القدر (٦) رب لوائهم يقصد به صاحب جريدة اللواء ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا

لا يومَ للأقوامِ حتى يَنهَضوا ... بقوادمٍ من أمرِهم وخوافي[١]

* * *

لا يُعجبنَّك ما ترى من قُبةٍ ... ضربوا على مَوتاهمو وطِراف[٢]

هجَموا على الحق المُبين بباطلٍ ... وعلى سبيل القَصد بالاسراف[٣]

يَبْنون دارَ اللهِ كيفَ بَدَا لهم ... غرفاتِ مُثرٍ أو سقيفةَ عافي[٤]

ويُزوِّرون قبورَهم كقُصورهم ... والأرضُ تَضحكُ والرُّفاتُ السافي

* * *

فُجِعت رُبى الوادِي بواحد أيْـكِها ... وتجرَّعت ثُـكْلَ الغدير الصافي

فقَـدت بَنانًا كالربيع مُجيدةً ... وشي الرياضِ وصَنْعةَ الأفواف[٥]

إن فاته نَسبُ « الرَّضيِّ » فرُبما ... جَرَيا لغاية سُــؤددٍ وطِراف[٦]

أوْ كان دونَ « أبي الرضيِّ » أبوةً ... فلقدْ أعادَ بيانَ « عبدِ منافِ »

شَرَفُ العصاميين صُنعُ نفُوسِهم ... مَن ذا يقيسُ بهم بَنِي الأشراف

قُل للمُشيرِ إلى أبيــه وجدِّهِ ... أعلِمتَ للقَمرَيْنِ من أسلاف ؟

لو أن (عمرانًا) يُجارُكَ لم تَسُد ... حتى يُشارَ إليك في الأعراف[٧]

* * *

(١) القوادم والخوافى : ريش فى جناح الطائر . وقد ورد فى قول بعضهم : فان الخوافى قوة للقوادم (٢) طراف على وزن كتاب : بيت من أدم ويقصد بها المقاصير الموضوعة على بعض القبور (٣) القصد : الاعتدال وهو فى كل شىء ضد الاسراف (٤) عاف : الفقير (٥) الأفواف : الحرير (٦) الطراف هنا من قولهم : توارثوا المجد طارفا أى عن شرف ورفعة ، والرضى هو الشريف الرضى الشاعر المشهور (٧) عمران : أبو موسى عليه السلام وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم الأعراف

قاضى القضاة جرت عليه قضية ... للموت ليس لها من استئناف
ومصرِّف الأحكام موكول إلى ... حكم المنيّة ماله من كافى
ومنادم الأملاك تحت قبابهم ... أمسى تنادمه ذئاب فيافى[1]
فى منزل دارت على الصِّيد العُلا ... فيه الرَّحى ومشت على الأرداف[2]
وأذيل من حسن الوجوه وعزها ... ما كان يعبد من وراء سجاف[3]
من كل لمَّاح النعيم تقلبت ... ديباجتاه على بلًى وجفاف
وترى الجماجم فى التراب تماثلت ... بعد العقول تماثل الأصداف
وترى العيون القاتلات بنظرة ... منهوبة الأجفان والأسياف[4]
وتراع من ضحك الثغور وطالما ... فتنت بحلو تبسم وهناف
غزت القرون الذاهبين غزالة ... دمهم بذمة قرنها الرعاف[5]
يجرى القضاء بها ويجرى الدهر عن ... يدها فيا لثلاثة أحلاف
ترمى البريَّة بالحبول وتارة ... بحبائل من خيطها وكفاف[6]
نسجت ثلاث عمائم واستحدثت ... أكفان موتى من ثياب زفاف[7]

* * *

« أأبا الحسين » تحيةً لثراك من ... روح وريحان وعذب نطاف

---

(١) الأملاك : الملوك ، والفيافى : الصحارى (٢) الصيد العلا : الملوك . الأرداف : أبناء الملوك أو الذين يلونهم فى المركبة (٣) السجاف : الستر كالكلل ونحوها

(٤) يريد بأسياف العيون اللحاظ وكثيراً ما تعمل اللحاظ فى الناس عمل السيوف وعبر بالأسياف ليجانس بينها وبين الأجفان (٥) غزالة هى الشمس ، والرعاف : أى قرنها الأحمر الذى يشبه الدم (٦) الكفاف : حبالة الصائد (٧) ثلاث عمائم : الشعر الأسود ، والأسود فيه شيب . والأبيض أى أدوار العمر الثلاثة

وَسَلامُ أهلٍ وُلّهٍ وصَحابةٍ … حَسْرَى على تلكَ الخِلالِ لِهافِ
هَلْ فى يَدَىَّ سوى قُرَيضٍ خالدٍ … أُزْجيهِ بينَ يديْكَ للإتحافِ
ما كانَ أكرَمَهُ عليكَ فهلْ ترى … أنّى بعثتُ بأكرمِ الألطافِ
هذا هو الرَّيحانُ إلا أنّه … نَفَحاتُ تلكَ الرَّوْضَةِ المِئنافِ(١)
والدُّرُّ إلا أنَّ مَهْدَ يتيمِهِ … بالأمسِ لُجّةُ بحرِكَ القَذّافِ
أيامَ أمرَحُ فى غُبارِكَ ناشئاً … نَهْجَ المِهارِ على غُبارِ «خِصافِ»(٢)
أتعلمُ الغاياتِ كيفَ تُرامُ فى … مِضمارِ فضلٍ أو مَجالِ قَوافِ

***

يا راكبَ الحدباءِ خلِّ زِمامَها … ليْسَ السبيلُ على الدليلِ بخافِ
دانَ المطىَّ النّاسُ غيرَ مَطيةٍ … للحقِّ لا عَجْلى ولا مِيجافِ(٣)
لا فى الجيادِ ولا النِّياقِ وإنما … خُلِقت بغيْرِ حوافرٍ وخِفافِ
تنتابُ بالرُّكْبانِ مَنزِلَةَ الهُدَى … وتَؤُمُّ دارَ الحقِ والإنصافِ
قد بَلَّغَتْ رَبَّ المدائنِ وانْتهت … حيثُ انتهيتَ بصاحبِ الأحقافِ(٤)

***

نَمْ مِلءَ جَفنِكَ فالغُدُوُّ غوافلٌ … عمّا يَرُوعُكَ والعشِيُّ غَوافِ
فى مَضجعٍ يكفيكَ مِنْ حسناتِهِ … أنْ ليسَ جَنْبُكَ عنهُ بالمتجافى
واضْحكْ مِنَ الأقدارِ غيرَ معجَّزٍ … فاليومَ لَستَ لها من الأهدافِ

(١) الروضة المئناف والأنف : هى التى تحمى فلا يكاد أحد يمر بها أو يجتنى منها
(٢) المهار : جمع مهرة . وخصاف : فرس مشهور فى العرب (٣) ميجاف : السريعة
(٤) رب المدائن : كسرى ، وصاحب الأحقاف : عاد

والموتُ كنتَ تخافه بك ظافراً   حتى ظَفِرْتَ بهِ فدَعْه كفاف
قُل لى بِسابقةِ الودادِ أقاتلٌ   هوَ حينَ يَنْزِلُ بالفتى أم شافى ؟
فى الأرضِ مِنْ أبَوَيْك كنزا رحمةٍ   وَهوًى وذلك من جِوارٍ كافى
وبها شبابُكَ واللّذاتُ بكيتَه   وبكيتَهم بالمَدْمَعِ الذّرّاف
فاذهَبْ كمصباحِ السماء ، كلا كُما   مالَ النهارُ به ، وليسَ بطافى
الشمسُ تُخلَفُ بالنُّجُومِ وأنت بالآثــارِ والأخبارِ والأوْصــاف
غَلَب الحياةَ فتًى يسُدُّ مكانَها   بالذكرِ ، فهو لها بَديلٌ وافِ

فوزى الغزى*

جُرحٌ على جُرحٍ حنانَكِ (جلّق) ... حُمّلتِ ما يُوهى الجبالَ ويُزهق[١]
صَبراً لباةَ الشرقِ كلُّ مُصيبةٍ ... تبلَى على الصبر الجميل وتخلُق[٢]
أنسيتِ نارَ الباطشِينَ وهزّةً ... عرتِ الزمانَ كأن (روما) تُحرَق[٣]
رعناء أرسلَها ودسّ شُواظَها ... فى حُجرةِ التاريخ أرعنُ أحمق[٤]
فمشت تُحطّم باليمين ذخيرةً ... وتَلصّ أخرى بالشمال وتَسرِق
جُنّتْ فضَعضَعها وراضَ جماحَها ... من نشئك الحُمس الجنونُ المطبقُ
لقى الحديد حميـــة أموية ... لا تـكتسى صدأً ولا هى تطرق
يا واضعَ الدّستور أمسِ لخلقهِ ... ما فيه مِن عِوَجٍ ولا هو ضيّق
نظمٌ مِن الشُّورى وحُكم راشدٌ ... أدبُ الحضارة فيهما والمنطِق
لا تَخشَ مما ألحقوا بكتابه ... يَبقى الكتابُ وليس يبقى الملحَق
ميتَ الجلالِ من القوافى زفرة ... تَجرى ومنهـا عَبرةٌ تَترقرَق
ولقـد بعثتُهما إليكَ قصيدةً ... أفأنتَ منتظِرٌ كعهدِكَ شيّق

(*) فوزى الغزى هو أحد سراة الزعماء فى الشام وأحد ألوية الثورة العربية فى نهضتها العظمى ، توفى وأقيمت له حفلة تأبين فى دمشق وألقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٣٠

(١) جلق بشد اللام مفتوحة أو مكسورة : دمشق (٢) اللباة : أنثى الأسد

(٣) يشير الى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع ، وحادثة حرق روما هى إحـدى الحوادث التاريخية الـكبرى وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلا للظلم والجبروت

(٤) الشواظ : بضم الشين وكسرها : لهب لادخان فيه

أبكى لَيالينَا القصارَ وصُحبةً ... أخـذت مُخِيلتُها تَجيش وتَبرُق (١)
لا أذكرُ الدنيـا إليكَ فربمـا ... كُرِهَ الحديثُ عن الأُجاجِ المُغرِقِ (٢)
طُبِعت من السُّم الحياةُ طَعامُها ... وشَرابُهـا وهواؤُها المتنشّق
والنـاسُ بينَ بطيئِها وذُعافِها ... لا يعلَمون بأىّ سُمّيها سُقوا (٣)
أما الوَلىُّ فقـد سقاكَ بُسمه ... ماليس يَسقيك العدوُّ الأزرق (٤)
طلبوكَ والأَجلُ الوشِيكُ يحثُّهم ... ولـكلِّ نفسٍ مُدةٌ لا تُسبَق
لمـا أعانَ الموتُ كيدَ حِبالِهم ... عَلِقت وأسبابُ المنيَّةِ تعلَق
طرقت مِهادَكَ حيةٌ بشريةٌ ... كفَرت بما تَنتابُ منه وتَطرُق (٥)

***

يا (فوز) تلك دِمشقُ خَلف سَوادها ... تَرمى مَكانك بالعيون وتَرمُق (٦)
ذكرت لَيالىَ بَدرِها فتلفّتت ... فَمساكَ تطلُع أو لعلك تُشرِق
(بَردى) وراءَ ضِفافِهِ مُستَعْبِرٌ ... والحورُ تَحلولُ الضفائرِ مُطرِق (٧)
والطيرُ فى جَنَباتِ (دُمّر) نُوَّحٌ ... يَجدُ الهمومَ خَلِيُّهن ويأرَق (٨)

---

(١) السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة ، كأن صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر (٢) الأجاج : الملح المر (٣) الذعاف : سم الساعة

(٤) العـدو الأزرق هو الـكثير العـداوة ، والأزرق لون تستعمله العرب فى وصف ما تكره من ذلك قولهم أسـنة زرق ويقولون العيون الزرق أى العمى (٥) المهاد : الفراش ، وفى هذا البيت إشارة إلى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته (٦) سواد دمشق : أى القرى التابعة لها (٧) بردى : نهر بالشام والمستعبر بمعنى الباكى : والحور شجر : وضفائر الحور أى غصونه التى تشبه جدائل الشعر . (٨) دمر : بضم الدال وتشديد الراء مفتوحة : عقبة فى دمشق ، والخلى بمعنى الخالى من الهموم وهو ضد الشجى

ويقول كلُّ مُحدِّثٍ لسميره   أبذاتِ طَوقٍ بَعدَ ذلك يُوثَق (١)

***

عَشِقت تهاويلَ الجمال ولم تجد   فى العبقريَّة ما يُحَبّ ويُعشَق (٢)
فشت كأن بنانَها يدُ مُدمنٍ   وكأن ظلّ السمّ فيها زِئبق
ولو أن مَقدوراً يُرَدّ لردّها   بحياته الوطنُ المروعُ المُشفِق
أشقى قضاء الأرضِ بعدك أسرةً   لولا القضاء من السماء لما شَقُوا
قَستِ القُلوبُ عليهمُ وتحجّرت   فانظر فؤادك هل يَلينُ ويَرفُق
إنّ الذين نزَلتَ فى أكنافهم   صَفَحوا فما مِنهم مَغيظٌ مُحنَق
سخِروا من الدنيا كما سَخِرت بهم   وانبَتّ من أسبابها المتعلّق (٣)
يا مأتماً من (عبد شمسٍ) مثله   للشمس يُصنَع فى المات ويُنسق
إن ضاقَ ظهرُ الأرضِ عنك فبطنُها   عما وراءكَ من رُفاتٍ أضيق (٤)
لما جمعتَ الشامَ من أطرافه   وافى يُعزِّى الشامَ فيك المَشرِق
يبكى لواءٌ من شَباب أميةٍ   يَحمى حِمَى الحقِّ المُبين ويخفق
لَمست نواصيها الحصونُ ترومُه   وتلمّسته فلم تجده الفيلَق (٥)
ركنُ الزعامةِ حين تَطلُب رأيه   فيرى وتَسأله الخطابَ فيَنطِق
ويكاد من سحر البلاغة تحتَه   عودُ المنابرِ يَستخِفّ فيُورِق (٦)

***

(١) ذات الطوق : أى الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية عن المرأة (٢) التهاويل : هى الألوان المختلفة (٣) أنبت : أى قطع (٤) الرفات : بقايا الميت
(٥) نواصي الحصون : أعاليها (٦) يستخف : بمعنى يسر

(فيحاء) أين على جِنانِك وردةٌ   كانت بها الدنيا ترِفّ وتعبَق ؟[1]
علوية تجـــــد المسامعُ طيَّها   وتُحسّ ريّاها العقولُ وتَنشَق
وأرائكُ الزهرِ الغصونُ وعرشُها   يدُ أمةٍ وجَبينُهــا والمَفرَق
مَن مُبلغٌ عني شُبولةَ جلّق   قولاً يَبَرُّ على الزمان ويَصدُق
باللهِ جـــــل جلاله بمحمدٍ   بيسوع بالعزّى لا تتفرقوا
قد تُفسِد المرعى على أخواتِها   شاةٌ تندّ من القطيع وتَمرُق

---

(١) فيحاء : دمشق

كريمة البارودى*

أحيثُ تَلُوحُ المُنى تأفُلُ ... كفى عِظَةً أيّها المنزلُ[١]
حكيتَ الحياةَ وحالاتِها ... فهلاّ تخطّيت ما تنقُل
أمِن جُنحِ ليلٍ إلى فَجْرِه ... جَمّى يَزدَهِى وجمّى يَعْطَل[٢]
وذلك يُوحِش من رَبَّةٍ ... وذلك من رَبَّةٍ يأهَل[٣]
أجاب النعىّ لديك البشير ... وذاقَ بكأسَيْهما المَحفِل
وأطرَقَ بينهما والدٌ ... أخو تَرْحةٍ ليلُه أليَل[٤]
يَفِئ إلى العقل فى أمره ... ولكنّه القلبُ لا يعقِل
تهاوتْ عن الوردِ أغصانُه ... وطارَ عن البَيْضة البلبُل[٥]
وراحت حياةٌ وجاءت حياةٌ ... وأظهرَ قدرتَه المُبدِل
وما غير مَن قد أتى مُدبِرٌ ... ولا غير من قد مَضى مُقبِل
كأنى (بسامى) هَلوعُ الفؤادِ ... إذا أسمعت همسة يَعْجَل

(*) وجه هـذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى كريمته التى توفيت أثناء زفاف شقيقتها

(١) تلوح المنى : بمعنى تشرق ، وتأفل : بمعنى تغرب (٢) جنح الليل بضم الجيم وكسرها طائفة منه ، ويعطل : بمعنى يخلو والأصل فى العطل التجرد من الحلى

(٣) الربة هنا يقصد بها صاحبة البيت ، ويأهل : يمتلئ أو يعمر (٤) الترحة : الحزن . والليل الأليل : الشديد السواد (٥) تهاوت : أى تساقطت أو تخلت

يرى قَدراً يأمَلُ اللُّطفَ فيه ... وعَادِى الرَّدى دون ما يأمَل
يُضيءُ لضيفانه بِشْرُه ... وبين الضلوع الغَضى المُشْعَل[١]
ويَقْرِيهمُ الأنسَ فى منزلٍ ... ويجمعه والأَسي مَنزِل
فمِن غادةٍ فى مَجالى الزِّفاف ... إلى غادةٍ داؤها مُعضِل .
وذى فى نَفَاسَتِها تَنْطوى ... وذى فى نَفائِسها تَرفُل[٢]
تَقَسَّم بينهما قلبُــــه ... وخانته عيناه والأَرجُل
فيا نكدَ الحرِّ هل تَنقَضى ... ويا فرحَ الحرِّ هل تَكْمُل
ويا صبرَ (سامى) بلغتَ المدَىَ ... ويا قلبَــه السهل كم تَحمل
لقد زدتَ من رقَّةٍ كالصِّراط ... ودون صَلابتك الجَنْدل
يَمُرّ عليكَ خليطُ الخُطوبِ ... ويجتازُك الخفّ والمُثقِل[٣].
ويا رجلَ الحِلم خُذ بالرِّضى ... فذلك من مُتَّقٍ أجمَل
أتحسَب شهدا اناءَ الزمان ... وطينتُه الصابُ والحنظل ؟
وما كان مِن مُرِّه يَعتلى ... وما كان من حُلوِه يَسفُل
وأنت الذى شَرِبَ المُترَعَاتِ ... فأَىُّ البواقى به تَحفِل
أفى ذَا الجَلالِ وفى ذا الوَقارِ ... تَخفُّك ضَرّاء أو تُذهِل
ألم تكُن المَلكَ فى عِزِّه ... وباعُك من بَاعه أطْوَل

(١) الغضى : شجر إذا اشتعل بقى جره طويلا (٢) النفاسة من قولهم هــذا شىء نفيس : أى ثمين يرغب فيه ، النفائس : الحلى وما أشبهها (٣) الخف : الخفيف والمثقل : الثقيل

وقولُكَ من فوق قَول الرِّجال ... وفعلُك من فعلهم أنْبل[١]
ستَعرِفُ دُنياكَ من ساوَمت ... وأنَّ وَقارَكَ لا يُبـذَل
كأنك (شَمشونُ) هذى الحياةِ ... وكلٌّ حوادثها هَيكل[٢]

(١) يشير إلى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها

(٢) شمشون : أحد أنبياء التوراة وله قصة هناك تدل على أنه أعطى بسطة عظيمة فى القوة

فتحى ونورى (*)

أُنظرُ إلى الأقمار كيفَ تزولُ — وإلى وُجوهِ السّعدِ كيف تحولُ
وإلى الجبال الشُّمّ كيف يُميلُها — عادى الرّدى باشارةٍ فتَميل
وإلى الرّياح تخِرُّ دون قرارِها — صَرْعَى عليهن التُّرابُ مَهيل
وإلى النّسورِ تقاصرت أعمارُها — والعهدُ فى عمُر النسور يطول
فى كلّ مَنْزِلةٍ وكل سَمِيّة — قمرٌ من الغُرِّ السُّماة قتيل
يهْوِى القضاءُ بها فما مِن عاصِمٍ — هيهات ليس من القَضاء مُقيل
(فتح السماء) و (نورُها) سكنا الثّرى — فالأرضُ وَلْهَى والسماء ثَكُول
سِرْ فى الهواء ولُذْ بناصيةِ السُّها — الموتُ لا يَخْفَى عليه سبيل (١)
واركب جَناحَ النَّسر لا يَعصِمْكَ مِن — نَسرٍ يُرفرفُ فيه عزرائيل
ولكلّ نفسٍ ساعةٌ مَن لم يَمُت — فيها عزيزاً مات وهْو ذليل
أإلى الحياة سكَنْتَ وهْىَ مَصارعٌ — وإلى الأمانى يَسكُنُ المسلول
لا تحفِلنّ ببؤسها ونعيمِها — نُعْمَى الحياةِ وبؤسُها تَضليل
ما بينَ نَضْرَتِها وبين ذُبولها — عُمرُ الوُرُودِ وإنَّهُ لقليل

(*) فتحى ونورى هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما فسقطت بهما فماتا فكان لمصابهما فى مصر أسف شديد ، وكانت الخلافة الاسلامية وقتئذ ما تزال تربط المصريين بالعثمانيين

(١) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى

هذا بَشِيرُ الأمسِ أصبحَ ناعياً ... كالحُلم جاء بضدّه التأويل
يَجرِى من العبَراتِ حولَ حديثه ... ما كانَ مِنْ فرَحٍ عليه يَسيل
ولرُبَّ أعراسٍ خبَأنَ مآتماً ... كالرُقط فى ظلِّ الرياضِ تَقيل(١)
يا أيها الشهداءُ لن يُنسَى لكم ... فتحٌ أغرُّ على السماء جميل
والمجد فى الدنيا لأوّلِ مُبتَنٍ ... ولِمَن يُشيِّد بعدَه فيطيل
لولا نفوسٌ زُلنَ فى سُبُل العُلى ... لم يَهدِ فيها السّالكينَ دليل
والناسُ باذلُ رُوحِهِ أوْ مَالِه ... أو عِلْمِهِ والآخرون فُضول
والنّصرُ غُرّتُه الطلائعُ فى الوغَى ... والتابعون من الخميسِ حُجول(٢)
كم ألف ميل نحوَ مصرَ قَطعتُمو ... فيم الوقوفُ ودون مصرِ ميل ؟
(طوروس) تحتكمُو وضئيلٌ طَرْفُه ... لِمَا طَلَعتُم فى السّحاب كَلِيل
تزخون للريح العِنان وأنها ... لكمُو على طُغيانها لَذَلول
اثنين إِثْرَ اثنين لم يَخطُر لكم ... أنّ المنيةَ ثالثٌ وزَميل
ومن العجائب فى زمانِك أن يَفِى ... لكَ فى الحياةِ وفى المماتِ خليل
لو كان يُفدَى هالكٌ لفَدَاكمو ... فى الجوّ نَسرٌ بالحياة بَخيل

---

(١) يريد أن الأحزان تختبئ فى الأفراح كما تكمن الحيات الرقط وقت القيلولة فى ظلال الرياض ، فوجود الحيات فى ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحزان فى ثنايا الأفراح مسمم لجوها مانع من الاستمتاع بكامل سرورها (٢) الخميس : الجيش والحجول أصلها من اللون الأبيض يكون فى قوائم الفرس كأنه العلامات ، يقول أن الذين يقدمون فى أوائل الجيوش يكونون فى جسم النصر أشبه بالغرة وهى لا تكون إلا فى الوجه على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهى لا تكون إلا فى الأيدى والأرجل وطبيعى أن الوجه أشرف وإن كانت الحجول بعض سمات الجمال

أىُّ الغُزاةِ أُولى الشهادةِ قبلَكم ... عَرضُ السماءِ ضَريحُهم والطُّول ؟[١]

يَغدو عليكم بالتحيةِ أهلُها ... ويُرفرِفُ التَّسبيحُ والتهليل

(إدريسُ) فوق يَمينهِ رِيحانةٌ ... ويَسوعُ فوقَ يمينه إكليل[٢]

فى عالَمٍ سُكَّانُهُ أنفاسُهم ... طِيبٌ وهَمسُ حديثِهم إنجيل[٣]

إنى أخافُ على السماء من الأذى ... فى يومِ يُفسِد فى السماء الجيل[٤]

كانت مُطهَّرةَ الأديمِ نقِيةً ... لا آدمٌ فيها ولا قابيل[٥]

يَتوجَّهُ العانى إلى رَحَماتِها ... ويُرى بها بَرقُ الرجاءِ عليل

ويُشيرُ بالرأسِ المكلَّلِ نحوها ... شيخٌ وباللَّحظِ البرىءِ بَتول[٦]

واليوم للشَّهواتِ فيها والهوى ... سَيْلٌ وللدَّمِ والدُّموعِ مَسيل

أضحتْ ومن سُفُنِ الجواءِ طَوائفٌ ... فيها ومن خيلِ الهواءِ رَعيل[٧]

وأُزِيلَ هَيكلُها المصونُ وسِرُّه ... والدهرُ للسرِّ المصونِ مُذيل[٨]

* * *

(١) فى هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين إذ يقول لهم أن الغزاة وهم موضع الاجلال والاكبار تشق قبورهم فى الأرض ، ولكن أضرحتكم تخط فى السماء (٢) يسوع : هو عيسى بن مريم ، وإدريس : هو أحد الأنبياء الرسل ، وقد خص إدريس بالذكر لما جاء فى قصة الاسراء من أن النبى صلوات الله عليه رآه قائماً على باب أحد السموات السبع فسأل جبريل من هذا فقال : أخوك إدريس (٣) قوله وهمس حديثهم إنجيل : يقصد أن أحاديثهم طهر وتقديس (٤) يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذه الطيارون ميداناً للحروب فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم (٥) يريد بقابيل الاشارة إلى أول دم أراقه الانسان ظلما لأخيه الانسان (٦) الرأس المكلل : الذى يتوجه الشيب وهذه كناية عن حالة الضعف (٧) خيل الهواء : الطيارات : والرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين (٨) مذيل : مهين ، أى أن الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصون فكأنه أهانه

فَلعتْ (دِمَشقُ) وأقبلت فى أهلها مَلْهوفةً لم تَدْرِ كيف تقول
مَشتِ الشّجونُ بها وعَمَّ غياطَها بين الجداولِ والعُيونِ ذُبول[١]
فى كل سهلٍ أنةٌ ومناحةٌ وبكل حَزْنٍ رَنَّةٌ وعويل
وكأنما نُعيَت أُميةُ كلُّها للمسجد الأمويِّ فهْوَ طُلول[٢]
خَضَعت لكم فيه الصفوفُ وأزلفتْ لكم الصلاةُ وقُرِّب الترتيل
من كلِّ نعشٍ كالثُّريا مجدُه فى الأرض عالٍ والسماء أصيل
فيه شهيدٌ بالكتاب مُكفَّنٌ بمدامع الرُّوحِ الأمين غَسيل
أعوادُه بينَ الرجالِ وأصلُهُ بين (السهى) و(المُشترِى) محمول[٣]
يمشى الجنودُ به ولولا أنَّهم أولى بذاكَ مَشى به جبريل
حتى نزلتمْ بُقعةً فيها الهدى مِن قبلُ ثاوٍ والسَّماحُ نزيل
عَظُمَت وجَلَّ ضَريحُ (يوسفَ) فوقها حتى كأنَّ الميتَ فيه رَسول[٤]

***

شعرى إذا جُبتَ البحارَ ثلاثةً وحوالكَ ظِلٌ فى (فروق) ظليل[٥]
وتَداولتْك عِصابةٌ عربيةٌ بين المآذن والقِلاع نُزول
وبَلغتَ من باب الخلافة سُدةً لِستُورها التمسيحُ والتقبيل
قــــل للامام محمدٍ ولآله صبرُ العِظام على العظيم جميل

(١) الغيط : البستان ويقصد بالعيون : عيون الماء (٢) طلول : جمع طلل وهو ما شخص من آثار البناء (٣) المشترى : من الكواكب السيارة
(٤) يقصد بيوسف : صلاح الدين الأيوبى (٥) جبت : قطعت وفروق : بالأستانة وكانت عاصمة الخلافة الاسلامية وقتئذ

تلك الخطوبُ وقد حملتم شطرَها ... ناء الفُراتُ بشَطرها والنيل
ان تفقِدوا الآساد أو أشبالَها ... فالغابُ من أمثالها مأهول
صبراً فأجرُ المسلمين وأجرُكم ... عنـد الإلٰه وإنّه لجزيل
يامَن خِلافتُه الرّضيّةُ عِصمةٌ ... للحقِّ أنت بأن يُحَقَّ كفيل
والله يعلم أنَّ فى خُلفائه ... عَدْلاً يُقيم الملكَ حين يميل
والعـدلُ يَرفعُ للمالك حائطاً ... لا الجيشُ يرفعه ولا الأسطول
هــذا مقامٌ أنت فيه محمدٌ ... والرِّفقُ عنـد محمدٍ مأمول[1]
بالله بالإسلام بالجُرحِ الذى ... ما أنفكَّ فى جَنْب الهلال يَسيل
إلاَّ حللتَ عن السجين وَثاقه ... إنَّ الوَثاقَ على الأُسودِ ثقيل[2]
أيقول واشٍ أو يُردِّد شامتٌ ... صِنديدُ (برقةَ) مُوثَقٌ مكبول[3]
هُو من سيوفِكَ أغمَدُوه لريبةٍ ... ما كان يُغمَدُ سيفُك المسلول
فاذكرْ أميرَ المؤمنين بَلاءَه ... واستَبقه إنَّ السيوفَ قليل

---

(١) كان يخاطب الخليفة محمد رشاد

(٢) السجين : هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام أغار عليها الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية فاعتقلته وزجت به للسجن ولم يخرج إلا بتحقيق وشفاعة مصرية كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجمل مظاهرها

(٣) برقة : إحدى المدن الكبيرة بطرابلس الغرب دارت فيها أهم الوقائع الحربية فى تلك الاغارة وفيها لمع مجد عزيز بك

على باشا أبو الفتوح (*)

ما بينَ دَمعِي المُسْبَل عهدٌ وبين ثرَى (على)
عهدُ (البقيع) وساكنيـ ـه على الحيَـا المُتهلِّل(١)
والدَّمعُ مروَحَةُ الحزيـ ـنِ وراحَـةُ المُتَملْمِلِ
نَمضى ويَلْحَقُ من سَلاَ فى الغابرينَ بمن سَلى
كم من تُرابٍ بالدمو ع على الزمانِ مُبلَّل
كالقـبر ما لم يُبْلَ فيـ ـه من العِظام وما بَلِي
ريَّان من مَجْدٍ يَعِـ ـز على القُصور مؤثَّل
أمستْ جوانبُه قرا راً للنُّجوم الأُفَّل
وحديثُهم مِسكُ النَّدِ يِّ وعَنبرٌ فى المَحفِل

***

قل للنَّعيِّ هتكتَ دَمـ ـعَ الصابرِ المُتَجمِّل(٢)
المُلتقِي الأحداث إنْ نزَلت كأنْ لمْ تنزِل
حَمَل الأسَى (بأبى الفتو ح) علىّ ما لم أحمِل(٣)

(*) على باشا أبو الفتوح أحد نوابغ مصر الذين اشتركوا فى تمهيد الطريق لنهضتها ، كان حقوقياً ضليعاً وأسندت له وكالة وزارة المعارف فكان موضع الفخر والأمل للبلاد ، وقد توفى سنة ١٩١٣ فعد موته خسارة وطنية كبرى

(١) البقيع : أحد المزارات المقدسة فى المدينة المنورة (٢) المتجمل : الذى يدفن همه فى صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس (٣) الأسى : الحزن

حتى ذَهَلْتُ ومن يَذُق   فقدَ الأحبـــة يذهَل
فعتبتُ فى رُكنِ (القضا   ء) على القضاء المُنزَل
لهفى على ذاك الشـــبا   ب وذلك المُســـتقبَل
وعلى المعارف إذ خَلَت   مِن رُكنِهـا والموئل[1]
وعلى شمائـــلَ كالرُّبَى   بين الصَّــبا والجدول
وحياء وجهٍ كانــ يُؤْ   ثَر عن «يَسوعَ» المُرْسَل

***

يا رَاوياً تحت الصـــفيـ   ـح من الــكَرى والجندل[2]
وَمُسَرْبَلاً حُلَلَ الوزا   رةِ بات غـير مُسَرْبَل
وَمُوَسَّـــدًا حُفَرَ الثَّرى   بعدَ البـــناء الأطول
إنى التفتُّ إلى الشـبا   ب الغـابر المتمثّل
ووقفتُ ما بين المحقَّـ   ـقِ فيـه والمتخيَّل
فرأيتُ أياماً عَجِلْـ   ـنَ وليتَهـا لم تعْجَل
كانت مُوَطَّأَةَ المِهـا   د لنـا عِذابَ المَنهَل
ذهبَت كَحُلمٍ بَيْدَ أَنَّ   الحُـــلم لم يتأول
إذ نحن فى ظلِّ الشبـا   ب الوارِف المتهدّل[3]

---

(١) الموئل : الملجأ الذى يلجأ إليـه فى الشدة (٢) يريد بالصفيح والجندل : حجارة القبر، يستعبر بالفقيد وهو المرفه فى الحياة كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة وهذا حذق فى سياق التفجع بأسلوب الاستعبار (٣) المتهدل : من قولهم تهدلت أغصان الشجر إذا تدلت

جاران فى دار النَّوَى ... مُتقابـــلان بمنزل
أبْكى وأبْكِيك ضاحكا ... نَ على خمائل مونبلى[1]
والدرسُ يجمعُنى بأفـ ... ضلِ طالبٍ ومُحصِّل
أيامَ تبْذُلُ فى سبيـ ... ـل العلم ما لم يُبذَل
غَضَّ الشبابِ فكيف كنـ ... ـتَ عن الشباب بمَعْزِل
وإذا دَعاكَ إلى الهوى ... دَاعى الصِّبا لم تَحفِل
ولو اطَّلعت على الحيا ... ةِ فعلتَ ما لم يُفعَل
لم يَدْرِ إلا الله ما ... خَبأتْ لكَ الدنيا ولى
تَجْرِى بنا لمُفَتِّحٍ ... بينَ الغُيوب ومُقفَل
حتى تبـــدَّلْنا وذا ... كَ العهدُ لم يَتَبَدَّل
هاتيك أيامُ الشبــا ... بِ المُحسنِ المُتفضِّـــل
مَن فاته ظلُّ الشبيـ ... ـبةِ عاش غــيرَ مُظلل

* * *

يا راحِلاً أخـــلى الدِّيا ... رَ وفضلُه لم يَرْحَـــل
تتحمَّـــلُ الآمالُ إثـ ... رَ شـــبابه المُتحمِّل[2]
مَشت الشبيبةُ جَحفلاً ... تبـــكى لِواء الجحفَل[3]

---

(١) يشير فى هــذا البيت والذى قبله إلى أن الفقيد كان هو وأمير الشعراء زميلين وصديقين كانا يطلبان العلم معا فى جامعة « مونبليه » وهى إحدى مدن فرنسا الشهيرة والأيك فى الأصل : عش الطائر والخمائل : النباتات الـكريمة كالحدائق والبساتين

(٢) الشباب المتحمل : أى الراحل (٣) الجحفل : الجيش

فانظر سريرَكَ هل جَرَى   فوقَ الدموعِ الهُطَّلِ
اللهَ فى وطنٍ ضَعِيـ   ـفِ الرُكن واهى المَعقِلِ
وأبٍ وراءَك حُـزنُه   لِنَوَاك حزنُ المُثكِلِ
يَهَبُ الضِّياعَ العامِرا   تِ لِمَنْ يرُدُّ له «على»
ليس الغنىُّ من البريَّـ   ـة غيرَ ذى البالِ الخَلِى
ونجيبةٍ بين العقا   ئلِ همُّها لا ينسلى[1]
دخلت منازلَها المَنو   نُ على الجرىءِ المُشبلِ[2]
كَسَرَت جَناحَ مُنعَّمٍ   ورَمت فؤادَ مُدلَّلِ
فكأنّ آلكَ من شَجٍ   ومُتيَّمٍ ومُرمَّلِ
آلُ «الحسين» (بِكَربلا)   فى كُربةٍ لا تنجلى[3]
خَلَعَ الشبابَ على القَنا   وبذَلْتَه للمُعْضِلِ[4]
والسيفُ أرحمُ قاتلاً   من عِلَّةٍ فى مَقتَلِ
فاذهب كما ذهبَ الحسيـ   ـنُ إلى الجوارِ الأفضَلِ
فكِلاكُما زينُ الشبا   بِ بجَنةِ اللهِ العلى

---

(١) لا ينسل أى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها (٢) المشبل هو الذى يلد الأشبال وهى أولاد السباع (٣) كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه (٤) يشبه الفقيد بالحسين بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه ، كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها وهذا لا ينافى الاعتقاد بالأجل المكتوب فقد تمثل الحسين نفسه عند ما رأى أن لا مفر من القتل بقول بعضهم :

فلو ترك القطا ليلا لنام

جورجي زيدان*

مَمالكُ الشرقِ أم أدراسُ أطلال ... وتلك دُولاتُه أم رَسْمُها البالى[1]
أصابَها الدهرُ إلا فى مآثِرِها ... والدهرُ بالناسِ من حالٍ إلى حال
وصار ما تَتغنَّى من محاسنِها ... حَديثَ ذى مِحْنةٍ عن صَفوِه الخالى
إذا جَفا الحقُّ أرضاً هانَ جانبُها ... كأنَّها غابةٌ مِن غيرِ رئبال[2]
وإن تحكَّم فيها الجهلُ أسلَمَها ... لفاتكٍ من عَوادى الذلِّ قتَّال
نوَابغَ الشرقِ هُزُّوهُ لعلَّ به ... من الليالى جُمودَ اليائس السَّالى
إن تَنفخُوا فيه من رُوحِ البيان ومن ... حَقيقةِ العلم يَنْهضْ بَعْدَ إعضال
لا تجعلوا الدينَ بابَ الشرِّ بينكمُ ... ولا محلَّ مُباهاةٍ وإدلال
ما الدينُ إلا تراث الناس قبلكمو ... كلُّ امرىءٍ لأبيه تابعٌ تال
ليس الغلوُّ أميناً فى مَشُورته ... مَناهجُ الرشدِ قد تَخفَى على الغالى
لا تَطلبوا حَقّكم بَغْياً ولا صَلَفاً ... ما أبعدَ الحقَّ عن باغٍ ومُختال

(*) الأستاذ الكبير المرحوم جورجي زيدان منشىء دار الهلال الغراء هو أحد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، وأحد أساطين رجال العلم والأدب ، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم ، وقد توفى سنة ١٩١٤ بعد أن ترك خلفه من التراث العلمى والأدبى مايكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين

(١) الأدراس جمع دارس وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلق ، والأطلال جمع طلل وهو ما شخص من آثار الديار ، وهذا المطلع الشعرى ملآن بالتفجع على ما صارت إليه ممالك الشرق فى هذه الأيام فهو يسأل مستنكراً : أهذه ممالك حقا ، أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت

(٢) رئبال : أسد

ولا يَضِيعَنَّ بالإهمال جانبُه ... فرُبَّ مصلحةٍ ضاعت بإهمال
كم هِمَّةٍ دفعت جيلاً ذُرى شرفٍ ... ونومةٍ هدَّمت بُنيانَ أجيال
والعلمُ فى فضله أو فى مفاخِره ... ركنُ الممالك صدرُ الدولة الحالى
إذا مشت أمةٌ فى العالمين به ... أبَى له اللهُ أن تَمشى بأغلال
يَقِلّ للعلم عندَ العارفين به ... ما تُقدِر النفسُ من حُبٍّ وإجلال
فَقِف على أهله واطلبْ جواهرَه ... كناقدٍ ثمِنٍ فى كفِّ لآل
فالعلم يفعل فى الأرواح فاسدُه ... ما ليس يفعل فيها طِبُّ دَجَّال
وَرُبَّ صاحبِ دَرْسٍ لو وَقَفْتَ به ... رأيتَ شِبهَ عليمٍ بين جهَّال
وتسبِق الشمسَ فى الأمصار حكمتُه ... إلى كهولٍ وشُبَّانٍ وأطفال
(زيدان) إنِّى مع الدنيا كعهدك لى ... رِضى الصديق مقيلُ الحاسد القالى
لى دَولةُ الشعر دُون العصرِ وائلةٌ ... مَفاخِرى حِكَمى فيها وأمثالى
إنْ تَمش لِلخيرِ أو للشرِّ بى قدمٌ ... أُشمِّر الذيلَ أو أعثُرْ بأذيال
وإنْ لقيتُ ابنَ أُنثى لى عليه يدٌ ... جَحَدتُ فى جنب فضل الله أفضالى
وأشكر الصنعَ فى سِرِّى وفى علَنى ... إن الصنائعَ تَزْكو عند أمثالى
وأترك الغيبَ لله العليم به ... إنَّ الغيوبَ صناديقٌ بأقفال
(كأرغن) الدير إكثارى وموقِعُه ... وكالأذانِ على الأسماع إقلالى[1]
رثَيْتُ قبلك أحباباً فُجِعتُ بِهم ... ورحتُ من فُرقةِ الأحباب يُرثَى لى
وما علِمتُ رفيقاً غير مؤتمَنٍ ... كالموتِ للمرء فى حلٍّ وترحالِ

(١) الأرغن : آلة موسيقية معروفة

أرحتَ بالكَ من دُنيا بِلاَ خُلقٍ ... أليس فى الموت أقْصى راحةِ البال؟
طالت عليكَ عوادى الدهرِ فى خُشُنٍ ... من التُّراب مع الأيام مُنهالِ
لم نأتِهِ بأخٍ فى العيش بعدَ أخٍ ... إلاَّ تركنا رُفاتاً عندَ غُربال
لا ينفعُ النفسَ فيه وهْىَ حائرةٌ ... إلا زكاةَ النُّهى والجاهِ والمال
ما تصنعُ اليومَ من خيرٍ تجِدْهُ غداً ... الخـــيرُ والشرُّ مِثقالٌ بمثقال
قد أكملَ اللهُ ذِيّاكَ (الهلالَ) لنـا ... فلا رأى الدهرَ نقصاً بعدَ إكمال
ولا يزَلْ فى نفوس القارئين له ... كرامةُ الصُّحف الأولى على التالى
فيه الروائعُ من علمٍ ومن أدبٍ ... ومن وقائعِ أيامٍ وأحـــوال
وفيـــه هِمَّةُ نفسٍ زانها خُلقٌ ... هما لباغى المعالى خيرُ مِنْوال
علَّمتَ كلَّ نؤومٍ فى الرجال به ... إن الحيـــاةَ بآمالٍ وأعمال
ما كان من دُولِ الإسلام مُنصرِماً ... صَـــوَّرْتَه كل أيامٍ بتمثال
نَرى به القومَ فى عزٍّ وفى ضَعةٍ ... والملكَ ما بين إدبارٍ وإقبال
وما عرضْتَ على الألبابِ فاكهةً ... كالعلمِ تُبرِزُه فى أحسنِ القال
وضعتَ خيرَ (روايات) الحياةِ فضَعْ ... روايةَ الموتِ فى أسلوبِها العالى
وصِفْ لنا كيف تجفُو الروحُ هَيكلَها ... وَيستَبِدُّ البِلى بالهيكلِ الخالى
وهل تَحِنُّ إليـــه بعدَ فُرقته ... كما يَحِن إلى أوطانه الجالى(١)
هِضابُ لُبنانَ مِن مَنعاتِكَ اضطربَتْ ... كأن لُبـــنان مَرمىٌّ بزلزال
كذلكَ الأرضُ تبكى فقْدَ عالمها ... كالأمِّ تبكى ذَهاب النافعِ الغـالى

(١) الجالى : النازح أو المهاجر

شهداء العلم والغربة (*)

أَلا فى سبيلِ اللهِ ذاكَ الدمُ الغالى وللمجدِ ما أَبْقى مِنَ المَثَلِ العالى
وبعضُ المَنايا هِمَّـةٌ من ورائِهـا حياةٌ لأقوامٍ وَدنيـا لأجيال
أَعَيْنَىَّ جـــودا بالدُّموع عَلَى دمٍ كَريمِ المُصَفَّى من شبابٍ وآمال
تناهتْ به الأحداثُ مِن غُرْبةِ النوى إلى حادثٍ مِنْ غُرْبَةِ الدهرِ قتَّال
جرى أُرْجُوانيًا كُمَيْتًا مُشَعْشَعًا بأبيضَ من غِسْلِ الملائكِ سَلسال (١)
ولاذَ بقضـــبانِ الحديدِ شهيدُه فعادت رفيفاً من عُيونٍ وأظْلال
سلامٌ عليـــه فى الحياةِ وهامداً وفى العُصُرِ الخالى وفى العالَمِ التالى
خليلىَّ قوما فى رُبَى الغرب واسقيا رياحينَ هامٍ فى التراب وأوصال (٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ذوتْ بين حلٍّ فى البلاد وترحال
نَعاها لنـا الناعى فمالَ على أبٍ هَلُوعٍ وأمٍ (بالـكنانة) مِثكال

(*) شهداء العــلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات أوربا فاصطدم القطار الذى يقلهم من أرض إيطاليا فقتل إحدى عشر طالباً وجىء بهم الى مصر فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيباً واشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد ومما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعلة بثورتها فى سنة ١٩٢٠

(١) الأرجوانى منسوب إلى الأرجوان وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرته . والـكميت حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع الممزوج بالماء والغسل بكسر الغين مايغسل به ، يصف دم هؤلاء الشهداء بأنه يجرى أحمر مشوباً بسواد ممزوجا بلون أبيض كأنه الماء السلسال الذى أصابه من غسل الملائكة

(٢) الأوصال : لجسم الانسان : الأعضاء

طوى الغربَ نحو الشرق يعدو سُليكه ... بمضطرب في البر والبحر مرقال (١)
يُسِرُّ إلى النفس الأسى غيرَ هامسٍ ... ويُلقي على القلبِ الشّجى غيرَ قوّال
سماء الحِمَى بالشاطِئَيْن وأرضُهُ ... مناحةُ أقمارٍ ومأتمُ أشبال

***

تُرى الريح تدرى ما الذى قد أعادَهَا ... بساطاً ولكن من حديدٍ وأثقال
يُقلُّ من الفتيانِ أشبال غابةٍ ... غُدَاةً على الأخطار رُكابَ أهوالِ
ثنتهُ الغوادى دون (أو دِينَ) فانثنى ... بآخرَ من دُهمِ المقادير ذَيال (٢)
قد اعتنَقَا تحت الدّخانِ كما التقى ... كميّانِ في داجٍ من النّقْعِ مُنجال (٣)
فسبحانَ من يرْمى الحديدَ وبأسَه ... على ناعمٍ غضٍّ مِن الزهرِ منْهال
ومَنْ يأخذ السارين بالفَجْرِ طالعاً ... طُلوعَ المنايا من ثَنِيات آجال (٤)
ومَنْ يجعَل الاسفَارَ للناس همةً ... إلى سَفَرٍ ينْوُونهُ غيْرَ قُفّال

***

فيا ناقليهم لو تركتم رُفَاتَهم ... أقام يتيماً في حِرَاسةِ لآل (٥)
وبين (غريبالدى) (وكافورَ) مَضجَعٌ ... لنُزّاعِ أمصارٍ على الحق نُزّال (٦)
فهل عَطفَتْكُمْ رَنّةُ الأَهْلِ والحِمَى ... وَضجّةُ أترابٍ عليهم وأمثال ؟

(١) سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ويضرب به المثل فى السرعة ، أراد تشبيه الناعي به . مرقال : المشية السريعة (٢) دهم جمع أدهم : الأسود . وذيال : طويل الذيل والذيل من كل شىء آخره ومن الفرس ذنبه (٣) كميان : مثنى كمى وهو الشجاع المتكمى أى المتغطى فى سلاحه . والنقع : الغبار (٤) الثنيات : قمم الجبال (٥) اليتيم المقصود هنا اللؤلؤ . اللآل : بائع اللآلئ وصائدها وصانعها (٦) وغريبالدى وكافور بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية فى إيطاليا .

لئن فاتَ مصراً أن يموتوا بأرضِها ... لقد ظَفِروا بالبَعْثِ من تُرْبِها الغالي
وما شَغَلَتْهُمْ عن هواها قِيامَةٌ ... إذا اعتلَّ رهنُ المحبِسَيْنِ بأشغالِ[1]
حَمَلْتُم من الغربِ الشموسَ لمشرقٍ ... تَلقى سناها مُظلماً كاسِفَ البال
عَوائرَ لم تبلُغْ صِباها ولم تنلْ ... مَداهَا ولم تُوصَلْ ضُحاهَا بآصال
يُطافُ بهم نَعشاً فَنَعشاً كأنَّهُمْ ... مَصاحِفُ لم يَعْلُ المُصلِّي على التالي[2]
توابيتُ في الأعناقِ تترى زكيةٌ ... كتابوتِ موسى في مَناكبِ إسْرالِ[3]
مُلفَّفَةٌ في حُلَّةٍ شَفَقيَّةٍ ... هِلاليَّةٍ من رايةِ النيلِ تِمْثال
أظَلَّ جلالُ العلمِ والموتِ وفدَها ... فلَمْ تُلْقَ إلاّ في خُشوعٍ وإجلال
تُفارِقُ داراً من غرورٍ وباطلٍ ... إلى منزلٍ من جيرةِ الحقِّ مِحْلال
فيا حَلْبةً رَفَّتْ على البحرِ حِليةً ... وهزَّتْ بها (حُلوانُ) أعطافَ مُختالِ[4]
جرَتْ بينَ إيماضِ العواصمِ بالضُّحى ... وبين ابتسامِ الثغرِ بالموكبِ الحالي
كثيرةَ باغي السبْقِ لم يُرَ مثلُها ... على عهدِ اسماعيلَ ذي الطَّوْلِ والنالِ[5]
لكِ اللهُ هذا الخَطْبُ في الوهْمِ لم يقعْ ... وتلك المنايا لم يكُنَّ على بال
بلى كلُّ ذي نفسٍ أخو الموتِ وابنُهُ ... وإن جرَّ أذيالَ الحداثةِ والخال
وليس عجيباً أن يموتَ أخو الصِبا ... ولكن عجيبٌ عَيْشُهُ عِيشَةَ السالي

---

(١) رهن المحبسين : أول ما أطلق هـذا التعبير كان يطلق على أبي العلاء المعرى . والمحبسان هما العمى ولزومه البيت (٢) المصلى هو الذى يجيء أول الخيل فى السبق والتالى هو الذى يجيء تالياً له
(٣) تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام وألقى فى البحر فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر واسرال : أى إسرائيل (٤) الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى أقلت رفات الشهداء فى عودتهم إلى مصر (٥) النال : العطاء وفى هذا البيت إشارة إلى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد اسماعيل باشا

وكلٌّ شبابٍ أو مَشيبٍ رهينةٌ ... بمعترَضٍ من حادثِ الدهرِ مُغتالِ
وما الشَّيبُ من خَيلِ العُلى فاركَبِ الصِبا ... إلى المجدِ تركَبْ متنَ أقدرِ جوّالِ
يَسُنُّ الشبابُ البأسَ والجودَ للفتى ... إذا الشيبُ سَنَّ البخلَ بالنفس والمال
ويا نَشأَ النيلِ الكريم عزاءَكُمْ ... ولا تذكروا الأقدارَ إلاّ بأجمال
فهذا هو الحقُّ الذى لا يردُّهُ ... تأفُّفُ قالٍ أو تَلَطُّفُ مُحْتَال[1]
عليكم لواءَ العلمِ فالفوزُ تحتَهُ ... وليس إذا الأعلام خانت بخذّال[2]
إذا مال صَفٌّ فاخلفوه بآخرٍ ... وَصُولِ مَساعٍ لا مَلُولٍ ولا آلِ[3]
ولا يصلُحُ الفتيانُ لا علمَ عندهم ... ولا يجمعون الأمرَ أنصافَ جهّال
وليس لهم زادٌ إذا ما تزوَّدُوا ... بياناً جُزافَ الكَيْلِ كالحشَفِ البالِ[4]
إذا جَزِعَ الفتيانُ فى وَقْعِ حادثٍ ... فَمَنْ لجليلِ الأمرِ أو مُعضِلِ الحالِ ؟
ولولا مَعانٍ فى الفِدَى لم تُعانِهِ ... نفوسُ الحواريين أو مُهَجُ الآلِ[5]
فَغَنُّوا بهاتيك المصارعِ بينكم ... ترنُّمَ أبطالٍ بأيام أبطال
ألستُم بنى القوم الذين تكبَّروا ... على الضرباتِ السَبْعِ فى الأبدِ الخالى[6]
رُدِدتُمْ إلى فرعونَ جدًّا وربما ... رجعتم لعمٍّ فى القبائلِ أو خالِ

---

(١) قال : مبغض (٢) عليكم لواء العلم أى الزموا أو التزموا (٣) آل من قولهم : هو لا يألوا جهداً (٤) الحشف البالى : التمر اليابس (٥) الحواريون : أصحاب عيسى : والآل : أصحاب محمد صلوات الله عليهما (٦) الضربات السبع : يشير إلى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين ويريد بالأبد الزمن القديم المديد

سعيد بك زغلول*

آل (زغلول) حسبكم من عزاء سُنةُ الموتِ فى النبي وآله
فى خِلالِ الخطوب ما راعَ إلاّ أنها دُونَ صبركم وجَماله
حَملَ الرزءَ عنكمُ فى (سعيدٍ) بلدٌ شيخكم أبو أحماله(١)
قد دهاهُ من فقده ما دَهاكم وبكَى ما بكيتمُ مِن خِلاله
فكما كانَ ذُخرَكم ومُناكم كانَ من ذُخره ومِنْ آماله
ليت من فكَّ أسْرَكُم لم يَكِله للمنايا تمدُّه فى اعتقاله
حَجَبت مِن ربيعِه مارَجوتم وطَوتْ رحلةَ العُلى مِنْ هِلاله
آنستْ صِحَّةً فرنّت عليها وتخطت شبَابه لم تُباله
إنما مِن كتابه يُتوفَّى المرءُ لا مِن شَبابه واكتهاله
لَسْتَ تدْرى الحِمامَ بالغابِ هل حا مَ على الليثِ أم على أشباله
يا (سعيد) اتئد ورِفقاً بشيخٍ وَالِدٍ مِنْ لواعجِ الثُّكل وَاله(٢)
ما كفاه نوائبُ الحقِّ حتى زِدتَ فى همِّه وفى أشغاله
فجأ الدهرُ فاقتضبتُ القوافى مِن فُجاءاتِه وخَطفِ ارتجاله

(*) تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة وبهر طلعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتي ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنيا له

(١) شيخكم أبو أحماله : هو الزعيم سعد باشا والبلد : مصر

(٢) الواله : الذى ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد

قم فشاهد لو استطعتَ قِياما   حَشْرَةَ الشعر والتياعَ خياله
كان لى منكَ فى المجامِع راوٍ   عَجَز (ابن الحسين) عن أمثاله[١]
فَطِنٌ للصِّحاح من لؤلؤ القو   ل وأدرَى بهنّ مِن لأَّله[٢]
لم يكُن فى غُلوِّه ضيقُ الصّد   ر ولا كان عاجزاً فى اعتداله
لا يُمادى ويُتقَى أن يُمادَى   ويُجَلِّى سبيلَ مَنْ لم يُواله
فامْضِ فى ذمّةِ الشباب نقياً   طاهراً ما ثَنَيتَ مِن اذياله
إن لِلمصرِ والحياةِ لَلؤماً   لستَ من أهلِهِ ولا مِن مَجاله
صانكَ اللهُ مِن فَسادِ زَمانٍ   دَنِسَ اللؤمُ مِن ثِيابِ رِجاله
سَيقولون ما رثاه على الفضـل ولكِنْ رثاه زُلفَى لخاله
أيُّهم مَن أتى برأس كليب   أو شفى القُطر من عَياء احتلاله
ليس بينى وبين خالِكَ إلاَّ   أننى ما حييتُ فى إجلاله
أتغنَّى لمصرَ أن يجرىَ الخيـر لها مِنْ يمينه وشماله
لَستُ أرجوه كالرجال لصَيْدٍ   من حرامٍ انتخابهم أو حلاله
كَيفَ أرجو (أبا سعيدٍ) لشيء   كان يقضى بكُفره وضلاله
هو أهلٌ لأَنْ يردَّ لقومى   أمرَهم فى حقيقة استقلاله
وأنا المرء لم أرَ الحقَّ إلاَّ   كنتُ مِن حزبه ومِنْ عُمّاله
رُبَّ حرٍّ صَنعتُ فيه ثَناءً   عجزَ الناحتونَ عن تمثاله[٣]

---

(١) ابن الحسين : الشاعر المتنبي ، وراوى الشاعر . وراويته : الذى يروى شعره ويحفظه
(٢) اللآل : صانع اللؤلؤ وبائعه (٣) يقول أننى كثيراً ما أصنع للأحرار قصائد ثناء فتقوم فى تصويرهم وتخليد اشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التى تعجز المثالين الناحتين أن يصنعوا مثالها

أمين بك الرافعي *

مَال أحبابُه خليلاً خليلاً   وتَوَلَّى اللداتُ إلا قليلا
نَصلوا أمسِ من غُبار الليالى   ومضَى وحـدَه يَحُثُّ الرحيلا (١)
سَكَنتْ منهمُ الركابُ كأنْ لم   تَضطربْ ساعةً ولم تمض ميلا
جُرِّدوا مِن مَنازلِ الأرض إلا   حَجَراً دَارساً ورَمْلاً مَهيلا (٢)
وتَعرَّوا إلى البِلى فكساهم   خُشنةَ اللَّحدِ والدُّجى المسَدولا
فى يَبابٍ مِن الثَّرى رَدَّه المَوْ   تُ تَقيًّا مِنَ الحقودِ غَسيلا (٣)
طَرَحوا عنـدَه الهمومَ وقالوا   إنَّ عِبءَ الحياةِ كان ثقيلا
إنمـا العالَمُ الذى منه جئنا   مَلْعَبٌ . لا يُنوِّع التمثيلا

(*) أمين بك الرافعى كان كاتباً سياسياً عظيما ، وكان فى الصحفين السياسيين يعد مثالا عالياً لطهارة الذمة ونبل الغاية ونزاهة الضمير وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية لا يصبر عليها إلا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة . وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهداً فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سـنة ١٩٢٨.

(١) نصلوا من غبار الليالى تعبير كنائى عن الموت . إذ غبار الليالى عبارة عن احداثها وليس فى إمكان الحى التنصل من هـذه الاحداث إلا بالموت : يقول أن أحبابه وخلانه سبقوه وتنصلوا من الدنيا وحوادثها وهاهو ماض على أثرهم مسرعاً ليلحق بهم وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا

(٢) يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى أيديهم من ممتلكاتهم إلا الحجر الموضوع تحت رؤوسهم والتراب المهيل فوق قبورهم فكأنه يقول وليت شعرى بعد لم يتقاتل الناس ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع وهم إذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات إلا حجر واحد وحفنات من تراب تدارى جسومهم وتوارى رممهم

(٣) اليباب : الخراب يقول إن هـذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الأكدار وغسله من الأحقاد فهو من أجل ذلك صار أروح للأرواح من المواضع الآهلة بالعمران

بطلُ الموتِ فى الرواية ركنٌ بنيتْ منه هيكلاً وفصولا
كلما راح أو غدا الموتُ فيها سقطَ السِّترُ بالدُّموع بليلا

* * *

ذِكرياتٌ من الأحبّة تُمحَى بيدٍ للزمان تَمحو الطُّلولا
كلُّ رَسمٍ من منزلٍ أوحبيبٍ سَوف يمشى البِلى عليه مُحيلا
رُبَّ ثُكلٍ أساكَ مِن فرحة الشكـ ـلِ ورُزءٍ نسّاك رُزءاً جليلا

* * *

يابنات القريض قُمن مناحا تٍ وأرسِلْن لوعةً وعويلا
مِنْ بناتِ الهديل أنتُنّ أحنى نغمةً فى الأسى وأشجى هَديلا(١)
إن دمعاً تَذرفن إثر رِفاقى سوف يبكى به الخليلُ الخليلا
ربّ يومٍ يُناحُ فيه علينا لو نُحِسُّ النُّواح والترتيلا
بمَراثٍ كُتِبْنَ بالدّمع عنا أسطُراً من جوًى وأخرى غليلا
يجِدُ القائلون فيها المعانى يوم لا يأذنُ البِلى أن تقولا

* * *

أخذ الموتُ من يد الحقّ سَيفاً خالدىَّ الغِرار عَضبًا صقيلا(٢)

---

(١) الهديل : الحمام : وصوت الحمام ، والهديل أيضاً فرخ قالوا أنه كان على عهد نوح فصاده جارح من جوارح الطير فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه (٢) العضب : السيف والغرار : حد السيف وقوله خالدى نسبة إلى خالد بن الوليد . والصقيل : المصقول

مِن سُيوفِ الجهاد فولاذُه الحـ ... قُ فهل كان قَينُه جبريلا ؟[١]
لمسته يدُ السماء فكان البر ... قَ والرعدَ خَفقةً وصليلا
وإباءُ الرجال أَمضَى من السيـ ... فِ على كَفِّ فارسٍ مسلولا
زُبَّ قلبٍ أصارَه الخُلقُ ضرغا ... مًا وصدرٍ أصارَه الحقُّ غيلا[٢]
قيلَ حَلِّله قلتُ عِرقٌ من التِّبـ ... ـرِ أراحَ البيانَ والتَّحليلا
لم يَزِدْ فى الحديدِ والنارِ إلاَّ ... لمحةً حرَّةً وصبراً جميلا
لم يخَف فى حياته شَبحَ الفقـ ... ـرِ إذا طاف بالرجال مَهولا
جاعَ حيناً فكان كالليث آبى ... ما تُلاقيه يومَ جوعٍ هزيلا
تأكلُ الهرَّةُ الصغارَ إذا جا ... عت ولا تأكلُ اللَّباةُ الشبولا
قيل غالٍ فى الرأى قلتُ هَبوهُ ... قد يكونُ الغلوُّ رأياً أصيلا
وقَديماً بنَى الغُلوُّ نفوساً ... وقَديماً بنَى الغلوُّ عُقولا
وكم استنهضَ الشّيوخَ وأذكى ... فى الشّباب الطماحَ والتأميلا
ومِنَ الرأيِ ما يكونُ نِفاقًا ... أو يكونُ اتّجاههُ التَّضليلا
ومن النّقدِ والجدالِ كلامٌ ... يُشبهُ البغىَ والخنا والفُضولا
وأرى الصدقَ دَيدنًا لسليل الـ ... ـرافعيِّين والعفافَ سَبيلا
عاش لم يَغْتَبِ الرّجالَ ولم يجـ ... ـملْ شؤونَ النفوسِ قالاً وقيلا

---

(١) القين : هو الحداد الذى يصنع السيوف

(٢) الضرغام : من أسماء الأسد والغيل : موضع الأسد

قد فقــدنا به بقيَّةَ رهطٍ　　أيقظوا النيلَ وادياً ونزيلا
حرَّكوهُ وكان بالأمس كالكهـ　　ـف حُزوناً وكالرقيم سهولا[١]
يا أمينَ الحقوقِ أدَّيت حتى　　لم تخُنْ مِصرَ فى الحقوق فتيلا
ولو اسْطعت زِدْتَ مِصرَ من الحـ　　ـقِّ على نيلها المباركِ نيلا
لستُ أنساكَ قابعاً بين دُرجيـ　　ـك مُكِباً عليهما مشغولا
قدتواريتَ فى الخُشوع فخالو　　كَ ضئيلاً وما خُلقتَ ضئيلا
سائل(الشعبَ)عنك و(العلم)الخفَّـــاقَ أو سائل اللواء الظليلا[٢]
كم إمامٍ قربتَ فى الصف منه　　ومُغنٍّ قعدْتَ منه رسيلا
تُنشدُ الناسَ فى القضية لحناً　　كالحواريِّ رتَّل الأنجيلا
ماضياً فى الجهاد لم تتأخر　　تَزِنُ الصفَّ أو تُقيم الرَّعيلا[٣]
ما تُبالى مَضيتَ وحدَكَ تحمى　　حوْزةَ الحقِّ أم مَضيتَ قبيلا

***

إن يَفُتْ فيك مِنبرَ الأمس شِعرى　　إنَّ لى المنبرَ الذى لن يزولا
جلَّ عنْ مُنشدٍ سِوَى الدهـ　　ـر يُلقيهِ على الغابرين جيلاً فجيلا

---

(١) الكهف : كالبيت المنقور فى الجبل : والرقيم : يقال هو الكتاب وإذن فيكون تشبيه سهول النيل بالرقيم معناه أنها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهيأة لأن يخط فوقها حروف الحياة الأولى ولو سئل أحد الحكماء ما هى الحروف الأولى للحياة لأجاب على الفور هى اليقظة ، ولعمرى أن ربة الحكمة إذن هى التى ألهمت أمير الشعراء قوله فى البيت السابق : أيقظوا النيل واديا ونزيلا ، فنى تصوره الذهنى لمعنى اليقظة سبق خياله إلى تشبيه سهول وادى النيل بالرقيم

(٢) الشعب والعلم واللواء : أسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلا فيها عن مبادئه

(٣) الرعيل : طائفة من الخيل ، والمراد أنه كان فى جيش المجاهدين فى القضية المصرية يقوم الصفوف إذا مالت ويرد الطوائف إذا نفرت

الشيخ سلامه حجازى (*)

يا ثَرى النِّيلِ فى نواحيكَ طَيرٌ كان دُنيا وكان فرحةَ جيلِ
لم يزلْ ينزلُ الخمائلَ حتى حلّ فى رَبْوةٍ على سلسبيل
أقعَدَ الرّوضَ فى الحياة مَليًّا وأقامَ الرُّبَى بسحرِ الهديل(١)
يالواءِ الغِناءِ فى دَولة الفـــنِّ إليك اتّجهتُ بالأكاليل
عبقريًا كأنه زَنبقُ الخلـــد على فرعة السرىّ الأسيل(٢)
أينَ مِن مَسمعِ الزمان أغانـــىُّ عليهنَّ رَوعةُ التمثيـــل
أين صَوتٌ كأنه رَنّةُ البُلبـــلِ فى الناعم الوريف الظَّليل
فيه من نَغْمةِ المزامير مَعنًى وعليه قَداسَـــةُ الترتيل
كُلَّما رَنّ فى المَسارح «إن كنـــتُ» انثنَى بالهُتاف والتّهليل(٣)
كَعِتاب الحبيب فى أذُنِ الـــصَّبِّ وهَمْس النَّديم حول الشَّمول(٤)
كيف اخوانُنا هناك على الـــكوثر بين الصَّبا وبين القَبول(٥)

(*) بلغ الشيخ سلامه حجازى أعلى قمم المجد فى فنى الغناء والتمثيل فى عصره ، وقد رؤى أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافاً عملياً فتألف جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه الى ضريح يتناسب وهذا التقدير ، ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تمجيداً لذكرى الفقيد وتم لهم ذلك ، وأقيمت الحفلة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء

(١) الهديل : الصوت الحسن الذى يشبه صوت الحمام (٢) السرى : الجدول

(٣) إن كنت : يشير الى أن الفقيد قد ذاعت من أغانيه قصيدة مطلعها :

إن كنت فى الجيش أدعى صاحب العلم فاننى فى هواكم صاحب الألم

(٤) الشمول : الخمر (٥) الصبا : نسيم مهبها اذا استوى الليل والنهار

كيف فى الخُلد ضَرْبُ أحمدَ بالعـــودِ ونَفخُ الأمينِ فى الأرغول (١)
فرَحٌ كله النعيمُ وعُرْسٌ كيفَ (عثمانُ) فيه كيفَ (الحمولى) (٢)
فهنيئاً لكم ونعمةُ بالٍ استَرحتُم من ظِلِ كلٍّ ثقيل
إنما منزلٌ رفاتُك فيه لبقايا من كلِّ فنٍّ جميـــل
ذَبُلت فى ثراهُ رِيحانةُ الفـــنِّ وَجفَّت ريحانةُ التمثيل

***

قام يجزِى (سلامةً) فى ثَراهُ وطنٌ بالجزاء غيرُ بَخيل
قد يُوفِّى البناء والغرسَ أجراً ويُكافِى على الصنيع الجليل
مُحسِنٌ بالبنين فى حاضر العيـــش وفى سالف الزمان الطَّويل
ويعدّ الضريح من مَرْمَرِ الخُلـــد الكريم المهذَّب المَصقُول (٣)
يدفنُ الصالحين فى وَرق المُصـــحف أو فى صحائف الانجيل

***

مِصرُ فى غَيبةِ المُشايعِ والحا سد والحاقِدِ اللَّئيم الذَّليل
قامت اليومَ حولَ ذِكراكَ تجزى وطنياً من الطِّراز القليل
من رجالٍ بنَوا لمصرَ حديثاً وأذاعُوا محاسِنًا للنيـــل
هم سُقاةُ القلوب بالودِّ والصفـــو وهم تارةً سُقاةُ العقول
ليس منهم إلا فتى عبقرىٌّ ليس فى المجد بالدّعىِّ الدخيل

(١) أحمد : اسم أحد المعاصرين اشتهر بضرب العود وأمين معاصر آخر اشتهر بالأرغول
(٢) عثمان هو محمد عثمان وكان من المغنين الكبار . والحمولى هو عبده الحمولى
(٣) الضريح هو البناء الذى اتفقت لجنة إحياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريما له

أدهم باشا (*)

مُصاب بَنِى الدنيا عظيمٌ (بأدهم)   وأعظمُ منه حيرةُ الشعرِ فى فمى
أأنطقُ والأنباء تترى بطيِّبٍ   وأسكت والأنباء تترى بمؤلم
أتيتُ بغالٍ فى الثنـاء مُنضَّدٍ   فمَن لى بغالٍ فى الرثاء مُنظم ؟
عَسى الشعرُ أن يَجزِى جَريئاً لفقدِهِ   بكى التركُ واليونانُ بالدمع والدم
وكم مِن شُجاعٍ فى العِداةِ مُكرَّمٍ   وكم من جَبانٍ فى اللداةِ مُذمَّمِ
وهل نافعٌ جرىُ القَوافى لغايةٍ   وقد فتكت دُهمُ المنايا بأدهم (١)
رمت فأصابت خيرَ رامٍ بها العدى   وما السهمُ الا للقضاء المحتم
فتًى كان سيفَ الهند فى صُورةِ امرىءٍ   وكان فتى الفتيان فى مَسك ضيغم (٢)
لحاهُ على الأقدام حُسَّادُ مجدِهِ   وما خُلِق الاقبالُ إلا لمُقدم
مُزعزِعُ أجبالٍ وغاشى معاقلٍ   وقائدُ جرّارٍ ومُزجى عرمرم (٣)
سَلوا عنه (ميلونا) وما فى شِعابه   وفى ذروتيْهِ من نُسورٍ وأعظُم
لَيالىَ باتَ الدينُ فى غير قَبضةٍ   وزُلزِلَ فى إيمانِه كلُّ مُسلم
وقال أناسٌ آخِرُ العهدِ بالملا   وهمَّت ظنونٌ بالتراثِ المقسَّم (٤)

(*) أدهم باشا هو القائد التركى الذى اشتهر فى الحروب العثمانية اليونانية

(١) دهم المنايا : أى سود المنايا (٢) مسك بفتح الميم : الجلد . والضيغم : الأسد

(٣) العرمرم : الجيش الكبير (٤) الملا : الجماعة ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة فى ذلك الوقت

فأطلع للاسلام والملك كوكباً ... من النصر فى داج من الشك مظلم
ورحنا نباهى الشرق والغرب عزة ... وكنا حديث الشامت المترجم
مفاخر للتاريخ تحصى لأدم ... ومن يقرض التاريخ يربح ويغنم

***

ألا أيها الساعون هل لبس الصفا ... سواداً وقد غص الورود بزمزم ؟
وهل أقبل الركبان ينعون (خالداً) ... الى كل رامٍ بالجمار ومحرم ؟
وهل مسجد تتلون فيه رثاءه ... فكم قد تلوتم مدحه بالترنم
وكان اذا خاض الأسنة والظبى ... تنحت الى أن يعبر الفارس الكمى
ومن يعط فى هذى الدنية فسحة ... يعمر وان لاقى الحروب ويسلم
(على) أبو الزهراء داهية الوغى ... دهاه بباب الدار سيف ابن ملجم
(فروق) اضحكى وابكى فخاراً ولوعة ... وقومى إلى نعش الفقيد المعظم
كأم شهيد قد أتاها نعيه ... فخفت له بين البكا والتبسم
وخطى له بين السلاطين مضجعاً ... وقبراً بجنب الفاتح المتقدم
بخلت عليه فى الحياة بموكب ... فتوبى إليه فى الممات بمأتم
ويا داءه ما أنصفت اذ رعت صدره ... وقد كان فيه الملك إن ريع يحتمى
ويا أيها الماشون حول سريره ... احطتم بتاريخ فصيح التكلم
ويا مصر من شيعت أعلى هامة ... وأثبت قلباً من رواسى المقطم
ويا قوم هذا من يقام لمثله ... مثال لباغى قدوة متعلم
ويا بحر تدرى قدر من أنت حامل ... ويا أرض صونيه ويا رب ارحم

عثمان باشا الغازي*

هالةٌ للهلالِ فيهـــا اعتصامُ　　كيف حامَتْ حِيالَها الأيامُ

دخلتْها عليكَ (عثمانُ) فى السـ　　ـلمِ وقد كنتَ فى الوغى لا تُرامُ

وإذا الداءُ كان داءَ المنـــايا　　صَـــعَّبته لأهلِها الأحلامُ

فبرغمِ (المُشيرِ) أن يتولَّى　　والخطوبُ المروِّعاتُ جِسامُ

ويدُ المُلكِ تَسْتَجيرُ يَديه　　والسَّرايا تَدعوه والأعلامُ

وَبنُوه يَرجونه وهُمُ الجُنـــد وهمُ قادةُ الجنودِ العِظامُ

مَثَّلتهم صِـــفاتُه للبرايا　　رُبَّ فردٍ سَادتْ به أقوامُ

بطلَ الشرقِ قد بَكتْك المعالى　　ورثاكَ الولىُّ والأخصـــامُ

خذَلَ الملكَ زَندُه يومَ أوْديْـ　　ـتَ وأهوَى مِن رَاحتيه الحُسامُ

ودَهَى الدينَ والخلافةَ أمرٌ　　فادحٌ رائعٌ جليـــلٌ جُسامُ

عَلمُ العصرِ والممالكِ ولَّى　　وقليـــلٌ أمثالهُ الأعلامُ

سَل (بلفنا) أَكنتَ تُدرِكُ فيها　　ولو انَّ المُحاصِرين الأنامُ

خيَّمَ الروسُ حول حِصنِك لكن　　أينَ مِن هامةِ السِّماكِ الخِيامُ

وأحاطت بعزمِك الجندُ لكن　　عزمُك الشُّهبُ والجنود الظلامُ

كلما جرَّد (المحاصِرُ) سيفاً　　قطعَ السيفَ رأيُكَ الصَّمصامُ

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر فى الحروب العثمانية الروسية

وإذا كانت العقولُ كِباراً سَلِمت فى المَضايق الأجسام
وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكم وينالُ الطَّوَى ويُعطَى الأُوامُ
فخَرجتم إلى العِدى لم تُبالوا مالأسدٍ على سُغُوبٍ مُقام
تَخرِقون الجُيوش جيشاً فجيشاً مِثلَما يَخرِقُ الجِواءَ الغَمام
والمنايا محيطةٌ وحُصونُ الرُّ وسِ تَحمى الطريقَ والألغام
ولنارِ العدوِّ فيكم قُعود ولسيفِهِ العدوِّ فيكم قِيام
جُرِحَ الليثُ يومَ ذاكَ فخَانَ الـجيشَ قلبٌ وزُلزِلَت أقدام
مادفعتَ الحسامَ عجزاً ولكنْ عَجَزَت ضَيْغَمَ الحروبِ الكِلام
فأعادوه خيرَ شىءٍ أعادوا وكذا يَعرِفُ الكِرامَ الكِرامُ
فتقلَّدته وكنتَ خليقاً وجديرٌ بالمَخلَب الضِّرغامُ
سَلْ (كَريداً) وأين منّا كريدٌ سلَبَتْنا كليكما الأيام
مالها عودةٌ ولا لك رَدٌّ نِمتَ عنها ومَنْ تركتَ نِيام
إنما الملكُ صارِمٌ ويَراعٌ فاذا فارقاه سادَ الطَّغام
وبنظامُ الامورِ عقلٌ وعدلٌ فاذا وليّا تولّى النظام
وعجيبٌ خُلِقتَ للحرب ليثاً وسجَاياكَ كلّهُن سَلام
فهى فى رأيكَ القويم حلالٌ وهى فى قلبكَ الرحيم حَرام
لكَ سيفٌ إلى اليتامَى بفيضٍ وحنانٍ يحبّه الأيتام
مُستبِدٌّ على قوىٍّ حليمٌ عن ضعيفٍ وهكذا الإسلام

بطرس باشا غالى *

قبرَ الوزيرِ تحيّةً وسَلاما | الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاما
ومحاسنُ الأخلاقِ فيكَ تغيَّبت | عاماً وسوفَ تغيّب الأعواما
قد كنتَ صومعةً فصرتَ كنيسةً | فى ظلّها صلّى المُطيفُ وصاما
القومُ حولَكَ يا ابن (غالى) خُشّعٌ | يقضونَ حقّاً واجباً وذِماما
يَسعَون بالأبصار نحو سَريره | كالأرضِ تَنشد فى السماء غماما
يَبكون موئلَهم وكهفَ رَجائِهم | والأريحىّ المفضِلَ المِقداما
مُتسابقين إلى ثَراكَ كأنهم | ناديكَ فى عزِّ الحياة زِحاما
وَدُّوا غَداة ثُقِلتَ بينَ عُيونهم | لو كانَ ذلك محشَراً وقِياما
ماذا لَقيتَ من الرِّياساتِ العُلا | وأخذتَ مِن نعم الحياةِ جساما
اليوم يُغنى عنكَ لوعةُ بائسٍ | وعزاء أرملةٍ وحُزنُ يتامى
والرأى للتاريخ فيكَ فنى غدٍ | يزنُ الرجالَ وينطقُ الأحكاما
يقضى عليهم فى البريةِ أو لهم | ويُديمُ حمداً أو يُؤيِّدُ ذاما
أنت الحكيم فلا ترعْك منيّةٌ | أعلِمتَ حياً غير رفدِكَ داما
إنَّ الذى خلقَ الحياةَ وضِدّها | جعلَ البقاء لوجهه إكراما

(*) بطرس باشا غالى كان رئيس الوزارة المصرية فى أيام حكم الخديوى عباس الثانى وقد اغتاله ابراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ لأسباب سياسية

قد عِشتَ تُحدِثُ للنصارى أُلفةً　　وتُجِدُّ بين المسلمين وِئاما
واليومَ فوق مَشيد قبرك مَيِّتاً　　وجَدَ الموفَّقُ للمقال مَقاما
الحقّ أبلجُ كالصَّباح لِناظرٍ　　لو أنَّ قوماً حكَّموا الأحلاما
أعهِدتَنا والقِبطَ إلا أمةً　　للأرض واحدةً تروم مراما
نُعلى تعاليمَ المسيح لأجلهم　　ويُوقِّرون لأجلنا الإسلاما
الدينُ للدّيان جلّ جلالهُ　　لو شاء ربُّك وحَّد الأقواما
ياقوم بانَ الرُّشدُ فاقصوا ماجرَى　　وخُذوا الحقيقةَ وانبذُوا الأوهاما
هذى ربوعُكمُ وتلك ربوعُنا　　مُتقابلين نُعالجُ الأياما
هذى قُبوركم وتلك قبورُنا　　مُتجاورينَ جَماجماً وعِظاما
فبحُرمةِ الموتَى وواجبِ حقِّهم　　عِيشُوا كَما يقضى الجوارُ كِراما

يبكى والدته (*)

إلى اللهِ أشكو مِنْ عوادى النوى سَهمًا   أصابَ سُـويْداء الفؤادِ وما أَصْمَى (١)
من الهاتكات القلبَ أوّلَ وهلةٍ   وما داخلتْ لحماً ولا لامستْ عظما
توارَدَ والنّاعى فأوجستُ رنةً   كلاماً على سمعى وفى كبدى كَلْما (٢)
فما هتَفا حتى نَزَا الجنبُ وانزَوَى   فيا ويحَ جنبى كم يسيلُ وكم يَدمَى (٣)
طوى الشرقَ نحو الغربِ والماءَ للثَّرى   إلىَّ ولم يَركب بِساطاً ولا يَمَّا (٤)
أبانَ ولم يَنْبُسْ ، وأدّى ولم يَفُهْ   وأدمى وما داوَى ، وأوهى وما رَمَّا
إذا طُويتْ بالشُّهْبِ والدّهمِ شقّةٌ   طَوَى الشهبَ أو جابَ الغُدافيةَ الدّهما (٥)
ولم أرَ كالأحداث سهماً إذا جرَتْ   ولا كالليالى رامياً يُبعد المَرْمَى !
ولم أرَ حُكماً كالمقادير نافذاً   ولا كلقاء الموت مِن بَينها حَتْما

(*) نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة على أثر إعلان الهدنة وهو فى منفاه فى الأندلس سنة ١٩١٨ ، إذ كان يعلل النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل المرموق حتى وافاه البرق بنعيها ؛ فأثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تأثيراً بالغاً ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل إنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد . فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله .

(١) عواد النوى : عوائقه ، وقوله أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى : أى أصاب صميم القلب ولم يقتل

(٢) الكلم بفتح الكاف : الجرح

(٣) نزا الجنب : يريد نزا القلب ، ويقال نزا الطائر إذا هم بالطيران

(٤) بساطاً ولا يما : أى لم يركب طيارة تسير فى الهواء كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم أى البحر

(٥) الشهب : البيض ، الدهم : السود ، جاب : قطع ، الغدافية : السوداء ، ويقصد بالشهب وبالدهم الخيل البيضاء والسوداء أو النهار والليل كأنه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله إليه

إلى حيثُ آباء الفتى يَذهبُ الفتى ... سبيلٌ يَدين العالَمون بها قدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظل رُوحه ... ولا الموتُ إلا الروحُ فارقت الجسْما
ولا خُلدَ حتى تملأَ الدهرَ حكمةً ... على نُزلاءِ الدهرِ بعدَك أو عِلْمَا

* * *

زَجرتُ تصاريفَ الزمانِ فما يَقعْ ... لىَ اليوم منها كان بالأمس لى وَهْما[1]
وقدّرتُ (للنعمان) يوماً وضدّه ... فما اغترّتْ البُؤسى ولا غرّتْ النُّعمى[2]
شرِبتُ الأسى مصروفةً لو تعرضتْ ... بأنفاسِها بالفمِّ لم يستَفِق غمّا
فأترِعْ وناوِلْ يا زمانُ ! فإنما ... نديمُكَ (سقراطُ) الذى ابتدع السُّما ![3]
قتلتُكَ حتى ما أبالى أدرتَ لى ... بكأسك نجماً أم أدرتَ بها رَجْمَا !
لكِ اللهُ من مطعونةٍ بقَنا النَّوى ... شهيدةِ حربٍ لم تُقارفْ لها إثمَا
مُدلَّهةٍ أزكى من النار زفرةً ... وأنزه من دَمع الحَيا عَبرةً سَحمَا[4]
سقاها بَشيرى وهى تبكى صبابةً ... فلم يقو مغناها على صَوْبه رسْمَا[5]
أسَتْ جُرْحَها الأنباءُ غيرَ رفيقةٍ ... وكم نازِعٍ سهماً فكان هو السهما !
تغارُ على الحُمىّ الفضائلُ والعلا ... لِما قبّلتْ منها وما ضمّت الحمّى !
أكانت تمنّاها وتهوَى لقاءها ... إذا هى سمّاها بذى الأرض مَنْ سَمّى ؟ !

(١) الزجر : العيافة والتكهن ، يقول أنه كان متكهناً بما صنعه الزمن معه وكان متوقعاً له .
(٢) كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد عليه أحد إلا قتله ، ويوم نعمى لا يسأل فيه إلا أعطى ولهذين اليومين حوادث سارت من أجلها أمثال كثيرة للعرب ، ويرجع فى هذا إلى الكتب الأدبية المطولة من شاء (٣) سقراط : امام الفلاسفة المتقشفين حكم عليه بالاعدام فضرب السم بيده ، ولم يرض أن يفر مع أصحابه الذين عزموا عليه بالفرار (٤) العبرة السحما : أى السوداء ، ولا يكون هذا إلا من أثر الحزن العميق . (٥) الرسم : ضرب من السير

ألَمّت عليهـا واتّقت ثمراتها   فلما وُقوا الأسواءَ لم ترها ذمّا
فيا حسرتا ألاّ تراهم أهِـلّةً   إذا أقصر البدرُ التمامُ مَضوا قُدما
رياحين فى أنف الولىّ ومالها   عدوٌّ تراهم فى معاطسه رغْما
وألاّ يطوفوا خُشّعاً حول نعشِها   ولا يُشبعوا الركن استلاماً ولا لَثْما
حلفتُ بما أسلفتِ فى المهد من يدٍ   وأوليتِ جثمانى من المِنّة العظمَى
وقبرٍ مَنوطٍ بالجلال مقـلّدٍ   تليدَ الخلال الكُثر والطارفَ الجمّا(١)
وبالغاديات السـاقيات نزيله   من الصلوات الخمس والآيِ والأسما
لما كان لى فى الحرب رأىٌ ولا هوًى   ولا رُمت هذا الثكلَ للناس واليُتما
ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرّقّ لى رِضاً   فكيف رضائى أن يَرى البشرُ الظلما ؟ !
ولم آلُ شُبانَ البريةِ رقّةً   كأنّ ثمارَ القلب من ولدى ثَمّا
وكنتُ على نهْجٍ من الرأى واضح   أرى الناس صِنفين : الذئابَ أو البُهْما(٢)
وما الحكم إلا فى أولى البأس دولةً   ولا العدل إلا حائطٌ يَعصم الحُكما

* * *

نزلتُ رُبَى الدنيا وجنّاتِ عَدنِها   فما وجدتْ نفسى لأنهارها طعما !
أريج أريجِ المسك فى عَرَصاتها   وان لم أرح «مروان» فيها ولا «لخما»(٣)
إذا ضحكتْ زهواً إلىّ سماؤها   بكيتُ الندى فى الأرض والبأسَ والحزْما
أطيفُ برسمٍ أو ألمّ بدِمنةٍ   أخال القصورَ الزُّهرَ والغُرَفَ الشّمَّا

(١) التليد : القديم ، والطارف : الجديد   (٢) البهم بضم الباء : الغنم
(٣) مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التى تولت السيادة فى بلاد الأندلس زمناً .

فما بَرِحتْ من خاطرى «مصرُ» ساعةً ... ولا أنت فى ذى الدار زايلتِ لى وهْما
إذا جَنّنى الليـــلُ اهتزرتُ إليكما ... بجنحاً إلى سعدى وجُنحاً إلى سلمى (١)
فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى ... وأبصرَ فيه ذو البصيرة والأعمى
وقرّتْ سيوفُ الهند وارتكز القَنا ... وأقلعت البلوى وأقشعت الغُمّى
وحنّت نواقيسٌ ورنّت مآذنٌ ... ورفّت وجوهُ الأرض تستقبل السّلما
أبى الدهرُ من دون الهناء ولم يزلْ ... وَلوعاً ببُنْيان الرجاء إذا تمّا !
إذا جالَ فى الأعيادِ حلّ نظامَها ... أو العُرسِ أبْلى فى معالمه هَدْما
لئن فاتَ ما أمّلتِه من مواكبٍ ... فدونكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضخما !
رثيت به ذاتَ التُّقى ونظمتُه ... لمنصره الأزكى وجوهرِه الأسمى
نمتكِ مناجيبُ العُــــلى ونميتِها ... فلم تُلحَقى بنتاً ولم تُســـبقى أُمّا
وكنتِ إذا هذى السماء تخايلت ... تواضعتِ لكنْ بعدَ ما قُتّها نجما !
أتيتِ به لم ينظمْ الشعرَ مثـــله ... وجئتِ لأخلاق الكرام به نظما
ولو نهضتْ عنـــــه السماء وتمخّضتْ ... به الأرضُ كان المُزنَ والتبرَ والكَرْمَا ! (٢)

---

(١) الجنح بضم الجيم : طائفة من الليل (٢) يريد أنه يشبه المزن فى الكرم والتبر فى العرق والنفاسة ، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره

الملك حسين*

لك فى الأرضِ والسماء مآتم قامَ فيها أبو الملائك هاشم(١)

قعد الآلُ لِلعزاءِ وقامتْ باكياتٍ على الحُسين الفَواطم(٢)

***

يا أبا العِلْيَة البهاليل سَل آ باءكَ الزُّهرَ هل من الموت عاصم(٣)

المنايا نَوازلُ الشَعَرِ الأَبـــيضِ جارَاتُ كلِّ أسودَ فاحم(٤)

ما اللَّيالى إلاّ قِصارٌ ولا الدُّ نيا سِوَى ما رأيتَ أحلام نائم

انحسارُ الشِّفاة عن سنٍّ جذلا نَ وَراءَ الكَرى إلى سنِّ نادِم

سَنَةٌ أفرحَت وأخرى أساءتْ لم يدُم فى النعيم والـكرب حالم

***

المَناحاتُ فى ممالك أبْنا ئكَ بدْريَّةُ العزاءِ قوائم(٥)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن على زعيم الحركة العربية فى طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الأتراك ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف

(١) أبو الملائك أى أبو الملوك : وهاشم هو أحد جدود النبي صلوات الله عليه

(٢) الآل : آل البيت النبوى الشريف . والفواطم يطلقن على طائفة من السيدات الصحابيات كل منهن تسمى فاطمة ، فنهن فاطمة الزهراء ومنهن فاطمة بنت حمزة الخ . والغرض الشعرى من هذه المجانسة فى السياق معروف

(٣) علية بكسر العين جمع على وهو الشريف العالى القدر من الناس . والبهاليل جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير وآباءك الزهر أى آباءك المشابهون للنجوم الزهر

(٤) يقول إن المنايا تنزل بالشيب كما ينزلن بالشباب فليس هناك من عاصم منهن

(٥) يشبه الحزن على الفقيد بالحزن على صرعى بدر أولى غزوات الرسول

تلك (بغداد) فى الدموع وعمّا … نُ وراءِ السّوادِ والشام وَاجم(١)
والحجازُ النبيلُ ربعٌ مُصلٍّ … مِن رُبوعِ الهُدى وآخرُ صائم(٢)
واشتركْنا فمِصرُ عَبْرى ولُبنا … نُ سَكوبُ العيونِ باكى الحمائم

***

قُم تأمل بنيك فى الشرق زَين الـ … ـتَّاج ملء السرير نور العواصم(٣)
الزكيونَ عُنصرا مثل ابرا … هيمَ والطيِّبون مثل القاسم(٤)
وعليهم إذا العيون رَمَتهم … عوذٌ مِن محمدٍ وتمائم(٥)
قد بَنى اللهُ بيتهم فهو باقٍ … ما بنى اللهُ ماله مِن هادِم
دبّروا الملكَ فى العِراق وفى الشّا … م فسنُّوا الهدى وردُّوا المظالم
أمِنَ الناسُ فى ذُرَاهم وطابت … عَربُ الأرضِ تحتهم والأعاجم
وبنَوا دولةً وراءَ فلسطيـ … ـن كعابَ الهدى فتاةَ العزائم
ساسَها بالأناةِ أروعُ كا (لدا … خل) ماضى الجنان يقظان حازم(٦)
قُبرصٌ كانت الحديد وقد تَنـ … ـزِل قضبانَه الليوثُ الضراغم(٧)

---

(١) عمان المقصود هنا هو الصقع المعروف بالشام . والشام : دمشق . والسواد : القرى
(٢) الحجاز النبيل يقصد الحجاز الذى بقى محافظاً على عهده للفقيد والربع : الدار
(٣) العواصم جمع عاصمة وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات (٤) ابراهيم والقاسم هما من أولاد النبى صلوات الله عليه (٥) عوذ : جمع عوذه وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة وجمع التميمة تمائم (٥) الأناة الرفق ويريد بالأروع الملك فيصل يشبهه بالداخل وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس (٧) قبرص جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك يشبهها أمير الشعراء فى حالة إقامة الفقيد فيها بالقفص الحديد الذى يحبس فيه الأسد وصنع الأقفاص الحديدية لحبس الأسود مألوف لمنظمى الحدائق فى عصرنا هذا

كَره الدهرُ أن يقومَ لواءٌ تُحشر البِيد تحته والعمائم

***

قُم تحدَّثْ (أبا عليٍّ) إلينا كيف غامرتَ في جِوار الأراقم (١)
لم تُبال النُيوبَ في الهام خشناً وتعلقت بالحواشي النَّواعم
هاتِ حدِّث عن العوان وصِفها لا تُرَع في التراب ما أنا لائم (٢)
كلُّنا واردُ السَّرابِ وكلٌّ حَمَلٌ في وليمة الذِّئب طاعِم (٣)
قد رجَوْنا من المغانم حظاً ووَردْنا الوغَى فكُنا الغنائم

***

قد بَعثتْ القَضيةَ اليوم مَيْتاً رُبَّ عَظمٍ أتَى الأمورَ العظائم
أنت كالحق ألَّفَ الناسَ يقظا ن وزادَ ائتلافَهم وهْو نائم
إنما الهِمَّةُ البعيدةُ غرسٌ مُتأنَّى الجنى بطيءُ الكمائم (٤)
رُبما غابَ عن يدٍ غرَستْه وحَوتْه على المَدى يَدُ قادِم
حبّذا مَوْقِفٌ غُلبتَ عليه لم يَقِفْهُ للعُرب قبلك خادِم
ذائداً عن ممالكٍ وشُعوبٍ نُقلت في الأكُفِّ نقل الدَّراهم
كلُّ ماءٍ لهم وكلُّ سماءٍ مَوْطِيءُ الخيلِ أو مَطارُ القشاعم (٥)
لِمَ لَمْ نَدعهم إلى الهمةِ الشَّما ءِ والعلم والطِّماح المزاحم

---

(١) يشير إلى انضمام الفقيد في صف الحلفاء ضد تركيا في أثناء الحرب الكبرى وقد كان لهذا الانضمام أثره في نهاية تلك الحرب (٢) العوان: الحرب (٣) كلنا في وليمة الذئب طاعم: يريد كانا مطعوم مأكول لهذا الذئب (٤) الجنى: الثمار. والكمائم: مجل ما تنبت تلك الثمار (٥) القشاعم: النسور جمع قشعم، ويريد بالنسور الطيارين الذين يشبهون النسور

وَرُكُوبِ اللُّجاجِ وهي طَواغٍ ... والسمواتِ وهي هُوجُ الشكائم (١)
وإلى القُطبِ والجليدُ عليه ... والصحارى وما بها من سمائم (٢)
اغسلوه بطيِّبٍ مِن وَضُوءِ الـ ... رُسلِ كالوَرْدِ في رُباه البَواسم (٣)
وخُـذُوا من وسادهم في المُصلَّى ... رقعةً كَفِّنوا بها فرعَ هاشم
واستَميروا لِنعشه مِن ذُرى المِنـ ... ـبرِ عُوداً ومن شريفِ القوائم
واحملوه على البُراق إن اسطـ ... ـتم فقد جلَّ عن ظُهور الرواسم (٤)
وأدِيروا إلى العَتيق (حُسيناً) ... يبتهلْ رُكنُه وتدعو الدعائم (٥)
واذكروا للأمير مكَّةَ والقصرَ ... وعهـدَ الصَّفا وطِيبَ المواسم
ظَمِئَ الحرُّ للدِّيار وإن كا ... ن على مَنْهلٍ مِن الخُلد دائم

* * *

نقِّلوا النَّعشَ ساعةً في رُبى الفَتـ ... ـحِ وطُوفُوا بربه في المَعالم
وَقِفُوا ساعةً به في ثرى الأقـ ... ـمارِ مِن قَومِه وترب الغمائم
وادْفِنُوه في القُدس بينَ سُليما ... نَ وداودَ والملوكِ الأكارم
إنما القُدسُ مَنزِلُ الوحى مَغنى ... كلِّ حِبرٍ من الأوائل عالم
كُنِّفت بالغُيوبِ فالأرضُ أسْرا ... رٌ مَدَى الدَّهرِ والسماءُ طلاسم
وتحلَّت مِن البُراقِ بطُغْرا ... ءٍ ومِن حافرِ البُراقِ بخاتم (٦)

---

(١) يريد بركوب السموات : ركوب الطيارات . ويريد بهوج الشكائم اللجم : أى اللجم الصعبة القياد (٢) السمائم جمع سموم : الريح الحارة المحرقة (٣) الوضوء بفتح الواو : ما يتوضأ به (٤) الرواسم : الأبل أو الخيل أو الركائب عامة (٥) العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيد (٦) الطغراء : ما يكتب في أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبي صلوات الله عليه ليلة أسرى به

يرثى أباه (*)

سألونى لِمَ لَمْ أرثِ أبى ؟ ... ورثاء الأب دَيْنٌ أىّ دَيْن
أيها اللُّوّامُ ما أظلمَكُمْ ... أينَ لى العقلُ الذى يُسعِد أين ؟(١)
ياأبى ما أنتَ فى ذَا أوّلٌ ... كلُّ نفس لِلْمنايا فَرْضُ عَيْن
هلكتْ قبلَك ناسٌ وقُرَى ... ونَعَى النّاعون خيرَ الثّقلين(٢)
غايةُ المرء وإنْ طال المدَى ... آخِذٌ يأخذُه بالأصْغرَيْن(٣)
وطبيبٌ يتولَّى عاجزاً ... نافضاً من طِبِّه خُفَّى حُنَيْن(٤)
إنّ للموتِ يداً إنْ ضَربتْ ... أوشكَت تَصْدعُ شَمل الفرقدَيْن
تَنفُذ الجوَّ على عِقْبانه ... وتُلاقى اللَّيثَ بين الجبلين
وتحُطُّ الفرخَ مِن أيكتِه ... وتَنالُ البَبَّغا فى المِئتَين
أنا مَن ماتَ ومَنْ ماتَ أنا ... لقِىَ الموتَ كِلانا مرّتين
نحنُ كنا مُهجةً فى بدنٍ ... ثم صِرْنا مُهجةً فى بدنَين(٥)
ثم عُدْنا مهجةً فى بدنٍ ... ثم نُلقى جُثةً فى كَفَنَيْن

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده الطيب الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله

(١) يسعد : يعين (٢) الثقلان : الانس والجن وخير الثقلين هو سيدنا محمد صلوات الله عليه (٣) الاصغران : القلب واللسان (٤) خفى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة (٥) المهجة : الدم وقد يعبر بها عن الروح يقال خرجت مهجته أى روحه

ثم نحيي فى (عليٍّ) بعدَنا ... وبه نُبعَثُ أُولى البعثَتَين (١)
انظُرْ الكونَ وقل فى وصفِه ... كلُّ هذا أصلُه من أبوَيْن
فاذا ما قيل مَا أصلُهما ... قل هما الرحمةُ فى مَرْحمتَين
فقدَا الجنَّةَ فى إيجادنا ... ونعِمنا مِنهما فى جنَّتين
وهما العذرُ اذا ما أُغضِبا ... وهما الصفحُ لنا مُسْترضَيين
ليت شعرى أىُّ حيٍّ لم يَدِن ... بالذى دانا به مُبتدِئين
وقفَ اللهُ بنا حيثُ هُما ... وأماتَ الرُّسلَ الاَّ الوالديْن (٢)
ما أبى الاَّ أخٌ فارقتُه ... ودُّه الصدقُ وودُّ الناس مِيْن (٣)
طَالما قُمنا الى مائدةٍ ... كانت الكِسرةُ فيها كِسرتَين
وشَربنا من إناء واحدٍ ... وغَسلْنا بعدَ ذَا فيه اليَدين
وتمشيَّنا يدِى فى يدِه ... مَن رآنا قال عنا أخوَين
نظر الدهرُ إلينا نظرةً ... سوّت الشرّ فكانت نظرَتين
يا أبى والموتُ كأسٌ مرّةٌ ... لا تذوقُ النَّفسُ منها مرّتين
كيف كانت ساعةٌ قضّيتَها ... كلُّ شىء قبلَها أو بعدُ هيِّن ؟

---

(١) على المقصود فى هذا البيت هو أحد نجلى أمير الشعراء (٢) يريد فى هذا البيت أن يقرر أن الأبوة ضرب من ضروب الرسالة التى لم تنقطع كما انقطعت رسالة الأنبياء وإنما هى ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الأبناء على غرار الآباء ، مصداقاً للأثر القائل ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (٣) المين : الكذب وفى هذا البيت على سهولة أدائه أعظم ألوان المدائح التى توجه لوالد ، فان الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الأب هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الأخلاق ، البالغ أعلى درجات الحكمة

أشَرِبت الموتَ فيها جُرعةً ... أم شَرِبتَ الموتَ فيها جُرعتين ؟
لا تخفْ بعدك حُزنًا أو بكا ... جَمَدَتْ مِني ومنك اليومَ عين
أنت قد علَّمتَني تَرْكَ الأسى ... كلُّ زَينٍ منتهاه الموتُ شَين
ليت شعري هل لنا أن نلتقي ... مَرّةً أم ذا افتِراقُ المَلَوَين[1]
واذا متُّ وأودِعت الثّرى ... أنلقَى حفرةً أم حفرتين ؟

---

(١) الملوان : الليل والنهار الواحد منهما ملا

مصطفى كامل باشا [*]

المَشرِقانِ عليكَ ينتحِبانِ   قاصيهما فى مأتمٍ والدّانى
يا خادِمَ الإسلامِ أجرُ مُجاهدٍ   فى اللهِ مِن خُلدٍ ومِنْ رضوان
لما نُعيتَ إلى الحجازِ مَشَى الأسى   فى الزائرينَ ورُوِّعَ الحرمان[1]
السِّكةُ الكُبرى حِيالَ رُباهُما   مَنكوسةُ الأعلامِ والقضبان[2]
لم تألُها عندَ الشدائدِ خِدمةً   فى اللهِ والمختارِ والسلطان
ياليت مكّةَ والمدينةَ فازَتا   فى المحفِلَيْن بصوتِكَ الرنّان
ليرى الأواخرُ يومَ ذاكَ ويَسمعوا   ما غاب من قُسٍّ ومِن سَحبان[3]
جارَ الترابِ وأنت أكرمُ راحلٍ   ماذا لقيتَ من الوُجودِ الفانى ؟
أبكى صِباكَ ولا أُعاتِبُ مَن جَنَى   هذا عليه كرامةٌ للجانى
يتساءلون أبِـ(السلال) قَضيتَ أم   بالقلبِ أم هل مُت بالسرَّطان ؟
اللهُ يَشهد أنَّ موتَك بالحِجا   والجِدِّ والإقدامِ والعِرفان
إنْ كان للأخلاقِ رُكنٌ قائمٌ   فى هذه الدنيا فأنت البانى
باللهِ فتِّش عن فؤادِكَ فى الثَّرى   هل فيه آمالٌ وفيه أمانى ؟

(*) هو الزعيم الخالد مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطنى وقد توفى سنة ١٩٠٨

(١) الحرمان : حرم مكة والمدينة

(٢) السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين فى سبيل انشائها

(٣) قس وسحبان هما خطيبان عربيان يضرب بهما المثل فى الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة

وجدانُكَ الحيُّ المقيمُ على المدى ... ولَربَّ حيٍّ ميّتِ الوِجدانِ
الناسُ جارٍ فى الحياةِ لغايةٍ ... ومُضلَّلٍ يجرى بغيرِ عِنانِ
والخلدُ فى الدنيا وليس بهيّنٍ ... عُليا المراتبِ لم تُتَحْ لجبانِ
فلو أنّ رسلَ الله قد جَبُنوا لَما ... ماتوا على دينٍ من الأديانِ
المجدُ والشَّرفُ الرفيعُ صحيفةٌ ... جعِلت لها الأخلاقُ كالعنوانِ
وأحَبُّ مِن طُولِ الحياةِ بذلّةٍ ... قِصَرٌ يُريكَ تَقاصُرَ الأقرانِ
دَقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له ... إنّ الحياةَ دقائقٌ وثوانى
فارفَع لنفسكَ بعدَموتكَ ذِكرَها ... فالذِّكرُ للانسانِ عُمرٌ ثانى
لِلمرءِ فى الدنيا وجَمِّ شؤونها ... ما شاء من رِبحٍ ومِن خُسرانِ
فهى القَضاء لراغبٍ مُتطلِّعٍ ... وهى المضِيقُ لمؤثِر السُّلوانِ
الناسُ غادٍ فى الشقاء ورائحٌ ... يَشقى له الرُّحماءُ وهوَ الهانى
ومنعَّمٌ لم يلقَ إلا لذةً ... فى طيِّها شَجَنٌ من الأشجانِ
فاصْبرْ على نُعمى الحياةِ وبؤسها ... نُعمى الحياةِ وبؤسها سيّانِ[1]
يا طاهرَ الغَدواتِ والرَّوحاتِ والـ ... ـخطراتِ والأسرارِ والاعلانِ
هل قامَ قبلَكَ فى المدائنِ فاتحٌ ... غازٍ بغيرِ مُهنّدٍ وسِنانِ ؟
يدعُو إلى العلمِ الشريفِ وعندهُ ... أنّ العلومَ دَعائمُ العُمرانِ
لَفّوكَ فى عَلَمِ البلادِ منكّساً ... جَزَعَ الهلالُ على فَتى الفتيانِ

---

(١) سيان : مثلان والواحد سى

ما احمرَّ مِن خجلٍ ولا مِن رِيبةٍ لكنما يَبكى بدمعٍ قانى[1]
يُزجُونَ نعشَكَ فى السناءِ وفى السَّنا فكأنما فى نَعشِكَ القَمران
وكأنه نَعشُ الحُسينِ «بكربلا» يختالُ بين بُكى وبين حَنان
فى ذمّةِ الله الكريم وبرِّه ما ضمَّ مِن عرفٍ ومِن احسان
ومَشى جَلالُ الموتِ وهو حَقيقةٌ وجَلالك المصدوقُ يلتقيان
شَقّت لمنظرِكَ الجيوبَ عقائلٌ وبكَتكَ بالدّمعِ الهتون غَوانى[2]
والخَلقُ حولَك خاشعون كَعهدِهم إذ ينصِتون لخُطبة وبيان
يتساءلون بأىِّ قلبٍ تُرتقَى بَعدُ المنابرُ أم بأىِّ لسان
لو أنَّ أوطانًا تُصوَّرُ هيكلا دَفنوكَ بين جَوانحِ الأوطان
أو كان يُحمَلُ فى الجوارحِ مَيّتٌ حملوكَ فى الأسماعِ والأجفان
أو صِيغَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا كَفَنٌ لَبستَ أحاسنَ الأكفان
أو كان للذكرِ الحكيم بقيةٌ لم تأتِ بعدُ رُثيتَ فى القرآن
ولقد نظرتُك والرَّدى بك مُحدقٌ والداءُ مِلءُ مَعالمِ الجُثمان
يَبغِى ويَطغَى والطبيبُ مُضلَّلٌ قَنِطٌ وساعاتُ الرحيلِ دَوانى
ونواظِرُ العُوّادِ عنك أمالها دمعٌ تُعالجُ كَتمَه وتُعانى
تُملى وتكتُب والمشاغِلُ جَمّةٌ ويداكَ فى القِرطاسِ ترتجِفان
فهَشِشتَ لى حتى كأنك عائدى وأنا الذى هدّ السّقام كيانى

(١) قانى : أحمر (٢) العقائل جمع عقيلة وهى من كل شىء كريمته ، والهتون : من هتن الدمع إذا قطر ، والغوانى جمع غانية وهى الفتاة تغتنى بجمالها عن الحلى

ورأيتُ كيفَ تموتُ آسادُ الشَّرى وعَرفتُ كيفَ مصارعُ الشُّجعانِ[1]
ووجدتُ فى ذاكَ الخيالِ عزائماً ما للمَنُونِ بدكِّهِنَّ يدانِ
وجَعلتَ تسألُنى الرِّثاءَ فهاكَه من أدمُعى وسَرائرى وجَنانى
لولا مُغالبةُ الشُّجونِ لخاطِرى لنظمتُ فيكَ يَتيمةَ الأزمانِ
وأنا الذى أرثى الشُّموسَ إذا هَوَتْ فتَعودُ سيرَتَها إلى الدَّورانِ
قد كنتَ تهتِفُ فى الورى بقصائدى وتُجِلُّ فوقَ النيِّراتِ مكانى
ماذا دهانى يومَ بِنْتَ فعقَّنى فيكَ القَريضُ وخانَنى إمكانى
هَوِّنْ عليكَ فلا شماتَ بميِّتٍ إنَّ المنيَّةَ غايةُ الإنسانِ
مَن للحَسودِ بميتةٍ بُلِّغتَها عزَّتْ على (كسرى) أنو شرْوانِ
عُوفيتَ من حَرَبِ الحياةِ وحرْبِها فهل استرحتَ أمِ استراحَ الشانى[2]
يا صَبَّ مِصرَ ويا شَهيدَ غَرامِها هذا ثَرَى مِصرٍ فنَمْ بأمانِ
إخلَعْ على مصرَ شبابَكَ عالياً والبَسْ شَبابَ الحورِ والولدانِ
فلعلَّ مِصراً من شبابكَ تَرتدى مجداً تتيهُ به على البُلدانِ
فلو أنَّ بالهَرَمَيْنِ مِن عزَماتِه بعضَ المضاءِ تحرَّكَ الهرَمانِ
علَّمتَ شُبَّانَ المدائنِ والقُرى كيفَ الحياةُ تكونُ فى الشُّبانِ
مِصرُ الأسيفةُ ريفُها وصعيدُها قَبرٌ أبرُّ على عِظامِكَ حانى
أقسمتُ أنكَ فى التُّرابِ طهارةٌ مَلَكٌ يَهابُ سؤالَه الملكانِ

(١) آساد : جمع أسد ، والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد
(٢) حربه كطلبه بمعنى سلبه ماله ، والشانى : المبغض

حسن بك أنور (*)

تُسائِلُنى (كَرْمَتى) بالنَّها ... ر وبالليلِ: أين سميرى (حسن)؟ (١)
وأين النّديمُ الشّهىُّ الحدي ... ثُ وأين الطّروبُ اللطيفُ الأُذُن
نَجِىُّ البلابِلِ فى عُشّها ... ومُلهِمُها صبيةً فى الفَنَن
فقلتُ لها ماتَ، واستشعَرَت ... ليالى السُّرورِ عليه الحَزَن
لئِن نالَ مِن سِمَنٍ جسمُه ... فما عرفتَ رُوحه ما السِّمن
وما هو مَيْتٌ ولكنّه ... بشاشةُ دهرٍ محاها الزّمن
ومعنًى خلا القولُ مِن لفظِه ... وحُلمٌ تطاير عنه الوسَن (٢)

***

ولا يذكرُ المعهدُ الشّرقىُّ (لأنور) إلاّ جليلَ المِنَن
وما كانَ مِن صَبره فى الصّعا ... بِ وما كانَ من عونه فى المِحَن
وخدمةَ فنٍّ يُداوِى القلو ... بَ ويشفِى النفوسَ ويُذكى الفِطَن
وما كان فيه الدعىَّ الدخيـ ... لَ. ولكن مِن الفنِّ كان الرّكَن (٣)

***

(*) المرحوم حسن بك أنور أحد الأعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرق، وكان من الأصدقاء المقربين لأمير الشعراء، وقد توفى سنة ١٩٣٠

(١) كان يطلق على دار أمير الشعراء كرمة ابن هانئ (٢) الوسن: النعاس

(٣) الركن: الركن وقد حركت الكاف من أجل الشعر والركن من كل شىء جانبه الأشد والأقوى

ولو أنصفَ الصَّحبُ يومَ الودا ع دُفِنت (كاسحق) لما دُفِن
فَغُيِّبتَ فى المِسكِ لا فى الترا ب وأُدرِجتَ فى الوَرد لا فى الكفن
وخُطَّ لك القبرُ فى رَوضةٍ يَميلُ على الغُصنِ فيها الغُصن
وينتحِبُ الطَّيرُ فى ظِلها ويَخلَعُ فيها النسيمُ الرَّسن[1]
وقامت على العود أوتارُه تُعيد الحنين وتُبدى الشَّجن
وطارحكَ (الناىُ) شَجْو النوا ح، وكنت تئن إذا الناىُ أَنْ
ومالَ فناحَ عليكَ (الكما نُ) وأظهرَ من بثّه ما كمَن

***

سلامٌ عليكَ سلامُ الرُّبا إذا نفحَت والغَوادِى الهتَن
سلام على جيرة بالإما م ورَهطٍ بصحرائه مُرتَهن
سلام على حُفَرٍ كالقبا ب، وأخرى، كمندرسات الدِّمن[2]
وجمعٍ تآلفَ بعدَ الخلا ف وصافَى وصُوفىَ بعد الضِّغن
سلامٌ على كلِّ طودٍ هنا ك له حَجَرٌ فى بِناء الوطن

---

(١) الرسن : الحبل ويقال رسن الفرس : شده بالرسن

(٢) الدمن جمع دمنه وهى آثار الناس

أم المحسنين *

أخـذَتْ نَعشكِ مصرُ باليمين   وحَوَته مِن يد الرّوح الأمين (١)
لَقِيت طُهرَ بقاياكِ كما   لَقيت (يثربُ) أمّ المؤمنين
فى سوادَيْها وفى أحشائها   ووراءِ النحر مِن حَبلِ الوتين (٢)

***

خرجت من قصركِ الباكى إلى   رَملة الثّغر إلى القصر الحزين
أخذَتْ بين اليتامى مذهباً   ومَشت فى عَبَراتِ البائسين
ورَمَت طَرْفاً إلى البحر تَرى   مِن وَرَاءِ الدّمع أسراب السفين
فبَدَت جارية فى حُضنها   فَنَنُ الوردِ وفَرعُ الياسمين (٣)
وعلى جُؤجؤها نورُ الهدى   وعلى سُكّانها نورُ اليقين (٤)
حَملت من شاطِئَىْ (مرمرةٍ)   جوهر السُّؤدَدِ والـكنز الثمين (٥)

(*) أم المحسنين هى والدة سمو الخديوى عباس باشا الثانى ، وقد توفيت بالاستانة سنة ١٩٣١

(١) أخـذت نعشك مصر باليمين تعبير مقصود به القول أن مصر كلها أظهرت اهتماماً وعناية كبيرين فى استقبال نعش الفقيدة ، أما الشطر الثانى من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة ، ومن أجل ذلك قام جبريل أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يداً بيد (٢) النحر : موضع القلادة من الصدر والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه (٣) جارية : سفينة ، وفى القرآن الـكريم وله الجوار المنشئات فى البحر كالأعلام (٤) جؤجؤ السفينة : مقدمها وسكانها مؤخرها

(٥) مرمرة : بحر فى بلاد الترك . يقول إن هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك البلاد نعش ميتة وإنما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الـكنز الثمين .

وطوَتْ بحراً ببحرٍ وجرَتْ في الأُجاج المِلح بالعَذب المَعين
واستقلّت دُرّةً كانت سَنًا وسناءً في جِباه الماكثين(١)
ذَهبَت عن عِليةٍ صِيدٍ وعَن خُرّدٍ مِن خفِرات البيت عِين
التّقِياتُ بناتُ المتقِي والأميناتُ بُنيّاتُ الأمين
لَبِسَت في مَطالع العزّ الضُحى ونَضتْه كالشموس الآفلين(٢)
يدُها بانيــــةٌ غارِسةٌ كيد الشمس وإن غاب الجبين

* * *

رَبّةَ العَرشَيْنِ في دولتها قد رَكبتِ اليومَ عرشَ العالمين
أصبحت قبلكِ فيه (مريمٌ) وتوَارَى بِنِسَاء المُرسلين
أنه رَحْلُ الأوَالى شَدّه لهمو آدمُ رسل الآخرين

* * *

إخلَعِى الألقابَ إلاّ لَقَباً عبقريًا هو (أمُّ المحسنين)
ودَعِى المـالَ يَسِرْ سُنّتَه يَمْضِ عَن قومٍ لأيدى آخرين
واقْذِفِى بالهمّ في وَجه الثّرى واطْرحى مِن حالقٍ عِبءَ السنين(٣)
واسخَرى مِن شانئٍ أو شامت ليس بالمخطىء يومُ الشامِتين
وتعزّىْ عن عوادى دولةٍ لم تدُم في وَلدٍ أو في قرين

---

(١) السنا بالقصر : الضوء ، وبالمد : الرفعة (٢) نضته : خلعته ، والآفلين جمع آفل والأفول للشموس : المغيب (٣) حالق الجبل : أعلاه ، كأنه يقول إن الموت ارتفاع عظيم

وازهدِى فى موكبٍ لو شِئْتِه ... لتغطّى وَجهُها بالدارعين[١]
ما الذى ردّ على أصحابه ... ليس يُغنِى موكبُ الدَّفنِ الدفين
رُبّ محمولٍ على المدفع ما ... منع الحوضَ ولا حاط العرين[٢]
باطلٌ مِن أممٍ مخدوعةٍ ... يتحدّون به الحقّ المبين

* * *

فى (محروقٍ) وربُاها مأتمٌ ... ذرفتْ آباقها فيه العيون
قامَ فيها من عقيلات الحِمَى ... مَلأٌ بُدّلن مِن عِزٍّ بهُون
اسرٌ مالت بها الدنيا فلم ... تلق إلا عندكِ الركنَ الركين
قد خلا (بيبك) من حاتمه ... ومن الكاسين فيه الطّاعمين[٣]
طارت النعمةُ عن أيكته ... وانقضى ما كان مِن خفضٍ ولين
اليتامى نُوّحٌ ناحيةً ... والمساكينُ يمدّون الرّنين
دولةٌ مالت وسلطانٌ خلا ... دُوولتْ نُعماه بين الأقربين
مُنهض الشرق (علىٌّ) لم يزل ... مِن بنيه سيّدٌ فى (عابدين)
يُصلح الله به ما أفسدتْ ... فتراتُ الدهر مِن دُنيا ودين

* * *

---

(١) الدارعين جمع دارع أى لابس الدرع (٢) العرين للأسد كالبيت للانسان، يقول: كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ولم يمنعوا العدوان عن الحمى فما دام هــذا المظهر قد يناله فى الدنيا غير مستحقيه فهو إذن ليس بذى خطر وليس بالذى يعتز به حقيقة (٣) بيبك: قصر الفقيدة فى الآستانة كان مضيفها كل عام وحاتم اسم رجل يضرب به المثل فى التكرم البالغ يقال كرم حاتمى، وقد شهرت الفقيدة بالتكرم، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين.

أمّ عباسٍ وما لى لم أقُل　　أمّ مصرٍ من بناتٍ وبنين
كُنتِ كالورد لهم واستقبلوا　　دولة الرّيحان حيناً بعد حين
فيُقال الأمّ فى موكبها　　ويُقالُ الحرَمُ العالى المَصون[١]

* * *

(العقيقُ) عَفافٌ وهُدًى　　(كالبقيع) الطُّهرضَمّ الطاهرين[٢]
أُدخلِي الجنّةَ من رَوضتِه　　إنّ فيها غُرفةً للصّابرين

---

(١) يشير هذا البيت إلى أن الفقيدة العظيمة كانت أم خديوى وزوجة خديوى
(٢) العقيق : علم على الموضع الذى أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها

الدكتور أحمد فؤاد

أوحت لطرْفكَ فاستهلَّ شؤونا ... دارٌ مررتَ بها على (قيسونا)(١)

غاضت بشاشتُهـا وفضّت شملها ... دنيا تغرّ السّـادرَ المفتونا

نزلت عوادى الدهر فى ساحاتها ... وأقلّ رفرفَها الخطوبَ العُونا(٢)

فتكادُ مِن أسفٍ على آسى الحِمَى ... مِن كلّ ناحيةٍ تثور شُجونا

تلك (العيادة) لم تكن عبثاً ولا ... شركاً لصَـيد مآربٍ وكمينا

دارُ (ابن سينا) نُزّهت حُجُراتها ... عَن أن تضمّ ضلالةً ومُجونا(٣)

خبَتْ المطالعُ مِنْ أغرَّ مؤمّلٍ ... كالفجر ثغراً والصّباحِ جبينا(٤)

ومن الوُفودِ كأنهم من حوله ... مَرْضَى (بعيسَى الروح) يستشفونا

مَثَلٌ تصوّر من حياةٍ حُرّةٍ ... للنشْء ينطِق فى السكوت مُبينا

لم تخْصَ من عهدِ الصِّبا حركاتُهُ ... وتخالُهنّ من الخشوع سُكونا

* * *

(*) كان الدكتور أحمد فؤاد مثالا نادرا من أمثلة حسن الخلق ، ونابغة من نوابغ الطب المعدودين وقد توفى سنة ١٩٣١ .

(١) قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فى شارع محمد على بالقاهرة كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشؤون : الدموع ، يقول إن المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعاً حزنا لما أصاب تلك الدار من الخمول بعد النباهة ، والسكوت بعد الحركة ، والوجوم بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعا .

(٢) أقل : حمل ، والرفرف شيء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت ، والعون : جمع عوان والخطوب العون : أى التى نزلت مرة قبل هذه ، يريد أن هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الأخير الذى حل بها

(٣) يشبه الفقيد فى الطب والأمانة للعلم بابن سينا

(٤) خبت المطالع : انطفأ نورها

جَمحت جِراحُ المُوزِين وأعضَلَتْ أدواؤهم وتَغيَّب الشــافونا[١]
ماتَ الجَوادُ بطِبِّــه وبأجره ولربّما بَذَلَ الدواء ثمينــا
وتَجُس راحتُــه العليلَ وتارةً تَكسُو الفقيرَ وتُطعم المِسكينا
أدّى أمانةَ علمِــــه ولطالما حَمَلَ الصـــداقةَ وافياً وأمينا
وقضى حقوقَ الأهلِ يُحسِنُ تارةً بأبيه أو يَصِــل القَرابةَ حينا
خُلقٌ ودِينٌ فى زمانٍ لا تَرى خُلقًا عليه ولا تُصادف دينا

* * *

أمُداوِىَ الأرواح قبل جُسومها قم داوِ فيك فؤادىَ المحزونا
رَوِّحْ بلفظك كلَّ رُوحٍ مُعذَّبٍ حَيرانَ طار بِلُبِّــه الناعونا
قد كال للقَدر العِتابَ وربّما ظَنَّ المُدَلَّهُ بالقضـــاء ظنونا[٢]
داوَيْتَ كلَّ مُحطَّمٍ فَشَــفيْتَه ونَسِيتَ داءً فى الضلوع دفينا
كبدٌ على دَمِها اتّـكأتَ ولَحمِها فحَمَلْتَ همَّ المسلمين سِنينا
ظلت وراءَ الحربِ تشقَى بالنَّوى وتَذُوب للوطن الـكريم حنينا

* * *

ناصرتَ فى فجرِ القضيّةِ (مصطفى) فنَصرتَ خُلقًا فى الشّباب مَتينا[٣]
أقدَمْتَ فى العشرين تحت لوائِه ورَوائعُ الإقْدامِ فى العشرينا

---

(١) أدواء جمع داء (٢) المدله : الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه
(٣) يشير أنه كان من الأنصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا

لم تَبْغِ دُنيا طالما أغضَى لها   حُمُس الدُّهاةِ وطأطأوا العِرنينا[١]

***

رُحماكَ (يوسفُ) قِفْ ركابَكَ ساعةً   واعْطِفْ على يَعقوبَ فيهِ حزينا[٢]

لم يَدْرِ خلفَ النَّعشِ مِن حرِّ الجَوى   أيشُقُّ جَيْبًا أم يَشُقُّ وتينا[٣]

ساروا بمُهجتِهِ فحُمِّلَ ثكلَها   وقَضَوْا بعائلِهِ فمالَ غبينا[٤]

أتَعودُ فى ركبِ الرَّبيعِ إذِ انثَنَى   بَهِجًا يزفُّ الوردَ والنِّسرينا

هيهاتَ من سَفَرِ المنيَّةِ أَوْبةٌ   حتى يَهيبَ الصُّبحُ بالسارينا

ويقالُ للأرضِ الفضاءِ تمخَّضِى   فتردُّ شيخًا أو تَمجُّ جنينا

***

اللهُ أبقَى ، أينَ مِن جَسَدى يَدٌ   لم أنسَ رِفقَ بنانِها واللِّينا[٥]

حتى تمثَّلَتِ العِنايةُ صورةً   تُومِى براحٍ أو تُجيلُ عيونا

نَجَرت جُثمانى وهانت كُربةٌ   لولا اعْتِناؤُكَ لم تكن لِتَهونا

إنَّ الشفاءَ من الحياةِ وعونِها   ما كان آسٍ بالشفاءِ ضمينا

واليومَ أرْتَجِلُ الرِّثاءَ وأنْزَوِى   فى مأتمٍ أبْكِى مع الباكينا

سبحانَ مَنْ يرِثُ الطبيبَ وطِبَّه   ويُرِى المريضَ مَصارعَ الآسينا[٦]

---

(١) حمس جمع حمس بكسر الميم أو أحمس : وهو الصلب فى القتال والعقيدة ، والحمس لقب لقريش ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء : أى الكعبة ، والعرنين : الأنف

(٢) يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ليمهد لتشبيه أبيه بسيدنا يعقوب فى صبره على فراق ابنه ومحنته

(٣) الوتين : عرق فى القلب إذا قطع مات صاحبه   (٤) المهجة تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال خرجت مهجته : أى روحه   (٥) يشير أن الفقيد كان أحد أطبائه الذين تمثلت عناية الله به فى عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفائه   (٦) الآسينا جمع آسى وهو الطبيب

نجل امام اليمن (*)

مَضَى الدهرُ بابْنِ إمامِ اليمنْ وأوْدَى بزينِ شَبابِ الزمن
وباتَت بصَنعاءَ تبكِى السيوفُ عليه ، وتَبكى القَنا فى عَدن (١)
وأعولَ نجدٌ ، وضجَّ الحِجازُ ومالَ الحُسينُ فَعزَّ الحَسن
وغصَّت مَناحاتُهُ فى الخِيام وغصَّت مآتمُهُ فى المُدُن
ولو أنَّ ميْتاً مَشَى للعزاء مشى فى مآتمه ذُو يزَن (٢)
فتًى كاسمِه كان سيفَ الإلٰه وسيفَ الرسول وسيفَ الوطن
ولُقِّب بالبدرِ منْ حُسنِه وما البدرُ ، ما قدرُه ، وابنُ مَنْ ؟

***

عزاءً جميلاً امامَ الحِمَى وهَوِّن جليل الرزَايا يَهُنْ
وأنتَ المُعانُ بإيمانِه وظنُّك فى الله ظَنٌّ حسَن
ولـٰكن متى رقَّ قلبُ القَضاء ومِن أينَ لِلموتِ عقلٌ يَزِن
يُجامِلُك العربُ النازحون وما العَربيّةُ إلا وطن

(*) هو الأمير سيف نجل الامام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول انقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٢

(١) صنعاء : حاضرة اليمن وعدن إحدى الموانى هناك وفيها خليج عدن المشهور

(٢) ذو يزن : أحد أقيال اليمن الأقدمين ولشجاعة هذا الملك فى استرداد عرش أبيه وأجداده أضيفت إليه أساطير كثيرة

ويجمعُ قومَك بالمسلمـــين عظيمُ الفُروضِ وسَمْحُ السُّنَن
وأنّ نبيَّهمو واحـــدٌ نَبيُّ الصوابِ ، نبيّ اللسن
ومِصرُ التى تجمَعُ المسلمـــين كما اجتمعوا فى ظِلالِ الرّكن[1]
تعزّى اليمانيين فى سَيفهم وتأخـذ حِصّتَها فى الحزن
وتقعُد فى مأتم ابنِ الامـــام وتبكِيه بالعَبَرات الهُتُن
وتَنْثُر رَيحانَتَىْ زَنبقٍ مِن الشّعرِ فى رَبوات اليمن
ترِفّانِ فَوقَ رُفاتِ الفقيد رفيفَ الجَنَى فى أعالى الغُصن
قَضَى واجباً فقضى دُونه فَتًى خالِصَ السِّر صافى العَلن
تطوّحَ فى لُجَجٍ كالجِبال عِراضُ الأواسى طِوال القِنن[2]
مَشى مِشيةَ الليث لا فى السلا ح ولا فى الدروع ولا فى الجُنن[3]

* * *

متى صِرتَ يا بحرُ غِمدَ السّيوفِ وكنا عَهدناك غِمدَ السُّفُن؟
وكنتَ صِوانَ الجُمانِ الكريـــم فكيف أزيلَ ولو لم يُصن
ظَفِرتَ بجوهرةٍ فـذّةٍ من الشرف العبقرى اليَمَن
فتًى بَذَلَ الرُّوحَ دونَ الرِّفــاق إليك وأعطَى الترابَ البَدن
وهانتْ عليـه ملاهى الشـــباب ولولا حقوقُ العُلا لم تَهُن

(١) يريد بالركن : الكعبة (٢) القنن جمع قنه : وهى رأس الجبل ، والأواسى من البناء : الدعائم (٣) الجنن جمع جنه بالضم وهى ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك .

وخاضَــك يُنقِذُ أترابهُ وكان القضــاء له قد كمَن
غدَرتَ فتًى ليس فى الغادريــن وخُنتَ امرأً وافياً لم يخُن
وما فى الشجاعةِ حَتفُ الشّجــاعِ ولا مَدَّ عمرَ الجبان الجبن
ولــكن إذا حانَ حَيْنُ الفتى قضَى ويَعيش إذا لم يحِن(١)

***

ألا أيهـذا الشريفُ الرّضــىُّ أبو السّمَراء الرّماح اللُّدن
شَهيدُ المُروءةِ كان البقــيعُ أحقَّ به من تُراب اليَمن
فهــل غسّلوه بدمع العُفــاةِ وفى كلِّ قلبٍ حزينٍ سكَن
لقد أغرَقَ ابنك صرفُ الزمــانِ وأغرقتَ ابنــاءه بالمِنَن
أتذكرُ إذ هو يَطوى الشّهـــورَ وإذ هو كالخَشْفِ «حلو» أغن(٢)
وإذ هو حولَك حسنُ القصــورِ وطِيبُ الرّياض وصَفو الزمَن
بشاشــتُه لذةٌ فى العيــون ونَغمتُه لذةٌ فى الأذن
يلاعِبُ طُرّته فى يَدَيــك كما لاعبَ المهرُ فضلَ الرسن
وإذ هو كالشّبل يحكى الأســودَ أدلّ بمِخلبــه وافتَتَن(٣)
فشبَّ فقامَ وراءَ العريــن يُشبّ الحروبَ ويُطفى الفِتَن(٤)
فما بالُه صار فى الهامديــن وأمسى عفاءً كأنْ لم يكن
نظمتُ الدموعَ رثاءً له وفصّلتُها بالأسى والشّجَن

---

(١) الحين : الأجل (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي والأغن الذى يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب (٣) الشبل : ولد الأسد إذا أدرك الصيد ، وأدلّ بمخلبه أى تباهى به وتخايل على أقرانه (٤) العرين : بيت الأسد ، ويشب الحروب بمعنى يوقدها

عبد الله بك الطوير (*)

يا قلبُ ويحكَ والمودّةُ ذِمّـةٌ ... ماذا صنعتَ بعهدِ (عبد اللهِ)

جاذَبْتَنِى جَنْبِي عَشِـيَّةَ نَعيهِ ... وخَفَقْتَ خِفْقَةَ مُوجِعٍ أوّاه(١)

ولو أنَّ قلباً ذابَ إثْرَ حبيبِه ... لَهَوَى بكَ الركنُ الضعيفُ الواهي

فعليكَ من حُسنِ المُروءةِ آمرٌ ... وعليكَ مِن حُسنِ التّجلُّدِ ناه

نَزَل «الطُّوَيرُ» فى الترابِ منازِلاً ... تَهْوِى المكارمُ نحوها بشفاه

عَرَصاتُها مَمْطُورَةٌ بمدامعٍ ... مَوْطُوءةٌ بمَفارِقٍ وجِباه

لولا يمـينُ الموتِ فوقَ يمينِه ... فيهـا لفاضَت من جَنًى ومياه(٢)

***

يا كابراً مِن كابرِينَ وطاهراً ... مِن آلِ طُهرٍ عارفٍ بالله

ومُحكّماً عَلِمَ القضاءُ مكانَه ... فى المُقسطينَ الجِلّةِ الأنزاه(٣)

وحكيماً استَعصَتْ أعِنّتُه على ... كَذِبِ النّميمِ وتُرّهاتِ الجاه

(*) المرحوم عبد الله بك الطوير كان أحد رجال القانون فى مصر وقد توفى سنة ١٩١٥

(١) خفق القلب : اضطرب فى موضعه . والأواه : كثير التأوه ، وفى القرآن الكريم « إن إبراهيم لأواه حليم »

(٢) اليمين يراد بها هنا القوة ، والجنى : الثمار

(٣) المقسطين يقصد بها العادلين ، والجلة — بكسر الجيم — قوم سادة عظماء ذوو أخطار ، والانزاه جمع نزه ، وهو العفيف المتكرم

وأنا ساقى الإخوان من (راووقه) بودادٍ لا صَلِفٍ ولا تيّاه[١]
قد كان شعرى شغلَ نفسك فاقترح من كلِّ (جائلةٍ) على الأفواهْ
أنزلت منه حين فاتكَ جمّه فى مَنزلٍ بَهِجٍ بنورِكَ زاه
فاقرأ على «حسّان» منه لعلّه بفتاه فى مَدح الرسولِ مُباه[٢]
وانزل بنور الخلدِ جدّك واتصل بعلائكِ من آلهِ أشباه[٣]
ناعيكَ ناعِى حاتمٍ أو جعفرٍ فالناسُ بين نوازلٍ ودَوَاه[٤]

---

(١) الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الأشياء (الآناء) التى يوضع فيها المشروب ، والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا (٢) حسان : هو ابن ثابت شاعر الرسول صلوات الله عليه (٣) جدك منصوب على نزع الخافض أى انزل على جدك وكان الفقيد منسوباً لآل البيت النبوى . (٤) حاتم : هو الطائى المشهور بالكرم ، وجعفر : لعله يقصد به جعفرا البرمكى أو عبد الله بن جعفر أحد أجواد العرب فى العصر الأموى ، والمقصود تشبيه الفقيد فى كرمه بهذين الرجلين ، اللذين ضرب المثل بكرمهما

سعد باشا زغلول (*)

شَيَّعُوا الشمسَ ومالوا بضُحاها   وانحنَى الشرقُ عليها فبكاها
ليتَنِى فى الرَّكْبِ لمّا أفَلت   (يُوشعٌ) هَمَّت فنادَى فثَناها(١)
جَلَّلَ الصبحَ سَواداً يومُها   فكأنَّ الأرضَ لم تخلَع دُجاها(٢)
انظروا تَلقَوا عليها شَفقاً   من جِراحاتِ الضَّحايا ودِماها
وتَرَوا بَينَ يديها عَبرةً   من شهيدٍ يقطُرُ الوردُ شَذاها
آذنَ الحقُّ ضحاياهَا بها   ويحه!! حتى إلى الموتَى نَعاها

***

كفَّنُوها حُرَّةً علويةً   كَست الموتَ جلالاً وكَساها
مِصرُ فى أكفانِها إلاّ الهُدى   لحمةُ الأكفانِ حقٌّ وسُداها(٣)
خطرَ النعشُ على الأرضِ بها   يَحسِرُ الأبصارَ فى النعشِ سَناها(٤)
جاءها الحقُّ ومن عاداتِها   تؤثِرُ الحقَّ سبيلا واتّجاها(٥)
ما دَرت مِصرُ بدفنٍ صُبِّحت   أم على البعثِ أفاقت من كَراها
صَرخت تحسبُها بِنتَ الشرى   طلَبت من مِخلبِ الموتِ أباها(٦)

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧

(١) يوشع : أحد أنبياء بنى إسرائيل دعا الله أن يؤجل له الغروب فأجابه وثنى الشمس عن غروبها (٢) جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه (٣) اللحمة : ماسدى به الثوب ، والسدى ضد اللحمة (٤) يحسر الأبصار : أى يردها كليلة ضعيفة (٥) الحق الأول يقصد به الموت ، والحق الثانى يقصد : العدل (٦) بنت الشرى : أنثى الأسد

وكأنّ الناسَ لمّا نَســلوا شُعَبُ السَّيْلِ طَغَتْ فى مُلتقاها
وضَعُوا الرّاحَ على النعشِ كما يلمَسون الركنَ فارتدّت تراها
خفَضوا فى يوم (سعدٍ) هامَهم و (بسعدٍ) رَفعوا أمسِ الجِباها

* * *

سائلوا « زحلةَ » عن أعراسها هل مَشى الناعى عليها فَمحاها[1]
عَطّلَ المُصطافَ من سُمّارِه وجَلا عن ضِفّةِ الوادى دُماها[2]
فتحَ الأبوابَ ليلاً (دَيرُها) وإلى (الناقوسِ) قامت بَيْعتاها
صدَعَ البرقُ الدّجَى تنشرُه أرضُ (سوريا) وتَطويه سَماها[3]
يَحمِلُ الأنباءَ تَسرِى مَوهِناً كعوادى الثكلِ فى حَرِّ سُراها[4]
عَرضَ الشكُّ لهـا فاضطَرَبَتْ تَطأُ الآذانَ هَمساً والشِّفاها
قلتُ يا قومِ اجمعوا أحلامَكم كلُّ نفسٍ فى وَرِيدَيْها رَداها[5]

* * *

يا عدوّ القيـــدِ لم يلمَحْ له شَبَحاً فى خِطّةٍ إلا أباها
لا يَضِقْ ذَرعُكَ بالقيدِ الذى حَزَّ فى سُوقِ الأوالى وبَراها
وقعَ الرُّسلُ عليـه والتَوَتْ أرجلُ الأحرارِ فيه فمَشاها

---

(١) يشير هذا البيت أن أمير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف فى زحلة إحدى مصايف لبنان (٢) السمار جمع سامر ، وهم إخوان الحديث فى المساء ، والضفة من النهر ومن الوادى : الجانب ، والدمى جمع دمية وهى الصورة يعملها المثال من الرخام
(٣) صدع : شق وقطع (٤) الموهن : نصف الليل أو بعده بنحو ساعة
(٥) الوريدان : مثنى الوريد ، أحد شرايين الجسم

يا رُفاتاً مِثلَ رَيحانِ الضُّحى — كُلِّلَتْ (عَدْنٌ) بِها هامَ رُباها(١)
وبقايا هيكلٍ من كَرَمٍ — وحياةٍ أترعَ الأرضَ حَياها(٢)
ودَّعَ العدلُ بها أعلامَه — وبكتْ أنظمةُ الشورى صُواها(٣)
حَضَنَتْ نعشَكَ والتفّتْ به — رايةٌ كنتَ من الذلِّ فِداها
ضَمَّت الصدرَ الذي قد ضمَّها — وتلقّى السهمَ عنها فوقاها
عَجَبِي منها ومِن قائدها — كيفَ يَحمي الأعزلُ الشيخُ حِماها

***

مِنبرُ الوادي ذَوَتْ أعوادُه — مِن أواسيها وجَفّتْ مِن ذُراها
مَنْ رَمَى الفارسَ عن صَهوتِها — ودَها الفُصحى بما ألجمَ فاها ؟
قَدَرٌ بالمُدنِ ألوى والقُرى — ودَها الأجبالَ منه ما دَهاها
قال «بسطورا» وأردى عصبةً — لمست جرثومةَ الموتِ يداها
طافت الكأسُ بساقي أمّةٍ — مِن رَحيقِ الوطنياتِ سقاها
عطِلت آذانُها مِنْ وَترٍ — ساحرٍ رَنَّ مليًّا فشجاها
أرغُنٌ هامَ به وجدانُها — وأذانٌ عشِقتْهُ أذُناها
كلَّ يومٍ خطبةٌ روحيّةٌ — كالمزاميرِ وأنغامٍ لُغاها
دَلَّهتْ مصراً ولو أنّ بها — فلواتٍ دلّهت وَحشَ فَلاها

---

(١) عدن : الجنة ، وهام رباها أى رؤوس رباتها ، والربوات الأمكنة المرتفعة فيها .
(٢) أترع : ملأ ، والحيا : المطر (٣) الصوى جمع صوة بضم الصاد ، وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

ذَائدُ الحقّ وحامى حَوْضه ... أنفذَتْ فيه المقاديرُ مُناها
أخذَتْ (سعداً) من «البيت» يَدٌ ... تأخذُ الآسادَ من أصلِ شَراها
لو أصابَتْ غير ذى رُوحٍ لمَا ... سَلِمَتْ منها الثُّريَّا وسُهاها
تتحدَّى الطبَّ فى قفازها ... عِلةُ الدهر التى أعيَا دواها
مِن وَراء الأذنِ نالَتْ ضيغَماً ... لم يَنَلْ أقرانُه إلاّ وِجاها
لم تُصارِحْ أصْرحَ الناس يداً ... ولساناً ورُقاداً وانتباها

* * *

هذه الأعوادُ من آدمَ لم ... يَهْدِ خُفَّاها ولم يعْرُ مُطَاها
نقلَتْ (خوفو) ومالتْ (بمنا) ... لم يفُتْ حيًّا نَصيبٌ من خطاها(١)
تَخلطُ العُمْرينِ شيبًا وصبًا ... والحياتَين شَقاها ورَفاها
زَورقٌ فى الدَّمْع يطفُو أبداً ... عرَفَ الضفَّةَ إلا ما تلاهَا
تَهلَع الثَّكلى على آثارِه ... فإذا خَفَّ بها يوما شفاها

* * *

تسكُبُ الدمعَ على (سعدٍ) دماً ... أمةٌ من صخرةِ الحقّ بناها
من لَيانٍ هو فى يُنبوعِها ... وإباء هو فى صُمِّ صفاها
لقَّنَ الحقّ عليه كَهلَها ... واستَقَى الإيمانَ بالحقّ فتاها
بذَلتْ مالاً وأمْناً ودماً ... وعلى قائدِها ألقَتْ رَجاها

---

(١) خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة

حَمَّلتْه ذِمَّـــــةً أوفَى بها ... وابتَلتْه بحقوقٍ فقضاها

ابنُ ســبعينَ تلقَّى دونَها ... غُربةَ الأسرِ ووَعثاءَ نَواها(١)

لسفرٌ مِن عدَنَ الأرضِ إلى ... منزلٍ أقربُ منه قُطباها

قاهرٌ ألقَى به فى صخرةٍ ... دَفَعَ النَّسرَ إليها فأواها

كَرُمت منزلُها فى تاجِه ... دُرَّةً فى البحرِ والبرِّ نفاها

إسألوها واسألوا شانِئَها ... لِمَ لمْ يَنفِ من الدُّرِّ سواها؟

ولَدَ الثورةَ سعدٌ حُرَّةً ... بحيَاتَىْ ماجدٍ حُرٍّ أباها

ما تمنَّى غيرَها نسلاً ومَنْ ... يلِدِ الزهراءَ يَزْهَدْ فى سواها

سالَتْ الغابةُ من أشبالِها ... بين عَيْنَيه وماجَتْ بلَباها(٢)

باركَ اللهُ لها فى فَرْعِها ... وقضَى الخيرَ لِمصرٍ فى جَناها

أوَ لم يكتُبْ لها دُستورَها ... بالدمِ الحرِّ ويَرْفَعْ مُنْتَداها؟(٣)

قد كتبناها فكانت صورةً ... صَدرُها حقٌّ وحقٌّ مُنتهاها

رَقدَ الثائرُ إلا ثورةً ... فى سبيلِ الحقِّ لم تخمَدْ جُذاها

قد تَولاّها صبيًّا فكَوَتْ ... راحتَيْــه وفَتِيًّا فرعاها(٤)

جالَ فيها قلماً مُستنهِضاً ... ولِساناً كلما أعيَتْ حداها(٥)

ورمَى بالنفسِ فى بُركانِها ... فتلقَّى أوّلَ الناسِ لَظاها

---

(١) الوعثاء : الطريق العسر أو المشقة (٢) اللبا جمع لباة كقطاة (٣) المنتدى : البرلمان (٤) يشير إلى عمل سعد باشا فى الثورة العرابية وهو فى مقتبل شبابه
(٥) أعيت : تعبت حداها ، من قولهم : حدا الأبل ، أى ساقها وزجرها

أعلمتم بعد (موسى) من يدٍ قذفت في وجه (فرعون) عصاها؟[١]
وعلت نادبةٌ صارخةٌ شاهَ وجهُ الرّقِّ يا قوم وشاها[٢]
ظفرت بالكبر من مستكبرٍ ظافرِ الأيام منصورٌ لواها
القنا الصمُّ تشاوى حوله وسيوفُ الهند لم تنبح ظُبلها

***

أين من عينيَّ نفسٌ حرّةٌ كنتُ بالأمس بعينيَّ أراها؟
كلما أقبلتُ هزّت نفسها وتواصى بشرُها بي ونداها
وجرى الماضي فإذا اذّكرت وادّكارُ النفسِ شيءٌ من وفاها
ألمح الأيامَ فيها وأرى من وراء السّن تمثالُ صباها
لستُ أدري حين تندى نضرةً علت الشيبَ أم الشيبُ علاها
حلّت السبعونَ في هيكلها فتداعى وهي موفورٌ بناها
روعةُ النادي إذا جدّتْ فإن مزحت لم يُذهِب المزحُ بهاها
يظفر العذرُ بأقصى سُخطها وينالُ الودُّ غاياتِ رضاها
ولها صبرٌ على حُسّادها يُشبه الصّفحَ وحلمٌ عن عداها
لستُ أنسى صفحةً ضاحكةً تأخذ النفسَ وتجرى في هواها
وحديثاً كرواياتِ الهوى جدّ للصبِّ حنينٌ فرواها

---

(١) اشارة الى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد فى القرآن : « تلقف ما يأفكون » . (٢) شاه وجه الرق : أى قبح

وقناةٌ صَعدةٌ لو وُهِبتْ   للسِّماكِ الأعزلِ اختالَ بِتاها[١]
أيْن منّى قلمٌ كنتُ إذا   شِمتُه أنْ يَرثِىَ الشمسَ رثاها؟
غاَننى فى يومِ (سعدٍ) وجرَى   فى المَراثِى فكَبا دونَ مَداها
فى نعيمِ الله نفسٌ أوتِيتْ   أنعُمَ الدنيا فلم تنسَ تُقاها
لا الحِجَى لما تَناهَى غرّها   بالمقاديرِ ولا العِلمُ زَهاها
ذهبَتْ أوّابةٌ مؤمنةً   خالصًا من حيرةِ الشكِّ هُداها
آنَسَتْ خَلقًا ضعيفًا ورأتْ   من وَراءِ العالَمِ الفانِى إلٰها
ما دعاها الحقُّ إلاّ سارعَتْ   لَيْتَهُ يومَ «وَصيفٍ» ما دعاها[٢]

---

(١) القناة : الرمح ، والصعدة هى التى نبتت مستوية ، فلا يحتاج لتثقيف ، والسماك : ما ارتفع به الشىء ، والأعزل : نجم فى السماء . يقول : إن له قواما لو منح للنجم المرتفع فى السماء لاختال به (٢) وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهى القرية التى توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتى قضى بها .

الشاعر الموسيقي فردى *

فتى العقل والنغمة العاليه مضى ومحاسنه باقيه
فلا سوقة لم تكن أنسه ولا ملك لم تزن ناديه
ولم تخل من طيبها بلدة ولم تخل من ذكرها ناحيه
يكاد إذا هو غنى الورى بقافيـة ينطق القافيه
يتيه على الناس بعض النحـاس إذا ضم ألحانه الغاليه
وتحكم فى النفس أوتاره على العود ناطقة حاكيه
وتبلغ موضع أوطارها وتفشى سريرتها الخافيه
وكم آية فى الأغانى له هى الشمس ليس لها ثانيه
إذا ما تنادى بها العارفـون قل البرق والرعد من غاديه
فان همسوا بعد جهر بها تخفق الحلى على الغانيه
لقد شاب (فردى) وجاز المشيب و (عيدا) شبيبتها زاهيه[1]
تمثل مصر لهذا الزمان كما هى فى الأعصر الخاليه
ونذكر تلك الليالى بها وننشد تلك الرؤى الساريه
ونبكى على عزنا المنقضى وتندب أيامنا الماضية
فيا آل (فردى) نعزيكم ونبكى مع الأسرة الباكية
فقدنا بمفقودكم شاعرا يقل الزمان له راويه

(*) الشاعر الموسيقى فردى أحد أعلام ايطاليا العالمين ، وقد توفى سنة ١٩٠١

(١) عيدا : رواية تمثيلية للفقيد

اسماعيل أباظه باشا (*)

سقى الله (بالكفر الأباظىّ) مضجعاً ... تضوّع كافورا من الخُلد ساريا
يطيب ثرى (برْدين) من نفح طيبه ... كأنّ ثرى (بردين) مسّ الغواليا (١)
فيا لك غِمداً مِن صفيحٍ وجَندلٍ ... حوى السّيفَ مَصقولَ الغِرار يمانيا (٢)
وكنا استَلْنا فى النّوائب غَرْبه ... فلم يُلفَ هياباً ولم يُلفَ نابيا (٣)
إذا اهتزّ دونَ الحقّ يحمى حياضَه ... تأخّر عنها باطِلُ القومِ ظَاميا
طَوتْهُ يدٌ للموتِ لا الجاهُ عاصِماً ... إذا بطشَتْ يَوْماً ولا المالُ فَاديا

***

تَنالُ صِبا الأعمارِ عنـدَ رَفيفه ... وعندَ جفوفِ العُود فى السنّ ذاويا
وبعضُ المنايا تُنزلُ الشُّهدَ فى الثرى ... ويحططْنَ فى التُّربِ الجبالَ الرّواسيا

***

يقولونَ يَرْثى الرّاحلين فَويْحهم ... أأمّلتُ عند الراحلينَ الجوازيا ؟
أبَوْا حسَداً أنْ أجعلَ الحىّ اسوةً ... لَهُم ومثالاً قد يُصادفُ حاذِيا

(*) اسماعيل أباظه باشا أحـد سراة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية ، وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخاً حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة

(١) بردين : قرية الفقيد وهى من أعمال مديرية الشرقية . والغوالى جمع غالية : المسك

(٢) الغرار من السيف : حده (٣) غرب السيف : حده أيضاً ، ونابى : كليل لا يقطع

فَلَمّا رثَيتُ الميْتَ أقْضى حقوقَه ... وجـدتُ حسوداً للرُّفاتِ وشانيا
إذا أنتَ لم ترْعَ العهُودَ لهالكٍ ... فلستَ لحيٍّ حافظَ العهـد راعِيا
فلا يطوِينّ الموتُ عهـدَكَ من أخٍ ... وهَبْه بوادٍ غيرِ واديكَ نائيا
أقامَ بأرضٍ أنتَ لاقيه عِنـدَها ... وإن بِتُّما تَسْتَبْعِدانِ التّلاقيا .

***

رثَيتُ حيـاةً بالثّناء خَليقـــةً ... وحَلَّيتُ عَهْـداً بالمَفاخِرِ حاليا .
وعزّيتُ بيتاً قد تبارتْ سماؤُه ... مَشايخَ أقماراً ومُرْداً دَرارِيا(١)
إلى الله (اسماعيلُ) وانزِل بساحةٍ ... أظَلَّ النّدَى اقْطارَها والنَّواحِيا
تَرى الرحمةَ الكُبرى وراءَ سمائها ... تلفُّ التُّقى فى سَيْبِها والمَعاصِيا
لدى مَلِكٍ لا يمنَع الظّلَّ لائِذاً ... ولا الصَّفْح توّاباً ولا العَفْو راجِيا
وأُقسمُ كُنتَ المرءَ لمْ ينْسَ دِينَه ... وَلَمْ تُلْهِه دُنْياؤُه وَهْىَ ماهِيا
وكُنْتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قَضاؤُها ... لحاجِ اليَتامى والأرامِلِ قَاضِيا(٢)
وكُنتَ تُصلّى بالملُوكِ جَماعةً ... وكُنتَ تقُومُ اللّيلَ بالنَّفسِ خاليا
ومَنْ يُعْطَ مِنْ جاهِ الملوكِ وَسِيلةً ... فَلا يَصْنَعُ الخيراتِ لم يُعْطَ غاليا
وكُنْتَ الجرِيءَ النّدْبَ فى كلِّ مَوقفٍ ... تَلفّتَ فيه الحقُّ لم يَلْقَ حاميا(٣)
بَصُرتُ بأخْلاقِ الرِّجالِ فلَمْ أجِدْ ... وإنْ جلَّت الأخلاقُ لِلعَزْمِ ثانيا

---

(١) يشبه شيوخ الأسرة الأباظية بالأقمار وشبابها المرد بدرارى النجوم وعلى حين أن هـذه الأقمار والنجوم تتبارى فى الأشعاع والاضاءة (٢) حاج : جمع حاجة (٣) الندب : الخفيف عنـد الحاجة إليه

مِن العَزْم ما يُحيي فُحولاً كثيرةً وقَدَّمَ كافُور الخصِيَّ الطَّواشيا
وما حَطَّ مِنْ ربِّ القَصائدِ مَادِحاً وأنْزَلَهُ عَنْ رُتْبةِ الشِّعر هاجيا
فَليس البيانُ الهجْوَ إنْ كُنتَ ساخِطاً ولا هُوَ زُورُ المدحِ إنْ كُنْتَ راضيا
ولكِنْ هُدى الله الكريم وَوَحيه حَمَلْتَ به المصباحَ فى النَّاسِ هَادِيا
تُفيضُ على الأَحياء نوراً وتارةً تُضيء على الموْتَى الرِّجامَ الدَّواجيا[1]
هَيا كِلُ تفْنَى والبيانُ مُخلَّدٌ ألاَ إنَّ عِتْقَ الخَمْرِ يُنْسى الأوانيا

***

ذَهَبْتَ (أبا عَبدِ الحميد) مُبرَّءًا مِنَ الذَّام مَحْمُودَ الجوانب زَاكيا[2]
قَليلَ المساوِى فى زَمانٍ يَرَى العُلى ذُنوبًا وناسٍ يخلقُون المسَاوِيا
طَوَيْنَاكَ كالماضى تَلقَّاه غِمْدُه فلم تَسْتَرِحْ حتى نَشَرْناك ماضيا[3]
فكنت على الأَفواه سيرةَ مُجملٍ وكُنْتَ حَديثًا فى المسامع عَاليا
وفيتَ لمنْ أدناكَ فى المُلك حِقْبةً فكانَ عَجيبًا أنْ يَرَى النَّاسُ وافيا
أثارُوا على آثارِ مَوْتِكَ ضَجَّةً وَهَاجُوا لنا الذِّكرَى وَرَدُّوا اللَّياليا
ومَنْ سَابقَ التَّاريخ لم يأْمَن الهوى مُلجًّا ولَمْ يَسْلَمْ منْ الحقْد نازِيا[4]

---

(١) الرجام : القبور ، والدواجى جمع داجية : المظلمة
(٢) زاكيا أى نامياً مباركا
(٣) الماضى فى أول البيت : السيف ، وفى آخره من الزمن الماضى
(٤) نازيا أى واثبا ، والملج : المتمادى فى الخصومة

إذا وضَعَ الأحيَاءُ تاريخَ جِيلِهِمْ   عَرَفتَ المُلاجِى مِنْهمُو والمُحابِيا

* * *

إذا سلِم الدُّستورُ هَانَ الّذِى مَضى   وهَانَ مِن الأَحْـداثِ ما كانَ آتِيا[١]
ألا كلُّ ذَنْبٍ لِلّيالى لأجلِهِ   سدَلْنَا علَيـه صَفْحنَا والتَّناسِيا[٢]

---

(١) الأحداث : نوازل الأيام
(٢) سدلنا عليه الصفح أى سحبنا على كل الذنوب أعراضنا وسترناها بغفراننا

فهرس

الصفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	
١	سليمان باشا أباظه	من على بعدك أن يقول رثاء	فليرث من هذا الورى من شاء
٣	مصطفى باشا فهمى	يا أيها الناعى أبا الوزراء	هــذا أوان جلائل الأنباء
٨	أبو هيف	اجعلى رثاءك للرجال جزاء	وابعثه للوطن الحزين عزاء
١٢	مولانا محمد على	بيت على أرض الهدى وسمائه	الحق حائطه وأس بنائه
١٤	سيد درويش	كل يوم مهرجان كاملوا	فيه ميتا برياحين الثناء
١٧	عمر المختار	ركزوا رفاتك فى الرمال لواء	يستنهض الوادى صباح مساء
٢١	عبد الحليم العلايلى بك	قــد لى زعيمكو الـنداء	عزاء أهــل دمياط عزاء
٢٤	حافظ ابراهيم	قد كنت أوثر أن تقول رثائى	يا منصف الموتى من الأحياء
٢٨	محمد تيمور	ضربوا القباب على اليباب	وثووا إلى يوم الحساب
٣٢	يعقوب صروف	سماؤك يادنيا خداع سراب	وأرضك عمران وشيك خراب
٣٦	حسين شيرين بك	أرأيت زين العابدين مجهزا	تعلوه تقل الورد من محرابه
٣٩	محمد عبد المطلب	قام من علته الشاكى الوصب	وتلق راحة الدهر التعب
٤٢	يرثى جدته	خلقنا للحيــاة وللممات	ومن هذين كل الحادثات
٤٥	محمد عبده	مفسر آى الله بالأمس بيننا	قم اليوم فسر للورى آية الموت
٤٦	رياض باشا	ممات فى المواكب أم حياة	ونعش فى المناكب أم عظات

الصفحة	عنوان القصيدة	مطلعها
٥٣	عثمان باشا غالب	ضجت لمصرع غالب ... فى الأرض مملكة النبات
٥٦	عبد الحى	طوى البساط وجفت الأقداح ... وغدت عواطل بعدك الأفراح
٥٨	محمد ثابت باشا	سر أبا صالح إلى الله واترك ... مصر فى مأتم وحزن شديد
٦٠	محمد فريد بك	كل حى على المنية غادى ... تتوالى الركاب والموت حادى
٦٤	البنون والحياة الدنيا	الضلوع تتقد ... والدموع تطرد
٦٧	ثروت باشا	يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد ... كل البلاد وساد حين تتسد
٧٢	عبد العزيز جاويش	أصاب المجاهد عقبى الشهيد ... وألقى عصاه المضاف الشريد
٧٦	تعزية ورثاء	كأس من الدنيا تدار ... من ذاقها خلع العذار
٧٨	ذكرى هيجو	ما جل فيهم عبدك المأثور ... إلا وأنت أجل يا فكتور
٨٠	عبده الحمولى	ساجع الشرق طار عن أوكاره ... وتولى فن على آثاره
٨٣	قاسم بك أمين	يا أيها الدمع الوفى بدار ... تقضى حقوق الرفقة الأخيار
٨٧	تولستوى	تولستوى تجرى آية العلم دمعها ... عليك ويبكى بائس وفقير
٩١	عمر لطفى	قفوا بالقبور نسائل عمر ... متى كانت الأرض مثوى القمر
٩٣	عمر بك لطفى	اليوم أصعد دون قبرك منبرا ... وأقلد الدنيا رثاءك جوهرا
٩٦	الأميرة	حلفت بالمستره ... والروضة المطره
٩٩	ذكرى مصطفى كامل	لم يمت من له أثر ... وحياة من السير
١٠٢	المنفلوطى .	اخترت يوم الهول يوم وداع ... ونعاك فى عصف الرياح الناعى
١٠٥	عاطف بركات باشا	خفضت لعزة الموت اليراعا ... وجد جلال منطقه يراعا

الصفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	
١١٠	المويلحي	كاتب محسن البيان صناعه	استخف المقول حيناً براعه
١١٣	اسماعيل باشا صبري	أجل وإن طال الزمان موافى	أخلى يديك من الخليل بوافى
١١٩	فوزى الغزى	جرح على جرح حنانك جلق	حملت ما يوهى الجبال ويزهق
١٢٣	كريمة البارودى	أحيت تلوح المنى تأفل	كفى عظة أيها المنزل
١٢٦	فتحى ونورى	انظر إلى الأقمار كيف تزول	وإلى وجوه السعد كيف تحول
١٣١	على باشا أبو الفتوح	ما بين دمعى المسبل	عهد وبين ثرى على
١٣٥	جورجى زيدان	عالك الشرق أم أدراس أطلال	وتلك دولاته أم رسمها البالى
١٣٨	شهداء العلم والغربة	ألا فى سبيل الله ذاك الدم الغالى	وللمجد ما أبقى من المثل العالى
١٤٢	سعيد بك زغلول	آل زغلول حسبكم من عزاء	سنة الموت فى النبي وآله
١٤٤	أمين بك الرافعى	مال أحبابه خليلا خليلا	وتولى اللدات إلا قليلا
١٤٨	الشيخ سلامه حجازى	يا ثرى النيل فى نواحيك طير	كان دنيا وكان فرحة جيل
١٥٠	أدهم باشا	مصاب بنى الدنيا عظيم بأدهم	وأعظم منه حيرة الشعر فى فمى
١٥٢	عثمان باشا الغازى	هالة للهلال فيها اعتصام	كيف حامت حيالها الأيام
١٥٤	بطرس باشا غالى	قبر الوزير تحية وسلاما	الحلم والمعروف فيك أقاما
١٥٦	يبكى والدته	إلى الله أشكو من عوادى النوى سهما	أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى
١٦٠	الملك حسين	لك فى الأرض والسماء مآتم	قام فيها أبو الملائك هاشم
١٦٤	يرثى أباه	سألونى لم لم أرث أبى	ورثاء الأب دين أى دين
١٦٧	مصطفى كامل باشا	المشرقان عليك ينتحبان	قاصيهما فى مأتم والدانى

الصفحة	عنوان القصيدة	مطلعها
١٧١	حسن بك أنور	تسائلني كرمتي بالنهار وبالليل أين صديقي حسن
١٧٣	أم المحسنين	أخذت نعشك مصر باليمين وحوته من يد الروح الأمين
١٧٧	الدكتور أحمد فؤاد	أوحت لطرفك فاستهل شئونا دار مررت بها على قيسونا
١٨٠	نجل امام اليمن	مضى الدهر بابن امام اليمن وأودى بزين شباب الزمن
١٨٣	عبد الله بك الطوير	يا قلب ويحك والمودة ذمة ماذا صنعت بعهد عبد الله
١٨٥	سعد باشا زغلول	شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها
١٩٢	الشاعر الموسيقى فردى	فى الفضل والنغمة العاليه مضى ومحاسنه باقيه
١٩٣	اسماعيل أباظه باشا	سقى الله بالكفر الأباظى مضجعا تضوع كافورا من الخلد ساريا

ايضاح لا بد منه

للأستاذ محمود أبو الوفا

حين طلب إلىّ أن أشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن فى الوقت متسع لاخراجه على كل ما كنت أتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقدكان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على انجازه فى عشرين يوماً لا تزيد ، ولقد كان لزاماً علىّ أن أكون أداة إنجاز لا أداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رأيت أن أسير فى العمل على الوجه الآتى :

أولاً : ترك الشرح والضبط كلما أمن اللبس ووضح الكلام سواء أكان خوف اللبس من جهة الاعراب أم من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لا بد من الضبط أو التعليق أو كليهما

ثانياً : رأيت أيضاً أن أترك الكلمات التى تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين أو ثلاثة بدون شكل مطلقاً حيث عدم الخطأ مضمون

أما الشرح فقد تركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، بل لأنى أحببت أن لا أتحكم فى ذوق القراء والأدباء وأفرض عليهم فهمى أنا ، فقد يجوز أن يفهم البيت على أكثر من وجه

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهنى أحب أن يتحاشاه كل طابعى الدواوين.

أما بعد فكل ما فى هذا الكتاب من خطأ أو من مؤاخذة فهو إلىّ ، أما ما فيه من فضل فرجعه إلى الأستاذ حسين شوقى . . . .

فإلى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما فى هذا الكتاب من ذوق وجمال ؟

القاهرة { رمضان سنة ١٣٥٤
ديسمبر سنة ١٩٣٥ }

محمود أبو الوفا